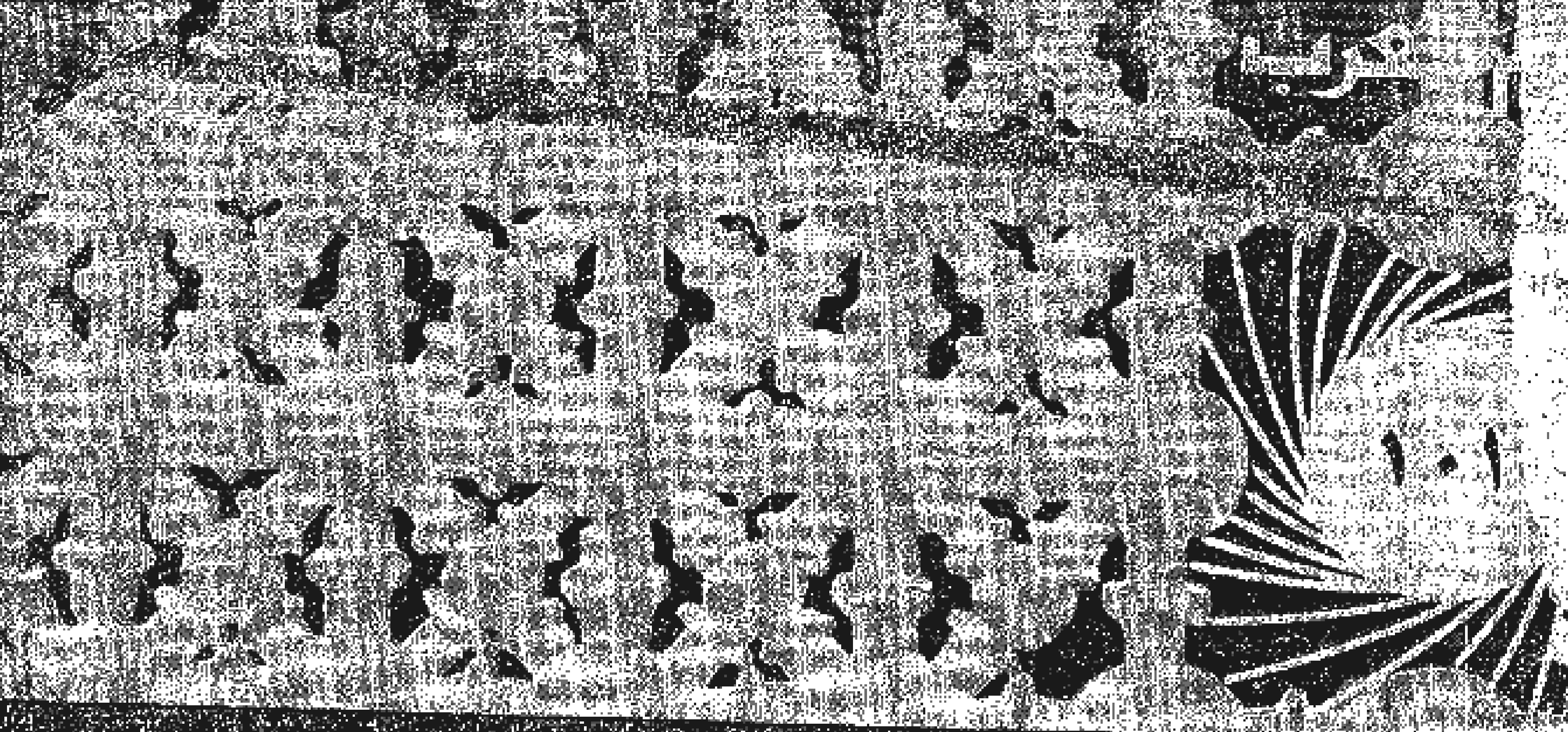


تأليف

أحمد جمال العمري



أبو بكر الصولى

العالم – الأديب – النديم

تـأليف

أحمد جمال العمرى



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٧٣

أَيْنَ من جَالَسَ الخلائِف قَبْلِى

وَافِرٌ حين تُسْتَخَفُّ الحُلُومُ

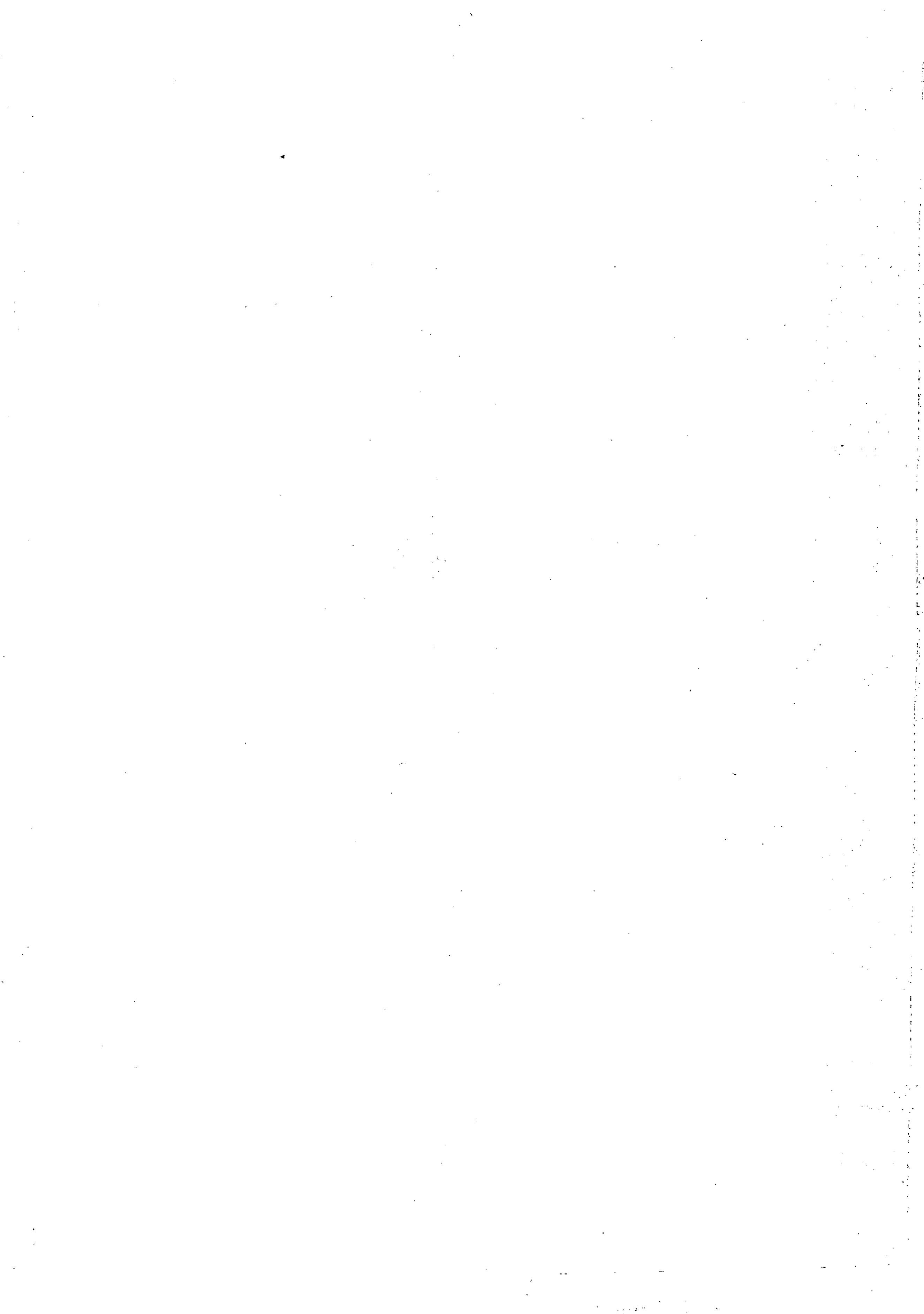
طَائِرى سَاكن وَفِكرى عَزُوف

عَنْ فُضُول المُنى وَلَحظى سَلِيمُ

وَكَلامِى قَدْرُ الكفاية إلا

شَرحَ علمٍ وجانبى مُستقِيمُ

ابو بكر الصولى



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، وأفصح الناطقين سيدنا محمد المرسل بالذكر الحكيم ؛ وعلى آله وأصحابه والتابعين .. أجمعين .

وبعد .. فلا شك أن دراسة الأعلام السابقين من أساطين الفكر النابهين ؛ تهدف أولا الى أن تقدم الى الأجيال اللاحقة ، من طلاب المعرفة ورواد الأدب ، صوراً ناطقة معبرة تمثل شخصيات أولئك المتقدمين من العلماء والأدباء ، الذين برزوا فى مجال الدين والعلم والأدب ؛ هذه الصور تجسم فيما تحتوى عليه من ملامح ، وما تبرزه من قسمات ؛ عواطف هؤلاء الأعلام وأحاسيسهم ، وتبين أهواءهم ومشاربهم ، وتوضح آراءهم وثقافتهم ، وتلقى الضوء على ما قدموه للبشرية من انتاج علمى وأدبى فى مختلف الميادين والأغراض ؛ وبذلك يضيفون لبنة الى تلكم اللبنات التى تشيد بنيان العلم وصرح الأدب .

ولكى تكون دراستنا لعلم من الأعلام كاملة واضحة ، ومفهومنا له صادقا ؛ وأحكامنا عليه دقيقة ، يتحتم علينا أن ننظر فيما خلفه من نصوص وأقوال ، ومؤلفات ومصنفات ٠٠ ثم نحققها ونتثبت من صحة نسبتها اليه ؛ وننظر فيما قيل فيه من آراء وأحكام ، من الذين عاصروه وصاحبوه ، أو الذين ترجموا له ممن قرب عهدهم به ٠٠ وأخيرا نتفهم العصر الذى كان يعيش فيه ؛ ذلك أن دراسة العصر ، تعين على تفهم العوامل التى أثرت فى شخصيته ، وتبرز المقومات التى تتألف منها حياة المجتمع ؛ وهى الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية والعلمية والأدبية ٠٠ ذلك لأن الانسان كائن حى يتفاعل مع البيئة المحيطة به ، سواء كانت ثقافية أو اجتماعية ؛ كما يتأثر بالحياة السياسية وظروف الدولة التى يعيش بين أرجائها ، وينعكس كل ذلك على نتاج فكره وأدبه ٠

بين يدى قارئنا العزيز ــ دراسة لحياة وأدب أبى بكر الصولى ، العالم الفقيه ؛ الأديب الكاتب ؛ الشاعر الناقد ؛ الأخبارى المؤرخ ؛ الشطرنجى النديم ٠٠٠ الذى عاش قرابة ثمانين عاما ــ من خمسينات القرن الثالث حتى ثلاثينات القرن الرابع الهجرى (٢٥٥ ــ ٣٣٦ هـ) فى فترة تولى الخلافة فيها أكثر من اثنى عشر خليفة ، نادم أربعة منهم ؛ واتصل بمعظم الباقين ؛ وكانت له مكانة مرموقة وسمعة حسنة لديهم جميعا ، ففتحوا له أبواب قلوبهم وقصورهم ، ليعيش فى بلاطهم أكثر من نصف قرن من الزمان ؛ وليصادف ما لم يصادفه أحد من قبله ؛ وليشهد ما لم يشهده غيره من معاصريه ٠

والصولى وان لم يكن عربى الأصل ــ فانه عربى المولد والمنشأ والمربى والثقافة ، علم من أعلام الاسلام ، المنتمين الى العروبة بالولاء ؛ لم تمنعه نسبته الى العجم من أن يكون عربى اللسان ؛ فصيح القول ؛ متبحراً فى اللغة ، كانت له أياد بيضاء على العلم

والعلماء ، والأدب والأدباء ، زخرت بأقواله وآرائه المصادر العربية القديمة ؛ التى ألفت فى عصره وبعد عصره · لذلك عولت على أن أدرس هذا الرجل دراسة تبرزه ، وتمسح عن وجهه غبار النسيان ؛ وتضعه فى مكانه الصحيح بين علماء العصر المرموقين · وجعلت هذه الدراسة موضوعا لرسالة علمية أقدمها الى كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، للحصول على درجة الماجستير ؛ فعكفت عليها مخلصا العمل فيها ؛ ونلت هذه الدرجة سنة ١٩٧٠ ·

وفى الحقيقة ، لم يكن هدفى ــ فى دراسة الصولى ، تتبع حياته ؛ أو استقصاء أخباره ، أو العكوف على حوادث التاريخ ــ التى كان هو طرفا فيها ــ بالسرد والتحليل ؛ وان كنت قد بذلت فى سبيل ذلك الكثير من الجهد ، بقدر ما كان هدفى ابراز الجوانب الانسانية فى شخصية الرجل ، وجلاء السجايا النفسية له ، وأثره فى الأحداث التى صحبها وعاش فيها ؛ وكانت لها تأثيرها فى بناء شخصيته ؛ ثم التركيز على الجوانب العلمية المميزة التى اجتمعت فيه ، تلك التى تتصل بالجوانب الفنية التخصصية ·· ومن ثم درسته أولا راوية للأخبار ، ثم نديما ·· ثم شاعرا وناثرا وناقدا ومعلما ، وأخيرا مؤرخا ؛ ومؤلفا ·· وتتبعت مؤلفاته ومصنفاته ؛ الموجود منها والمفقود ، المطبوع منها والمخطوط ، وهنا اكتملت أمامى صورة الرجل بكل ملامحها ·

وقد اعتمدت فى دراستى لحياة الرجل وأدبه ؛ على مصادر شتى ؛ فى مقدمتها ــ بطبيعة الحال ــ كتب الصولى نفسه ، التى حفظها لنا الدهر من الضياع ، ومعظم هذه الكتب مطبوع ، أما كتبه المفقودة ؛ فقد عكفت على المصادر القديمة أتلمس فيها بصيصا من الضوء يرشدنى الى نوعيتها وأغراضها ، وقد وفقت فى ذلك بعض التوفيق ؛ بيد أن هناك كتبا لم نستطع أن نعرف عنها سوى اسمها فقط ·

وحين طلبت الى هيئة الكتاب ـ مشكورة ـ أن تنشر كتابا عن « أبى بكر الصولى » فى سلسلة أعلام العرب ، هرعت الى الرسالة أنشد فيها بغيتى ، بيد أنى ألفيتها بحثا أكاديميا عميقا ؛ قد يجد القارىء العام شيئا من العسر فى فهمه وادراكه ، فتناولتها بالحذف والتبديل ؛ والتغيير والتسهيل ، حتى يستفيد منها أكبر قدر من القراء ؛ فيجدوا فيها زادا سائغا ممتعا . كل ما أرجوه أن أكون قد وفقت فى تقديم هذا الرجل ، وفى رسم صورة واضحة لمعالمه وملامحه ، تكشف عن جوانب علمه ، وأسرار عبقريته وبالغ أثره فى المجالات المتعددة التى شاء له حظه أن يدور فيها .. كل ما أبغيه أن أكون قد أعطيت العلم حقه ؛ والرجل حقه .. فان وجد فى هذا الكتاب نقيصة تنتقصه ؛ فلست أدعى العصمة ، فالكمال لله وحده ، نسأله السداد والتوفيق ، انه نعم الموفق .

القاهرة فى ١٥ ابريل ١٩٧٣ .

أحمد جمال العمرى

الباب الأول

عصر الرجل

● الفصل الأول

الحياة السياسية فى عصر الصولى

كان الجو السياسى فى عصر الصولى مشحونا بالمكائد والمؤامرات ، والفتن والاضطرابات ؛ ذلك أنه عصر سيادة العنصر التركى وسيطرته على الدولة ، وعلى مقاليد الحكم بعد انقضاء العصر الفارسى .

طبعت الخلافة العباسية فى هذا العصر بطابع الضعف والوهن ؛ لازدياد نفوذ الأتراك فى الدولة حتى أصبح خلفاء هذا العصر مسلوبى السلطة ؛ ضعيفى الارادة ، بسبب تدخل هؤلاء الاتراك فى شئون الدولة ، بل لقد كانت لهم المقدرة على تنصيب من يشاءون وعزل من يريدون؛ ووصل بهم الأمر الى قتل بعض الخلفاء أو حبسهم وسمل أعينهم (١) .

فمع بداية عصر الصولى ، بدأ الضعف يدب فى أوصال الدولة؛ وتقلص سلطان الخلفاء ، قتل واحد منهم وهو المتوكل ؛ وخلع ثلاثة بعده ؛ ثم قتلوا بعد خلعهم وهم : المستعين بالله (٢٤٨ _

(١) مسمل عينيه : أى فقأها فجعله أعمى ومثلها كحل عينيه .

٢٥٢ هـ) والمعتز بالله (٢٥٢ ـ ٢٥٥ هـ) والمهتدى بالله (٢٥٥ ـ ٢٥٦ هـ) ، ومن مات بعد ذلك حامت حول موته الشبهات ٠

كان الخلفاء عرضة للكيد والبطش من القواد والأمراء وأمراء الأمراء ٠

وكان حظ ولاة العهود لا يقل سوءا عن حظ الخلفاء أنفسهم ؛ فقلما نجا أحدهم من الخلع أو السجن أو استصفاء الأموال ٠

وطبعت الحياة السياسية أيضا بطوابع جديدة ، ربما كان ظهورها لأول مرة بصورة واضحة فى الحياة السياسية الاسلامية ٠ ألا وهى : تدخل العنصر النسائى فى شئون الدولة ؛ وكثرة تولية الوزراء وتعاقبهم وعزلهم ، وتولية العهد لأكثر من واحد ؛ مما أدى الى قيام المنافسة بين أمراء البيت العباسى ، ونشأة الصراع حول مناصب الدولة المختلفة ٠ يصور الأستاذ الدكتور طه حسين هذه الحياة تصويرا بارعا فيقول (١) : « كان القصر موزعا بين الأتراك من رؤساء الجيش ، وكان الخليفة مضطرا الى أن يصانع أولئك وهؤلاء ؛ وهو فى أثناء ذلك كله عرضة لكيد الكائدين ومكر الماكرين ٠٠٠ ومن الحق أن نعترف أنه هو أيضا كان يكيد لرؤساء الجند خوفا منهم ، ومن الحق أيضا أن نلاحظ أن أخلاق الأمراء والخلفاء انتهت من الفساد الى حد لم نعرفه من قبل ، فقد كان الخلفاء يمكرون بآبائهم وأخوتهم ؛ وحياتهم كلها مكر فى مكر » ٠

تولى المعتز بالله (٢٥٢ ـ ٢٥٥ هـ) الخلافة مثقلة بتبعات جسام ، فقد تفاقم نفوذ الأتراك وعلى رأسهم « بغا الكبير » و « بغا الصغير » و « أتامش » و « باغر » الذين انقلبوا على الخليفة السابق ـ المستعين بالله (٢٤٨ ـ ٢٥٢ هـ) وفتكوا به ، فورث عنه ثورتهم وفتنتهم والحروب الأهلية ٠ غير أن أمر هؤلاء الأتراك استفحل فى

---

(١) من حديث الشعر والنثر ـ دكتور طه حسين ص ٢٧٤ ٠

عهده استفحالا عظيما وسرعان ما أصبحوا هم الحكام الفعليين للدولة. بيدهم الأمر كله ؛ ولهم تصريف الأحوال ؛ وتسلطوا على كل مجالات الحياة فى البلاد .

وقد بلغ من تفاقم النفوذ التركى أن المعتز بالله كان لا يلتذ بالنوم ، ولا يخلع سلاحه فى ليل ولا فى نهار ؛ خوفا من الأتراك وعلى رأسهم « بغا الصغير » (١) .

ومن القصص الطريفة التى تزخر بها المصادر التاريخية ؛ والتى تخفى وراءها المرارة والحزن وتدل على مدى تحكم العنصر التركى فى الدولة والحكم والخليفة .. « أنه لما تولى المعتز بالله الخلافة ، أحضر خواصه وأتباعه المنجمين ، وقالوا لهم : انظروا كم يعيش الخليفة وكم يبقى فى الخلافة .. فما كان من أحد الظرفاء الموجودين بالمجلس الا أن قال : « أنا أعرف من هؤلاء بمقدار عمره وخلافته ! » ؛ فسألوه : فكم تقول أن يعيش ، وكم يملك ؟ . فقال : « ما أراد الأتراك (٢) » . فضحك جميع من فى المجلس .

وقد بلغ من غدر الاتراك وجبروتهم ، واستبدادهم وسيطرتهم، أن قتلوا المعتز بالله شر قتلة (٣) ؛ بعد أن عذبوه أعنف تعذيب وضربوه بالدبابيس ؛ وخرقوا جسده .

ثم تولى الخلافة أخوه المهتدى بالله (٢٥٥ – ٢٥٦ هـ) وكان كسابقيه ألعوبة فى أيدى الأتراك ، وخاصة « موسى بن بغا » . وفى عهده ثار العامة وثار الجند بسبب استيلاء « سليمان بن عبد الله ابن طاهر » أمير بغداد على رواتبهم ، وأشعل العلويون نار الثورة

---

(١) المسعودى – مروج الذهب ٢ – ٤٢٨ ، تاريخ الاسلام السياسى والثقافى والدينى ، دكتور حسن ابراهيم ٣ – ٢٤٦ .

(٢) الفخرى فى الآداب السلطانية – ابن طباطبا ص ٢٢٠ .

(٣) الكامل فى التاريخ – ابن الأثير ٧ – ٦٨ .

في كثير من البلاد ؛ وبدأت ثورة الزنج التي هددت الدولة زهاء خمس عشرة سنة (٢٥٥ ـ ٢٧٠ هـ) . وخرج الخوارج على الدولة؛ وتحدوا الخليفة ، يتزعمهم مساور الشاوري ، وقامت ثورات أخرى أهمها ثورة أحمد بن عيسى بن الشيخ ..

وهكذا أفلت زمام الموقف من المهتدي ؛ فلم يعد بقادر على أن يملك من أمور الدولة شيئا ، ووقع فريسة الثورات والمؤامرات .. وأصبح مسلوب الارادة والسلطة معا . وليس أدل على ما وصل اليه المهتدي من الضعف والمهانة من هذا الخبر الذي رواه الطبري ، قال (١) : « رفع المهتدي يديه الى السماء ثم قال : اللهم اني أبرأ اليك من فعل موسى بن بغا واخلاله بالثغر ... اللهم تول كيد من كايد المسلمين ، اللهم فآجرني بنيتي ؛ اذ عدمت صالح الأعوان .. ثم انحدرت دموعه يبكي » .

هكذا كان حال الخليفة المهتدي ؛ وهكذا كان عهده ، وسرعان ما أسر وخلع وعذب حتى مات (٢) .

وخلفه المعتمد على الله (٢٥٦ ـ ٢٧٩ هـ) الذي كان أول خليفة يقهر ويحجز عليه ويوكل به (٣) . فقد اعتلى العرش على أيدي الأتراك الذين أخرجوه من « الجوسق » الذي حبسه فيه المهتدي ؛ واستطاع أخوه « أبو أحمد الموفق » أن يشل يده عن مباشرة أمور الدولة فأصبح مسلوب الارادة ، وبلغ الضعف به نهايته ، فلم يكن له قدرة على الحل والربط ؛ فلم ير بدا من مصانعة الأتراك ؛ وبذلك صار مسلوب الارادة والسلطة ـ أمام أخيه والأتراك ـ جميعا .

---

(١) تاريخ الطبري ١١ ـ ١٧٣ .
(٢) الكامل في التاريخ ـ ابن الاثير ٧ ـ ٨٣ .
(٣) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٤٣ .

وحسبنا أن نقرأ بعض شعره فى وصف حاله وما وصل اليه ، لندرك أنه لم يكن يملك لنفسه نفعا .. حتى المال لا يجد منه حاجته ؛ فقد كان مجرد رمز فقط .

يقول المعتمد(١) :

أليس من العجائب ان مثلى — يرى ما قل ممتنعا عليه
وتوكل باسمه الدنيا جميعا — وما من ذاك شىء فى يديه
اليه تحمل الأموال طرا — ويمنع بعض ما يجبى اليه

ويصور لنا مدى بؤسه وتعاسته لما حجر عليه فيقول (٢) :

أصبحت لا أملك دفعا لما — أسام من خسف ومن ذلة
تمضى أمور الناس دونى ولا — يشعر بى فى ذكرها قلة
اذا اشتهيت الشىء ولوا به — عنى وقالوا هاهنا علة

– بقى المعتمد فى الخلافة – ثلاثا وعشرين سنة ، كانت عهد فتن واضطرابات ومحن وخطوب ، وقد تواترت الاشاعات بأنه مات مسموما(٣) .

تولى الخلافة المعتضد بالله (٢٧٩ – ٢٨٩ هـ) فى أعقاب المعتمد على الله ، وفى عهده انتعشت الدولة «وأحيا ما درس من أطلال الخلافة حتى أصبحت قوية مهيبة تخشاها الدول(٤) » ، غير أن

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٣٧٤ .

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٣٧٧ .

(٣) تاريخ ابن الاثير ٧ – ١٥٨ .

(٤) النظم الاسلامية – الدكتور حسن ابراهيم حسن ، وعلى ابراهيم حسن – الطبعة الثالثة ص ٥٥ .

عهده لم يخل من ثورات ناهضت الخلافة وأقلقتها .. ففى عهده خرج عمرو بن الليث الصفار واستولى على بعض بلاد فارس . وظهر القرامطة فى الكوفة بزعامة «حمدان قرمط» ، وفى البحرين بزعامة «أبى سعيد الجبائى» ـ الذى جمع أخباره الصولى ـ وظهر ابن حوشب فى اليمن ، ونشر الدعوة للمهدى الفاطمية فى بلاد « أبو عبد الله الشيعى » الذى نشر الدعوة الفاطمية فى بلاد المغرب .

مات المعتمد على الله وبعده المعتضد بالله ميتة طبيعية بعكس من سبقوهما من الخلفاء الذين فتك بهم الاتراك . ثم آلت الخلافة الى المكتفى بالله (٢٨٩ ـ ٢٩٥ هـ) الذى اتسم عهده بالهدوء السياسى ، ومن ثم اتجه الى الاصلاحات الداخلية فى الدولة ، غير أن فى عهده كثر الرياء والدهاء .. وكان فيه الهدوء الذى يسبق العاصفة . يصور لنا الصولى هذا الرياء والدهاء ـ خاصة فى محيط الوزراء والأمراء ـ فيقول عن « العباس بن الحسن » وزير المكتفى :

« ومن أعجب ما شاهدت من تقلب الدنيا وتصاريف الأمور ، أننى رأيت العباس بن الحسن فى أول الأربعاء قبل ان يموت الوزير القاسم بن عبيد الله ، وقد حضر الى داره وقبل يد ولده ، ثم فى آخر اليوم المذكور مات القاسم ، وخلع المكتفى على العباس ابن الحسن واستوزره ، فجاء ولد الوزير القاسم بن عبيد الله فقبل يده .. وكان العباس بن الحسن ذا دهاء ومكر .. ولم تكن سيرته محمودة .. وكان عاكفا على لذاته والأمور مهملة .. (١) »

توفى المكتفى بالله فخلفه أخوه المقتدر بالله (٢٩٥ ـ ٣٢٠ هـ). ولقد اختير لحداثة سنه ، وليكون أسلس قيادا ، وأقل خبرة ، ولم يلبث أن تآمر عليه «العباس بن الحسن» وأعوانه ، وتزعم

---

(١) الفخرى فى الآداب السلطانية ـ لابن طباطبا ص ٣٥١ .

الثورة ضده فخلع ، وبويع عبد الله بن المعتز بالخلافة .. الا أن هذه البيعة لم تدم غير يوم ، فسرعان ما استطاع أتباع المقتدر اعادته الى العرش ، « فاستوزر المقتدر بالله أبا الحسن على ابن الفرات ، وخلع عليه . فنهض بتسكين الفتنة أحسن نهوض ودبر الدولة فى يوم واحد ، وقرر القواعد واستمال الناس ، ولم يبت تلك الليلة الا والامور مستقيمة للمقتدر ، وأحوال دولته قد تمهدت (١) » .

يصف الصولى وزير المقتدر هذا بقوله «وكان أبو الحسن على بن الفرات من أجل الناس وأعظمهم كرما وجودا ، وكانت أيامه مواسم للناس (٢) » .

وعصر المقتدر رغم أنه دام حوالى ربع قرن ، الا أنه تميز بأنه عصر تقلب الوزارات ، فقد تولى فى عهده وزراء كثيرون ، عزل بعضهم ، وسجن البعض الآخر ، وقد وصف ابن الاثير الخليفة المقتدر بقوله : «انه كان دائم الرجوع الى قول النساء والخدم والتصرف وفق ارادتهن ، حتى لقد أصبح الأمر والنهى بيد أمه التى يطلق عليها المؤرخون اسم « السيدة » (٣) . وفى عهده كثر الخدم - حيث استكثر منهم كثرة مفرطة . فكان عنده أحد عشر ألف خادم من الروم والسودان ، وصار يستعين بهم ويحتمى بكبارهم حتى ولاهم قيادة الجند ، بل أخذ منهم مستشارين من أمثال «مؤنس» الذى انقلب يتصرف فى مصالح الدولة كما يشاء خصوصا بعد أن أخمد الفتنة التىقصد بها تنصيب عبدالله بنالمعتز خليفة للمسلمين . وما لبث مؤنس أن تولى قيادة الجيش وامارة

(١) الفخرى فى الآداب السلطانية - لابن طباطبا ص ٢٦٠ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) الكامل فى التاريخ - لابن الأثير ٨ - ٢٥ .

الامراء وبيوت المال ثم استبد بكل شىء فى الدولة وتكبر وتجبر ، وقامت بينه وبين الخليفة الخلافات التى أدت الى حروب عدة ، انتهت بقتل المقتدر نفسه ، وقطع رأسه وحملها الى مؤنس ، ومكثت جثته مرمية على قارعة الطريق امعانا فى التنكيل ، لا يجسر أحد على دفنها خوفا من الانتقام ، حتى اجتاز رجل شوكى فرأى سوءته بادية فألقى عليها حزمة شوك فغطاها بها(١) .

وورث القاهر بالله (٣٢٠ – ٣٢٢ هـ) الخلافة ، فورث الفتن الداخلية والحروب ، وانقلب عليه بعض كبـــار دولته ، خاصة «مؤنس» ووزيره «ابن مقلة» وعقدوا العزم على خلعه ، فلما أحس القاهر بذلك عمل على التخلص منهم ، فتحيل عليهم الى أن أمسكهم وذبحهم(٢) .

ولكن حظه لم يكن أقل سوءا ممن سبقوه من الخلفاء ، فقد سمل وحبس مدة ، ثم أفرج عنه ، لما ساءت حالته . حتى أنه خرج يجمع الصدقة بجامع المنصور(٣) .

ومع بداية القرن الرابع الهجرى نلمس عوامل أخرى زادت من ضعف الدولة العباسية (٤) :

الأول والأهم : تفاقم خطر الدويلات المنشقة المستقلة .

والثانى : بداية عهد أمراء الأمراء وسيطرتهم على الدولة .

فلقد كان مطلع القرن الرابع والحالة السيئة التى وصـــلت اليها الدولة العباسية بيئة صالحة لنمو كثير من العنـــاصر التى

---

(١) الفخرى لابن طباطبا ص ٣٦٠ .

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٢٥٧ .

(٣) الفخرى لابن طباطبا ص ٢٤٩ .

(٤) تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى – د. حسن ابراهيم ٣ – ٢٦ .

ناوأت الخلافة ، فقد قامت فى أطراف البـــلاد دويلات عدة نظرا لزيادة نفوذ أمرائها وحكامها ..

ففى فارس ازدادت شوكة عماد الدولة أبى الحسن على بن بويه (٣٢٠ ـ ٣٣٨ هـ) وأصبحت الرى وأصبهان وبلاد الجبل فى يد أخيه ركن الدولة الحسن بن بويه (٣٢٠ ـ ٣٦٦ هـ) وفى العراق والأهواز معز الدولة أبو الحسين أحمد (٣٢٠ ـ ٣٥٦ هـ) واستقل الحمدانيون بالموصل وديار بكر ـ وربيعة ومعز (٣١٧ ـ ٣٩٤ هـ) أما مصر والشام فقـد استقل بها ثانيا (١) محمد بن طغج الأخشيد (٣٢٣ ـ ٣٥٨ هـ) وكان نصر بن أحمد السامانى قد استقل بخراسان وأقام بها الدولة السامانية (٢٦١ ـ ٣٨٩ هـ) وفى الأندلس أعلن عبد الرحمن الثالث نفسه خليفة ، وتلقب بأمير المؤمنين الناصر لدين الله (٣٠٠ ـ ٣٥٠ هـ) وهكذا تفتتت الدولة وانقسمت ..

هذا فى عهد الراضى بالله (٣٢٢ ـ ٣٢٩ هـ) فاذا أضفنا الى ذلك ـ أنه استعان فى ادارة شئون دولته ببعض وزراء ضعاف من أمثال « أبى على بن مقلة » الذى ثار عليه الجند ، وقامت فى البلاد بسببه فتنة عظيمة ، انتهت بعزله . وعبد الرحمن بن عيسى ابن داود بن الجراح ، الذى ظهر عجزه عن ادارة شئون البلاد . وأبى جعفر محمد بن القاسم الكرخى، الذى كان ضعيف الجانب، واضطر الى الاختفاء حتى لا يلحق به أذى الأهلين (٢) ، وسليمان ابن الحسن بن مخلد . الذى لم يستطع النهوض بأعباء الحكم ، نظرا لازدياد نفوذ القواد ، وتدخلهم فى أمور الدولة حتى أن الراضى

---

(١) كان الطولونيون قد استقلوا بهما من قبل فى الفترة من سنة ٢٤٥ الى سنة ٢[illegible] هـ

(٢) الفخرى فى الآداب السلطانية ـ ابن طباطبا ص ٣٨٣ ـ ٣٨٤ .

اضطر فى النهاية الى استمالة ابن رائق والى واسط والبصرة وأكبر الأمراء والقواد ، وسلمه مقاليد الحكم وأمور الدولة جميعها « ورتبه أمير الأمراء فانضم اليه أمراء العسكر وصارو حزبا واحدا وحضروا بين يدى الخليفة ، فأجلسهم فوق الوزير (١) » .

وازدادت سلطة « ابن رائق » وأصبح بيده تولية الولاة وعزلهم ، بعد أن ترك له الخليفة الأمر « ورد اليه تدبير أعمال الخراج والضياع وأعمال المعاون فى جميع النواحى ، وفوض اليه تدبير المملكة ، وأمر بأن يخطب له على جميع المنابر فى الممالك وأن يكنى ، وأنفذ اليه الخلع واللواء (٢) » وصار « ابن رائق » وكاتبه ينظران فى شئون الدولة جميعها ، وصارت أموال النواحى تحمل الى خزائن الأمراء فيأمرون وينهون فيها ، وينفقونها كما يرون ، ويطلقون لنفقات السلطان ما يريدون .. وهكذا صارت لابن رائق السلطة العليا فى الدولة وقيد بذلك سلطة الخليفة .

ولا شك أن ذلك كان يحز فى نفس الراضى ، ولكنه لم يكن ليستطيع أن يفعل شيئا والدولة تكاد تنهار من ناحية ، ولخوفه من بطش الأتراك ومكائدهم من ناحية أخرى .. أقصى ما كان يستطيع أن يفعله الراضى — كما يقول الصولى — أن ينفس عن نفسه وأحزانه بنظم أبيات من الشعر يعرض فيها بابن رائق وتسلطه وغطرسته من مثل قوله (٣) :

ما بال احسانى اذا أصحبته
خلل الرجال يصير مثل اساءتى

(١) الفخرى فى الآداب السلطانية ص ٣٨٤ .

(٢) تجارب الأمم ابن مسكويه ١ — ٣٥١ .

(٣) أخبار الراضى بالله — للصولى ص ١٦٣ .

ما ان كففت أذيـــة الا هـــوت
نحـوى بكف تجـاوزى وأناتى

فلذاك أصـــبر صـــبر عاف عاقل
وأهتـــك المـذعور فى رثبـــاتى

فاذا غفلت عن الكفـور فانمـا
أهـــدى اليه الحتف من غفلاتى

على أن هـــذا الشعر كان ينشـــد سرا ولا يعلم به الا أقرب المقربين وأخلصـــهم وأقدرهم على كتمانه حرصـــا على الخليفـــة نفســه .

ولم يلبث نفوذ « ابن رائق » أن ضعف ســنة ٣٢٦ هـ من جراء منافسة الأمراء له . وانتقل الصراع الداخلى فى الدولة — فبعد أن كان بين الخلفاء وكبار القادة والأمراء — أصبح بين أمير الأمراء وكبار القواد ..

فقد حاربه « أبو عبد الله البريدى » صاحب الأهواز ، كمـــا خرج عليه « بجكم » أحـــد قواده وحاربه وأجهز عليه ، ودخـــل بغداد سنة ٣٢٧ هـ . فسر الراضى بمقتله ، وولى « بجكم » امرة الأمراء ، وانتهى بذلك نفوذ « ابن رائق » واستبداده وتســـلطه وطغيانه .

تولى « بجكم » الســـلطة في الدولة زهاء ســـنتين (٣٢٧ — ٣٢٩ هـ) غير أن الحالة فى عهده لم تكن بأحسن منها فى عهد من سبقوه . وصف الصولى الحياة فى بغداد فى تلك الفترة التى تقلد فيها بجكم امرة الأمراء فقال (١) :

(١) أخبار الراضى بالله للصولى ص ١٣٣ — ١٣٥ .

« ان العامة عاثوا فى الأرض فسادا ، وانقضوا على الحمامات العامة ، وأخذوا ثياب من فيها ، وكثرت المصادرات ، وتفاقم شر اللصوص الذين تسلحوا بالعدد لكبس الدور ليلا ، وشكا الناس من غير جدوى الى « بجكم » ما أحله بهم أصحابه من بلاء .. وانتشرت الفوضى والمنازعات ، وساءت أحوال البلاد »

ولقد وصلت الدولة العباسية فى أخريات عهد الراضى وتحت امرة بجكم — الى الضعف بحيث لم يتمكن الخليفة من دفع أرزاق الجند ، ولا من الحصول على ما يكفيه .. ففكر فى الاستنجاد بأبى عبد الله الحسن البريدى ، وظلت الحياة فى بغداد على ما هى عليه حتى توفى الراضى بالله سنة ٣٢٩ هـ .

ثم تولى الخلافة المتقى لله (٣٢٩ — ٣٣٣ هـ) . وسرعان ما تتابعت النكبات على بجكم وأخذ نجمه فى الأفول ، وانتهت هذه النكبات بقتله . ولكن ذلك لم ينه عهد نفوذ الأتراك ، فقد دخل « أبو الحسن البريدى » واسط ثم بغداد فى جيش كثيف من الأتراك والديلم ، واستولى على دار الخلافة ، وقلد الوزارة « أبا عبد الله البريدى » فهرب « المتقى لله » وابنه الى الموصل خوفا من القتل أو التنكيل على أيدى أصحاب البريدى الذين دخلوا دار الخلافة ونهبوا ما فيها (١) .

استولى البريديون على السلطة الفعلية للدولة ، وأصبح بيدهم الأمر والنهى يقتلون كل من يقف فى طريقهم ، ويصادرون أموال من يشاءون ، وحاولوا التقرب الى الشعب ولكنهم لم يظفروا بمحبته ، وسرعان ما لاقوا فى بغداد مقاومة عنيفة . وساءت أحوال الدولة فى عهدهم ، وتعاقب على الوزارة وزراء عديدون ، ولكنها كانت عبئا ثقيلا على كواهلهم ، حتى استوزر

---

(١) أخبار المتقى لله للصولى ص ١٩٧ — ٢٠٠ .

المتقى بالله ـ وهو فى منفاه ـ أبا اسحق محمد بن ابراهيم الاسكافى المعروف بالقراريطى ، فأشار على الخليفة بأن يعين « كورتين » أميرا للجيش ففعل ، وسرعان ما أرسله المتقى على رأس جيش كبير هزم البريديين وأخرجهم من واسط (١) ، وأعاد القراريطى الخليفة المتقى لله الى دار الخلافة ببغداد سنة ٣٣٠ هـ ؛ بعد أن غاب عنها ـ كما يقول الصولى ـ ثلاثة أشهر وعشرين يوما . ثم قلد توزون شرطة بغداد .

وسطع نجم بنى حمدان فى أفق الدولة العباسية ، واعتقد المتقى لله أن الحمدانيين سيسندون ظهره ويحمون عرشه ، فخلع على الحسن بن عبد الله وطوقه وسوره بسوارين وسماه « ناصر الدولة » كما خلع على أخيه أبى الحسن ولقبه « سيف الدولة » . على أن حالة بغداد فى عهد الحمدانيين ـ الذين عرفوا بتشجيع الأدباء والشعراء بعطاياهم ـ لم تكن أحسن منها فى عهد من سبقوهم .

يصور الصولى حال البلاد فى عهدهم (٣٣٠ ـ ٣٣١ هـ) فيقول (٢) :

« كثرت المتلصصة ببغداد ، وكبست دور المياسير ، وخرج الناس عن بغداد هاربين الى كل وجه على انسداد طرقهم ، ولو أمنوا لخرج أضعاف من خرج ، وغلت الأسعار غلاء عظيما ، ومات الناس جوعا ووقع فيهم الوباء ، فكانوا يبقون على الطريق أياما لا يدفنون حتى أكلت الكلاب بعضهم ، وكثر الجراد فى هذا الوقت ؛ فصاده الناس ، وانتفع الضعفاء بأكله وصيده ؛ وكان

---

(١) أخبار المتقى لله للصولى ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥ .

(٢) أخبار المتقى لله للصولى ص ٢٣٤ ـ ٢٣٧ .

نعمة من نعم الله جل وعلا .. وغلت الأسعار وعز كل شيء من سائر الأطعمة والملبوس » .

أما عن استبدادهم — وخاصة ناصر الدولة الحمداني — بالحكم وبالخليفة المتقي فيقول (١) :

« وضيق ناصر الدولة على المتقي لله في نفقاته وعلى أهل داره ، وانتزع ضياعه وضياع والدته ، فجعلها في جملته ، واقتصر به على أجزاء يسيرة .. » .

على أن عهد المتقي لله لم يطل ، فلم يدم الصفاء بينه وبين توزون — الذي أصدر حكمه عليه بالعزل والسمل والموت .. ونفذه .

يصور لنا الصولي المشهد الأخير من حياة المتقي لله فيقول (٢) :

« ان توزون ألقى القبض على المتقي لله في شهر صفر سنة ٣٣٣ هـ ، وأخذ الخاتم من يده واستخرج عبد الله بن المكتفي لله ، فألبسه ثيابا جاء بها معه ، ودفع اليه الخاتم ، فصار الى مضرب الأمير فعقد له الأمر ، وكحل (٣) المتقي فصاح ، فأمر أصحاب الدبادب (٤) فضربوا بها ، فصاح فلم يسمع صياحه ، بعد أن خلع نفسه (٥) ؛ وسلم الأمر الى أبي القاسم عبد الله بن المكتفي ؛ فكانت خلافة المتقي لله ثلاث سنين وأحد عشر شهرا » .

---

(١) أخبار المتقي لله للصولي ص ٢٣٥ .

(٢) أخبار المتقي لله للصولي ص ٢٨٢ .

(٣) كحل : سمل عينيه أي فقأها .

(٤) الدبادب : الطبول .

(٥) أخبار المتقي لله للصولي ص ٢٨٣ . الكامل في التاريخ لابن الاثير ٨ — ١٤٩ .

وهكذا انتقلت السلطة الفعلية فى الدولة الى الأمير توزون ، وأصبح عبد الله بن المكتفى ـ الذى تسمى بالمستكفى بالله (٣٣٣ ـ ٣٣٤ هـ) ألعوبة فى يده ، حتى أن توزون ضم اليه غلاما تركيا من غلمانه يقف بين يديه (١) للوقوف على أسراره ولمعرفة ما يجرى فى قصر الخلافة من أمور .

ولم تطل حياة « توزون » فمات فى أوائل عهد المستكفى بالله سنة ٣٣٤ هـ ، فخلفه فى امرة الأمراء « أبو جعفر بن شيرزاد » الذى كان ـ كما وصفه الصولى ـ من أحسن الأمراء سياسة ، الا أنه لم يكن أقل عنتا ممن سبقوه .

ولم تطل أيضا خلافة المستكفى بالله ، فقد جلس على العرش سنة وأربعة أشهر ، ثم سقطت بغداد فى يد « معز الدولة ابن بويه » الذى لم يكد يستقر بها حتى حجر على المستكفى بالله وسمل عينيه ، واستدعى «الفضل بن المقتدر» وبايعه بالخلافة ، ولقبه « بالمطيع لله » (٣٣٤ ـ ٣٦٣ هـ) .

ولم يكن للخليفة فى عهد البوهيين شىء من النفوذ ، لذلك فهم لم يدخروا وسعا فى تقوية نفوذهم وسلب السلطة من يد الخلفاء .

هكذا كانت الحياة السياسية فى عصر الصولى ، وهكذا كانت حالة الدولة العباسية .. وعلى هذا المنوال السىء سارت .. اللهم اذا استثنينا فترات قصيرة من الهدوء والركود ـ كان يتاح فيها للدولة خليفة يواجه المحن ، فتسكن الفتن ، ويستقيم أمر الولاه والعمال بعض الاستقامة ، ويخشاه أعداء الدولة فى الخارج ،

---

(١) مروج الذهب ـ المسعودى ٢ ـ ٥٤١ .

والمتآمرون الانتهازيون فى الداخل ، حتى اذا قضى نحبه وانتهى أجله ، عادت الفتن وعاد الفساد أشد مما كان من قبله ..

وهكذا كان عصر الصولى ــ الذى ولد ونشأ وعاش فيه ــ عصر اضطراب ومحن سياسية ودسائس وحروب وصراع داخلى من أجل السلطة ، ومحاولة للسيطرة على مقاليد الحكم وأموال الدولة ، وصراع خارجى من أجل استقطاع أجزاء من الدولة ، وتكوين دويلات أو امارات مستقلة انتشرت فيه الجاسوسية والدس والقتل والارهاب بين الخلفاء والوزراء والقواد وأمراء الأمراء والرقيق والخدم ، فساءت الأحكام والأحوال العامة ، وتكاثر الفساد بسبب ذلك وعمت الرشوة والمصادرة والفتك ، فأصبح الناس يخافون على أرواحهم وممتلكاتهم وأموالهم ؛ وأصبحت البلاد فى حالة من الفوضى ، ليس فيها أمن المقام ، ولا طيب العيش ، واشتعلت الخصومات والمنازعات بين الأفراد .

هذا الجو المشحون بالمكائد ، والملبد بالدسائس ، دفع الصولى وأضرابه ــ الذين لا يحبون العمل بالسياسة ــ الى أن يبتعدوا عن هذا الجو الغريب ، وأن يعتزلوا بمنأى عن التيارات السياسية ويتفرغوا للعلم والأدب ، ويعتكفوا ــ فى وقت فراغهم ــ على التدوين والتأليف والتصنيف ، خدمة للعلماء والأدباء وطلاب المعرفة .. وليكونوا بمنجاة من الدسائس والوشايات التى سادت فى العصر .

● الفصـل الثـانى

الحياة الاجتماعية

ورث عصر الصـــولى حضـــارات العرب والفرس والروم ، وأساليب اللهو فى هـــذه الأمم ، وفى الأمم الأخرى التى اتصلت بها من ترك وهند وصين ، وتجمعت الأموال بكثرة مفرطة فى أيدى الخلفاء والأمراء والوزراء وجباة الخراج ٠٠ فبلغ الترف فيه ذروته فى جميع فروع الحيـــاة ٠ فكانت بغـــداد ــ وهى حاضرة الخلافة العباسية ومركزها السياسى والاجتماعى ــ صورة واضحة لحياة الترف والثراء « اذ كانت بحق مدينة القصـــور المشـــيدة بالمرمر وكانت العمائر فيهـــا مؤلفة من عدة طبقـــات ، وكان تأثير الذوق الفارسى ظاهرا جليا فى زخرفها ، وكانت تعلق على النوافذ والابواب ستور مزركشة ، وحرائر مشـــجرة ، أما الغرف فـــكانت مزدانة بالدواوين النفيســـة ، والمناضـــد الثمينة ، والزهريات الخزفية والمرصعات والمذهبات (١) » ٠

---

(١) مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامى ــ لسيد أمير على ، ترجمة رياض رأفت ص ٣٨٤ ٠

ومما بصور الحياة العباسية المترفة ما ذكرته المصادر القديمة عن الخلفاء ومعيشتهم وقصورهم وحدائقهم ، فقد ذكر الخطيب البغدادى (١) « أن قصور المقتدر كانت تحوى العديد من ستور الديباج المذهبة بالطرز الجليلة ، المصورة بالجامات والفيلة والخيل والجمال والسباع » وذكر أيضا « أنه كان بأحد قصوره بركة رصاص حولها بستان بميادين فيها نخيل ، قيل ان عدده أربعمائة نخلة ، وطول كل واحدة خمسة أذرع ، قد لبس جميعها ساجا منقوشا ، من أصلها الى حد الطلع بحلق من شبه مذهبة » .

وكانت خزائن ماله تحوى بضعة عشر ألف ألف دينار ، أما خزانة الجواهر « فكانت مترعة بالجواهر النفيسة ، فمن جملتها الفص الياقوت الذى اشتراه الرشيد بثلاثمائة ألف دينار ، والدرة اليتيمة التى كان وزنها ثلاثة مثاقيل ، الى غير ذلك من الجواهر (٢) » .

ولم يكن الترف والثراء الفاحش وقفا على الخلفاء والأمراء وحدهم ، بل ان الوزراء أيضا كانوا يعيشون فى رغد من العيش فقد أصابهم ما أصاب خلفاءهم من الترف جزءا كبيرا ، فتذكر المصادر أن الوزير أبا الحسن بن الفرات ـ الذى طالما مدحه الصولى ـ أنفق على الدار التى كان يقطنها فى وزارته الثانية ثلاثمائة ألف دينار ، وأنه لما أمر باصلاحها بلغت النفقة خمسين ألف دينار (٣) .

ونتيجة للفتوحات وكثرة الأموال وانتشار الحضارة .. كثر الرقيق كثرة مفرطة .. واستكثر المترفون والمنعمون منهم ،

---

(١) تاريخ بغداد ١ ـ ١٠٠ .

(٢) الفخرى لابن طباطبا ص ٣٤٨ .

(٣) الوزراء ـ للهلال بن المحسن ص ١٧٩ (طبع بيروت) .

فامتلأت بهم قصور الخلفاء والأمراء والوزراء والقواد وعلية القوم • وكان الرقيق يباع ويشترى ، وكانت بغداد أعظم سوق فى الشرق لتجارته ، وكان يجلب من بلاد الزنج وافريقيا والهند الى جانب ما يجلب نتيجة للأسر فى الحروب • وقد ارتقى بعض هؤلاء الأرقاء الرقيق حتى وصل الى مناصب كبرى فى الدولة وفى بعض دواوين الخلافة • فاتخذ الخلفاء منهم قادة للجند مثل « مؤنس » ، وولاة للامارات مثـــل « مردواج » و « بجكم » ، بل منهم من تلقب بأمير الأمير مثل « ابن رائق » و « توزون » وكورتين وغيرهم • وقد أدت الزيادة فى استخدام الرقيق الى الزيادة فى المنافســات واحداث العديد من الفتن والاضطرابات ، حيث تسلطوا على الدولة ، وآلت اليهم السلطة الفعلية فيهـا ، وصار بيــدهم الأمر كله والنهى ، فكان الرقيق التركى – فى عصر الصولى – ليس مصــدر حماية للخلفاء كما كانوا يعتقدون ، بل مصدر شقاء وعناء وكيد وبطش ومصادرات واغتيالات •

واتخــذ القوم لأنفســـهم ندماء لكى يروحوا عن أنفسهم ، ويدخلوا البهجة على قلوبهم ، أولئك الناس الذين يجمعــون بين آداب شتى ، ومعارف جمة ، ويتقنون الحــديث ، وسرد الأخبــار ، وقص الحكايات ، ورواية الأشعار ، والقاء النكات ولعب الشطرنج ، وغير ذلك من الفنون • كثر فى هـــذا العصر الندماء ، وتخير كل خليفة نديما يتصف بصفة بارزة ترضيه وتعجبه ؛ وتسرى عنه ، فمنهم من رغب فى لاعبى الشطرنج ، ومنهم من رغب فى المغنين والمغنيات ، ومنهم من اختار المضحكين أصحاب الفكاهة والنكات ، ومنهم من جمع بين هؤلاء جميعا •

ولقد كان للندماء قيمة كبيرة فى ذلك العصر ، بل لقد كان الخلفــاء والوزراء والأمــراء يتسابقون على اقتنائهم واســـتحواذهم لأنفسهم ، لذلك عرف الندماء قدر أنفسهم ومكانتهم عند الخلفاء ،

فكانوا يترفعون ويرتفعون بأنفسهم عن كل ما يمس شرفهم أو يحط من قدرهم • وكان الخلفاء يغدقون عليهم العطايا والصلات الفاخرة • وقد قدمت لنا المصادر القديمة العديد من المنادمات التى كانت تقام فى قصور الخلفاء ، وما كان يدور فيها من رواية الأخبار وانشاد الأشعار ، وكان للصولى مشاركات دائمة وبارزة فى هذه المجالس ، ظهرت بوضوح فى كتاباته المختلفة خصوصا تلك التى تتصل بحياته فى قصور الخلفاء •

وشاعت فنون الخلاعة والمجون ، وأصبح لكل ضرب من ضروب اللهو علم يعرف علماؤه والمتفننون فيه ، ويقرب أهله الى الخلفاء وذوى الرياسة حتى الرقص والغناء • فكان لكل خليفة فى قصره مغنون ومغنيات ، وقيان وراقصات ، جعلوا من ليلهم نهارا وجعلوا حياتهم وحفلاتهم الساهرة عامرة بالعديد من ألوان اللهو والطرب بالاضافة الى ألوان المأكل والمشرب • وكانت حفلات الطرب واللهو ومجالس الأنس هذه ، يغشاها الأدباء وأرباب الفنون والعديد من الشعراء ، وكانت ينبوعا ثريا للشعر وما يتبعه من لطيف الملح والنوادر • وليس هذا فحسب ، بل كان الملحنون من أمثال الطنبوريين (١) وغيرهم ؛ يلحنون ما تجود به قرائح الشعراء والخلفاء فى المناسبات المختلفة •

وبعث التأنق فى الحياة الى استحداث آداب المجالس ، وآداب السمر ؛ وآداب المائدة وأصبح للقوم فى هذه الآداب ما لم تتحدث بمثله المصادر ملوك رومة وبيزنطة وفارس • فكان من الرؤساء والوزراء من لا يأكل لقمتين بملعقة واحدة • كما قيل عن الوزير المهلبى ــ « انه كان من ظرفه فى فعله ونظافته فى مأكله أنه اذا أراد أكل شىء بملعقة كالأرز واللبن وأمثاله ، وقف

---

(١) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٤٦ •

فى جانبه الآيمن غلام معه نحو ثلاثين ملعقة زجاجا مجرودا ، وكان يستعمله كثيرا ، فيأخذ منه ملعقة يأكل بها من ذلك اللون لقمة ، ثم يدفعها الى غلام آخر قائم فى الجانب الأيسر ، ثم يأخذ أخرى يفعل بها فعل الأولى ، حتى ينال الكفاية ، لئلا يعيد الملعقة الى فيه دفعة ثانية (١) .

وتفنن القوم فى الطهو وفى أصناف الحلوى ، وكان الخلفاء لا يتناولونها الا بعد أن يصفها لهم الجلساء والندماء ، ويبالغون فى حلاوتها وصناعتها ، ويذكروا كل ما قاله الشعراء فيها ، فوصفوا الخبيصة والقطائف والفطائر وأطاييب الطعام الأخرى . وللصولى مقطعات حول هذه الأطعمة والحلوى .

كما تواضعوا على تصميم الملابس وزركشتها وتطريزها بالمذهبات وتنويعها حسب المناسبات والاحتفالات . ولقد احتفل الخلفاء فى هذا العصر — لا بالأعياد الاسلامية فقط — بل أيضا بالأعياد الفارسية كعيد النيروز ، وأعياد الأتراك . وأكثر الشعراء فى مديحهم فى هذه المناسبات . وشارك الصولى فى هذا أيضا ، فله قصيدة زائية رائعة يمدح فيها الراضى بالله . ويهنئه بعيد النيروز (٢) .

وتشبه الأوساط وبعض الفقراء بعلية القوم وأغنيائهم ،

---

(١) أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم للمقدسى — ص ١٢٢ طبعة ليدن .

(٢) وهى قصيدة مطلعها :

بارك الله للأمير أبى ال ... عباس خير الموك فى النيروز

وأراه أولاده الغر أجدا ... را بملك نام وعز عزيز

أنظر أخبار الراضى بالله للصولى ص ٣١ وما بعدها حيث يتحدث الصولى عن مناسبتها .

فكثرت الحانات وبيوت القيان ، وأدمنت المعاقرة صبوحا وغبوقا . وشاع اقتناء الجوارى والغلمان ، واستبيحت اللذات على أنواعها مألوفها وغير مألوفها ، طبيعها وشاذها ، طيبها وخبيثها ، وتكشفت الوجوه وقل الحيـاء واستشرى الفساد ، بعد أن صار الحكام والولاة هم قدوة الناس فى هذه الأفانين .

وتهالك الناس أيضا وتراموا — على أعتاب القصور والدور — على العمالة والكتابة وسائر الوظائف الدائمة التى تدر مالا ثابتا ، وتؤخذ رواتبها من الجبايات والرشى والاسلاب .

وكانت قد تحطمت الحواجز والحـدود من قبـل ، وتغيرت الحياة الاجتماعية من حيث الزواج والمصاهرة ، فامتزج الدم العربى بالدم الفارسى بالدم التركى بغيره من الدماء الأخرى ، فنجد كثيرا من أمهات الخلفاء والأمراء من أصل فارسى أو تركى أو رومى ، كما اتخذ الخلفاء من السبايا والأماء الأجانب زوجات لهم ، وكان لبعضهن نفوذ ودل وسيطرة على قلوب الخلفاء والأمراء والوزراء . واختفت النعرة العربية القـديمة التى كانت تدعـــو الى التعـالى والترفع عن مصاهرة غير العرب ، وكان الزواج يتم أحيانا لأغراض سياسية ، أو منعا للمكائد ، مثلمـا حدث من زواج ابنة البريدى الوزير من ابن المتقى لله الخليفة .

وكانت تقام حفلات الزواج بطريقة تدل على الثراء والترف ، فكانت تنثر الدنانير الذهبية والدراهم على الناس وكأنها مطر — تيمنا وغبطة ، ولقد ذكر الصولى أنه فى زواج ابن المتقى من ابنة البريدى نثر على الناس خمسة آلاف دينار ومائة ألف درهـم ، وقد وصف الشعراء ذلك فى قصائدهم ، وصور الصولى ذلك أعظم تصوير فقال (١) :

---

(١) أخبار المتقى لله للصولى ص ٢٠٢ .

أمطرتنا السماء فيه بيمن
وسماح منه لجينا وتبرا

فالدنانير هاويات تحاكى
أنجما فى السماء تنقض زهرا

وتليها دراهم مشبهات
أبردا تملأ الأماكن نشرا

واذا كانت الحياة الاجتماعية على هذا النمط فى قصور الخلفاء ، متأثرة ومتشبهة بالشعوب المفتوحة والأمم المتحضرة .. واذا كان الترف والثراء قد انعكس على حياة المجتمع العباسى — فى هذا العصر — من حيث سكنى القصور والمظاهر والمأكل والمشرب والملبس وجميع مظاهر الحياة الأخرى .. فليس معنى ذلك أن عصر الصولى عاش على هذا النمط ، وسار على هذه الوتيرة ، أو أن هذه هى طبيعته التى عاشها كل الناس .. بل ان هذا الترف فى قصور الخلفاء والوزراء والأمراء كان يقابله فقر مدقع، وحرمان شديد عند آلاف العامة ، فأدى هذا الترف الى الفوضى السياسية ، وانحلال المجتمع ، كما كان الدافع الأساسى الى ثورة الشعب نتيجة للشقة الهائلة بين طبقات المجتمع ، ووجود الفارق الكبير بين الطبقتين : الطبقة المترفة ، والطبقة المعدمة ، ترف القلة وبذخهم .. وحرمان الكثرة وبؤسهم ؛ ثراء فاحش فى قصور الحكام .. وفقر قاتل فى بيوت الشعب .. حتى لقد وجد من أفراد الشعب — كما يقول الصولى — من لا يجدون قوت يومهم ، ومن كانت حياتهم ضنكا وحرمانا وبؤسا وشقاء .. ولقد أدى الفقر والحرمان الى زهد القلة وفساد الكثرة ، فخرجت هذه الحياة البائسة العديد من الزهاد الذين ألجأهم الفقر الى الله ، وقد اعتكفوا فى المساجد وزهدوا فى الحياة وكرهوها ، ورضوا بما قسم الله لهم فى دنياهم ، آملين فيما ينتظرهم فى آخرتهم من ثواب الله ،

ولكن هذه الأوضاع ، وهــذه الحياة لم يــكن لتعجب غيرهم ممن رفض الاستسلام ، وحيـــاة الذل والاستكانة والفقر والمهـانة ، فخرج مشمرا عن ساعديه ، ينتزع حقه بيديه ، طالبا حق الحياة ، آبيا الخضوع والخنوع ، فكان يأخذ حقه من الأثرياء عنوة بالهجوم على القوافل وعلى القصور ، خاطفا ما تستطيع أن تصـــل اليه يداه، وهكذا انتشرت السرقة ، وساد النهب والسطو والقتل ، واشتعلت الثـــورات ، ثورة فى اثر ثورة ، وكلما أخمــدت ثورة فى مكان اشــتعلت أخرى فى مــكان آخر ، واختلفت الثورات وتعــددت باختلاف الدوافع والاغراض ٠وأهم هذه الثورات جميعا ــ ثورة الزنج (٢٥٥ ــ ٢٧٠ هـ) حيث آختلطت فيها الأسباب السياسية بالأسباب الاجتماعية ، وكان أقوى دوافعها الانتقام من المترفين وذوى الثراء ؛ والحصول على الحقــوق الانســانية ؛ فاســتمال صاحبها العبيد (١) الذين كانوا يشتغلون بحمل السباخ ، وقد أخذ يذكرهم بما هم فيه من سوء الحال ووعدهم بتحرير رقابهم وتمليكهم الأموال والمنازل ، فكانت من أهم الثورات الاشـــتراكية والشعبية فى العصر٠ولقد كانت هذه الثورة من العنف والقوة حتى انها أقلقت نوم الخلفاء وزعزعت عرشهم فواجهوها بقوة ؛ حتى لقـد قتل بسببها ــ كما يقول السيوطى (٢) ــ من المسلمين ألف ألف وخمسمائة ألف آدمى ، وقتل فى يوم واحد بالبصرة ثلاثمائة ألف ٠ وشاءت الأقدار أن تزيد المحن شدة فوق شدة ؛ فحدث ابان هــذه الثورة هزات وزلازل فمات تحت الردم ألوف من الناس (٣)

ويقول الصولى (٤) : « وشغب العامة لغلاء السعر فى مسجد

---

(١) الفخرى لابن طباطبا ص ٢٢٧ ٠

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٣٧٣ ٠

(٣) تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٣٧٢ ٠

(٤) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٧١ ٠

الرصافة ، ودخل الجند فى طلبهم الى الصحن ، فصعدوا الى السطوح ، وغتوا الفرسان بالحجارة حتى هربوا •• وحارب الجند العامة بباب الطاق ، فأخذ السلطان جماعة فضربهم بالسياط •• وأشار الوزير بأن يسعر المكوك من الدقيق بثلاثة دراهم ، فما نفع ذلك •• ونادى بأن يتعامل الناس بالغليظ من الدراهم والممسوح طلبا للرفق بهم » •

واشتعلت أيضا ثورات الهاشميين ؛ واتخذوا من المساجد موقدا لها •• وسودوا وجوههم ومنعوا الأئمة أيام الجمع من الصلاة (١) • وانتشرت المنشورات السرية فى البلاد نتيجة للسرقات والاختلاسات ، وقامت بسببها وبغيرها من الأسباب المصادرات • يقول الصولى (٢) : « ووجه الوزير الى منازل أبى الفرج بن حفص وولده فكبسهم فيها ، وطلبهم فلم يوجدوا ، فهدم دورهم ؛ وجمر نخيلهم ، ونقل ما وجد لهم من الأثاث ؛ وكان ذلك لرقعة زعموا وجدت فيها تضمن بابن حفص للوزير وجماعة معه بمال خطير » • ولم تكن المصادرات مقيدة أو مقصورة على بعض دون البعض ، بل شاملة للجميع ؛ فصادر الخلفاء : الوزراء والأمراء والولاه؛ بل صادر بعضهم البعض ؛ فكان اللاحقون يصادرون أموال السابقين وزوجاتهم وأمهات أولادهم ؛ فقد « صادر القاهر جماعة من أمهات أولاد المقتدر ؛ وصادر أم المقتدر واستخرج منها مائة وثلاثين ألف دينار » (٣) •

وكثرت المكائد والتحلل من الوعود والعهود ، ولم يكن هناك حرص حتى من الخلفاء على الوفاء بالعهود (٤) ؛ وساعدهم على ذلك

(١) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٦٦ •

(٢) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٦٦ •

(٣) الفخرى لابن طباطبا ص ٣٧٤ •

(٤) كتاب الامامة والسياسة لابن قتيبة (فى الجزء الثانى العديد من الأمثلة) •

أن الفقهاء ورجال الدين كانوا يعينون الخلفاء على التحلل من تلك العهود بالفتاوى التى تنقض الأمان فى غير ورع أو خشية من الله ؛ فكان فى ذلك فساد للمجتمع العباسى كله . وليس هذا فحسب ، بل انتشر أيضا نظام الاقطاع فكان الخلفاء يقتطعون لمن يشاءون أرضا أو عقارا ، كذلك الولاة كانوا يتعهدون بأنفسهم الأرض والمرافق لتأدية ما يطلب اليهم أداؤه من الأموال ؛ وكثيرا ما وضعوا أيديهم عليها وكثيراً ما انتزعوا الأرض من أصحابها عنوة وصادروها ؛ بالاضافة الى مصادرة الأموال والممتلكات . ولقد كانت الوزارة والعمل فى دواوين الحكومة وسيلة الى الاثراء والنهب ، وكان القائمون على خزائن الدولة يختلسون منها ، وأيضا يفرضون الاتاوات على العمال والموظفين . ومن المؤسف حقا أن بعض الخلفاء كانوا على علم ببعض هذه الاختلاسات والاتاوات ؛ من ذلك ما كان يفعله « سليمان بن وهب » وزير المهتدى الذى كان يطلب من كل صاحب وظيفة « المعجل والمؤجل » (١) .

وراجت الرشوة وانتشرت وبلغت نهايتها فى أواخر القرن الثالث حتى ان الوزير الخاقانى ــ الذى كان سيىء السيرة والتدبير ؛ كثير التولية والعزل ــ ولى فى يوم واحد تسعة عشر ناظرا للكوفة ، وأخذ من كل واحد منهم رشوة . وقد هجاه أحدهم مصورا أصدق تصوير فساد هذا العهد فقال (٢) :

وزير لا يمل من الرقاعة	يولى ثم يعزل بعد ساعة
ويدنى من تعجل منه مال	ويبعد من توسل بالشفاعة
اذا أهل الرشا صاروا اليه	فأحظى القوم أوفرهم بضاعة

(١) مروج الذهب المسعودى ٢ ــ ١١٨ .
(٢) الفخرى لابن طباطبا ص ٣٦٣ .

فاذا أضفنا الى ذلك كله عاملا أخيرا خطيرا ألا وهو تعدد الأجناس فى الدولة ؛ واختلاط العرب بالعجم والترك والروم ؛ على اختلاف مشاربهم ومآربهم ، وعاداتهم وتقاليدهم ؛ وميولهم وأهوائهم ؛ وما نتج عن ذلك من انحلال وفساد ومؤامرات ، أدركنا أن الحياة الاجتماعية فى هذا العصر ؛ كانت تجمع بين المتناقضات الاجتماعية؛ تجمع بين الثراء الفاحش والفقر المدقع؛ تجمع بين الرخاء والنماء ؛ والجدب والقحط ، تجمع بين الترف والرفاهية والبؤس والحرمان ؛ ونتج عن ذلك كله الأزمات والثورات الاجتماعية والفتن والاضطرابات (١) الداخلية ، حتى لقد تحول عدد كبير من الأثرياء والمترفين الى فقراء معدمين نتيجة لمصادرة أموالهم وعقاراتهم ، كما نجد العديد ممن كانوا يعيشون فى بحبوحة من العيش ؛ وقد فقدوا ثروتهم وأصيبوا بالضوائق المالية نتيجة للانغماس فى الترف .

وهكذا كان عصر الصولى ترفا وبذخا أولد الدولة اضطرابا سياسيا وسرقات ورشاوى ومصادرات ونكبات أتت على كل شىء .. فكان عصر الترف والفوضى والحيرة والقلق والخوف ؛ تأهبت فيه النفوس لدعوة الجماعات السرية ، وتعلقت الآمال بالمهدى المنتظر والمصلح الأكبر ، الذى سيملأ الدنيا عدلا بعد أن ملئت جورا وفجورا . فكان عصره عصر داعية الزنج ؛ والقرامطة ؛ والحلاج ، والشيعة العلويين وغيرهم من الثوار وأصحاب المذاهب الذين كانوا يمزجون المقاصد الاجتماعية بالمقاصد الدينية ، ويعالجون الترفيه عن الفقراء المدقعين والعبيد المعدمين ؛ بالدعوة الى

---

(١) انظر ماكتبه الصولى عن الدولة العباسية وأحداثها فى الباب الرابع (من هذا الكتاب) (التاريخ السياسى) .

المساواة والحض على التمرد ومناهضة الأحكام · كل ذلك والقصور سادرة فى غيها لا تحس ولا تعى لهذه المشـــكلات الاجتماعية أثرا أو تتحرك لعلاج أسبابها الدفينة ؛ ودرجت الأحوال على ذلك فلم يكن ليهونها ويخففها على الناس الا اتساع أرجاء الدولة ، وتفرق الفتنة فى تلك الأرجاء · وسرعان ما تقطعت أوصال الدولة ، وطمع فيها امراؤها وولاة أقاليمها ، واستقل الأمير تلو الأمير ، وتكونت الدويلة بعد الدويلة ؛ حتى سقطت بغداد فى النهاية ·

● الفصل الثالث

الحياة العلمية والثقافية

فتح العباسيون نوافذهم للثقافات العالمية ، بل فتحوا الأبواب على مصاريعها لكل الثقافات الوافدة على الفكر العربى ، من فارسية ويونانية وهندية وتركية وغيرها من ألوان الثقافات القديمة والمعاصرة . حتى اذا وصلنا الى عصر الصولى ؛ وجدنا أن الحياة الثقافية والعقلية قد بلغت عنفوان أمرها ؛ وبلغت الذروة من الرقى والنضوج ، وقد كان من نتائج دخول الثقافات الأجنبية الواردة ، وامتزاج هذه الثقافات مع الثقافة العربية الاسلامية ؛ أن نشأت حياة عقلية علمية ثقافية ؛ لها طابعها الخاص .. ذلك الطابع الذى يمتاز بامتصاص الثقافات الأجنبية ، واضافتها الى عناصر الفكر العربى الأصيل .

ولقد أدت الترجمة دورها كاملا فى صقل العقل العربى ؛ بعد أن قدمت اليه هذا العدد الوفير من العلوم التى نقلت الى عقله ولسانه ، وسهلت له أن يستوعب كل ما يصادفه من علوم وآداب وثقافات ؛ خاصة بعد أن دخلت فى حظيرة العروبة والاسلام شعوب متباينة فى لغاتها وأجناسها وعاداتها وثقافتها ، صهرت جميعا فى

البوتقة العربية ؛ وامتزجت بالعنصر العربى تماما ، فتعربت ؛ وصارت أكثر من العرب أنفسهم أنتاجا · فكان لدخول هذه الاجناس فى مجال العروبة والاسلام ، واختلاط العرب بأهل هذه الأمم المفتوحة عن طريق التزاوج وتسرى الاماء ؛ أو عن طريق الولاء ·· أكبر الأثر فى صبغ الثقافة العربية بصبغات أخرى زاهية الألوان ، ونتج عن ذلك كله أن خرجت لنا الثقافة العربية الاسلامية ؛ ثقافة واسعة شاملة ؛ حاوية لجميع الثقافات التى انعكست على مرآتها · وتغير كل شىء فى حياة الأمة العربية الثقافية والعلمية ··· كثرت العلوم ، وتعددت المؤلفات ، وتغيرت المفاهيم ؛ وتغيرت التصورات ؛ وتغيرت الأذواق والأمزجة ؛ فارتقت الآداب والعلوم وعلى ضوء هذا التغيير نهضت الحياة العلمية والثقافية ، نهضة واسعة ؛ وتعددت مجالاتها ·

وعصر الصولى يعد من أزهى العصور فى الاسلام ـ من الناحية العلمية ـ ففيه نمت وأينعت علوم الثقافة الاسلامية كلها ؛ وأهمها علوم القرآن ، فقد وضع ابن قتيبة كتبا فى غريب القرآن ، ومشكل القرآن وغير ذلك ؛ كما وضع الطبرى تفسيره ؛ ووضع الصولى فى هذا المجال كتابا سماه « الشامل فى علم القرآن » ، ووضعت كتب الحديث المعروفة بكتب الصحاح الستة ، فقد وضع البخارى المتوفى سنة ٢٥٦هـ الجامع الصحيح ؛ وألف مسلم المتوفى سنة ٢٦١ هـ « صحيح مسلم » وألف ابن ماجة المتوفى سنة ٢٣٧ هـ « سننه » ، وألف ابن داود المتوفى سنة ٢٧٥ هـ « سننه » وألف الترمذى المتوفى سنة ٢٧٩ هـ « جامعه » ، وألف النسائى المتوفى سنة ٣٠٣ هـ سننه ؛ وهذه هى الكتب الستة التى تعد أصح كتب الحديث ؛ وألف كثير من العلماء كتبا فى الحديث وشرحه وتأويله

.. منهم الصولى ، فقد ذكر أنه ألف كتبا متعددة فيه (١) ، وذكرت المصادر القديمة أن له « جزءا فى الحديث (٢) » ، كما وضعت كتب الرجال ؛ وغير ذلك مما يتصل بالسنة الشريفة ، وفى عصر الصولى استقرت دعائم المذاهب الأربعة فى الفقه ، ووضعت الكتب حول الفقه ؛ توضح علومه ، واختلاف المذاهب فيه ؛ وتشرح أمور الدين والشرع ، وكثرت المؤلفات فيه ؛ وبرز من أعلام الفقه : أبو اسحق اسماعيل بن حماد المتوفى سنة ٢٨٢ هـ ؛ امام المالكية فى عصره ، وله مؤلفات كثيرة فى الفقه . وعبد الله بن الامام أحمد بن حنبل المتوفى سنة ٢٩٠ هـ امام الحنابلة ؛ وأبو على الحسن ابن القاسم المتوفى سنة ٣٠٥ هـ ، مؤلف كتاب المحرر فى النظر ؛ وكتاب الافصاح فى الفقه ، وأبو بكر عبد الله بن داود السجستانى المتوفى سنة ٣١٦ هـ ؛ وأبو الحسن عبد الله الكرخى المتوفى سنة ٣٤٠ هـ امام الحنفية وغيرهم من الفقهاء .

وليس هذا فحسب ؛ بل اتضحت آثار الفرق الاسلامية على اختلاف آرائها ومناهجها ، فنجد منهاج أهل السنة الذين تشددوا فى أنكار البدع ، ومناهج الفرق الاسلامية المتعددة ؛ كالمعتزلة والمرجئة ؛ والشيعة ، والظاهرية .. ولكل فرقة من تلك الفرق منهج خاص تسير عليه ؛ كما كان لها تفسيراتها لنصوصها وكتبها وآرائها .

وفى هذا العصر ــ لم يعد هناك علم قديم أو حديث الا وله كتب وأعلام نابغون ، فعلوم اللغة والأدب والنحو والرواية ، نجد لها أعلاما مشهورين منهم السجستانى (ت ٢٥٤ هـ) والرياشى (ت ٢٥٧ هـ) ؛ والمبرد (ت ٢٨٥ هـ) ؛ وثعلب (ت ٢٩١ هـ) ،

---

(١) أخبار ابى تمام للصولى ص ٦٢ .

(٢) الفهرست لابن النديم ١٥٠ .

والزجاج (ت ٣١١ هـ) والأخفش الأوسط (٣١٥ هـ) وابن دريد (ت ٣٢١ هـ) وابن الانبارى (٣٢٨ هـ) والصولى (٣٣٦ هـ) ٠

وعلم التاريخ وفتوح البلدان والأنساب نجد له أعلاما منهم : اليعقوبى (٢٧٨ هـ) والبلاذرى (٢٧٩ هـ) ، والطبرى (٣١٠هـ) ، والمسعودى (٣٤٦ هـ) ٠

والفلسفة والمنطق نطق لها أعلاما منهم : الكندى (٢٥٠ هـ) والفارابى (٣٣٩ هـ) ٠ وراج علم الفلك حتى أوشك ألا يكون فى ذلك الزمن الا منجم ؛ بل لعله كان أروج العلوم الحديثة ؛ وأكثرها طلابا ، لطرافته وموافقته أحوال الزمن وتقلباته ، وشيوع الحضارة الفارسية التى كان أهلها يعبدون الكواكب ٠ ولقد كان الخلفاء يعتقدون أن للنجوم والكواكب أثرا فى أحداث الكون من موت وحياة وسعادة وشقاء وصحة ومرض ؛ وينوطون بها مقادير الخير والشر ؛ وطوالع السعد والنحس ٠ وقد عظم شأن المنجمين فى العصر ، واستغلوا ايمان الناس بالتنجيم حتى الخلفاء ٠٠ فالمعتز بالله حين تولى الخلافة أحضر خواصه وتباعه المنجمين ليعرفوا كم يحكم وكم يعيش (١) ٠ وقد ألفت فى هذا العلم الكتب ، ووضعت الحسابات الفلكية للكسوف والخسوف ؛ وطبقوا نتائجها على حياتهم وحياة من حولهم ؛ كما فعل الصولى بعد مصرع الخليفة المتقى لله (٢) ٠

ولقد كانت الثقافة قسمة شائعة بين الناس جميعا ، يشارك فيها خاصتهم وعامتهم ، فالكل يشتغل بها ويقتنى كتبها ويحضر مجامعها ومناظراتها ٠ وقد شاع ذلك بينهم شيوعا كبيرا ؛ حتى اننا لنرى بعضهم يجمع أمشاجا كبيرة من الثقافات فى مختلف

---

(١) الفخرى ، لابن طباطبا ص ٢٢٠ ٠

(٢) أخبار المتقى لله للصولى ٢٣٨ ٠

المجالات ؛ فيكون أعجوبة الأعاجيب في اتساع ثقافته وتنوعها ، وفي كثرة مؤلفاته وموارده .

فابن قتيبة مثلا أديب وراوية وناقد ومحدث وعالم بالقرآن ، وله مؤلفات كثيرة في هذه النواحي ؛ والطبري مؤرخ ومفسر وفقيه، وله كتب عدة ؛ وابن دريد الأزدي (٣٢١ هـ) من أكبر علماء اللغة والأدب والنحو والصرف والانساب ، وابن الأنباري عالم باللغة والأدب والقرآن والسنة ومؤلف لعشرات من الكتب، إما الصولي(١) فكان أديبا وناقدا ؛ وعالما باللغة والأدب ؛ وراويا واخباريا ومؤرخا وعالما بالقرآن ، ومحدثا وفقيها وملما بعلوم الهندسة والفلك الى جانب نبوغه في علم الشطرنج .. وله مؤلفات جمة في كل هذه المعارف .

ولا شك أن هناك عوامل ومؤثرات ساعدت على انتشار العلوم ، وتنوع الثقافات . أول هذه العوامل وأهمها : **الحرية الفكرية** ؛ التي أثارت العقول وشجعت الهمم ؛ وحركت الألسنة ، فأخرجت لنا العديد من الكتب في الدين واللغة والتاريخ . فليس هناك « ما يمنع الناصر للحق من القيام بما يلزمه ، وقد أمكن القول وصلح الدهر ؛ وخوى نجم التقية ؛ وهبت ريح العلماء ، وكسد العي والجهل ، وقامت سوق البيان والعلوم (٢) » . وكان من أبرز مجالات هذه الحرية : الدين . وقد وضحت الحرية الفكرية عند الشعراء والأدباء . فقد ضمنوا مدائحهم وكتاباتهم آراء وتعاليم بعض الفرق الاسلامية ، خاصة ما يتصل منها بتمجيد الخلفاء وأولى الأمر .. وجعلوا ذلك سبيلا لنيل البر وجزيل العطاء ؛ فمدحوهم بأنهم من سلالة النور الالهي ؛ وربطوا بين طاعة الله

---

(١) انظر الفصل الخاص بثقافته . وانظر الباب الرابع مؤلفاته .

(٢) الحيوان : للجاحظ ١ ــ ٤٣ .

وطاعتهم ، وأن من يخالفهم كافر له العقاب فى الدنيا ، والعذاب فى الآخرة ؛ ونجد من هذه المعانى الكثير فى مدائح الشعراء .. وفى مدائح الصولى للخلفاء .

أما العامل الثانى فهو : **امتزاج الثقافات** ؛ اذ كان من أثر اختلاف السكان ، وتعدد الأجناس ، فى الدولة وتباين أصولهم ؛ وامتزاجهم بالسكنى والزواج وغير ذلك .. أن تنوعت الثقافات وتداخلت حتى ليمكن القول انها كانت تكمل بعضها البعض ؛ فامتزجت الثقافة الفارسية بالثقافة اليونانية ؛ بالثقافة الهندية ، بالثقافة العربية الاسلامية ، وكان محصلة ذلك تكامل ثقافى فى شتى فنون المعرفة . ولا شك أن الذى ساعد على ذلك تعريب الكثير منهم ؛ ودخول العديد من أفراد هذه الأمم المفتوحة والمجاورة فى الاسلام ، فكانت ثقافة العصر ثقافة متنوعة مختلفة ؛ لأمم متعددة متباينة .

وكان أثر الثقافة الفارسية فى الثقافة العربية الاسلامية واضحا فى العديد من النواحى ، وأظهر ذلك « الألفاظ الفارسية » التى تسربت الى معاجم اللغة العربية ؛ فاستعملها الشعراء العباسيون فى أشعارهم ؛ منهم الصولى ، فله زائية تحتوى العديد من الألفاظ الفارسية كما تخرج فى فارس كثير من الفقهاء والمحدثين والمؤرخين واللغويين والنحاة والأدباء والفلاسفة ، ونقلوا كثيرا من تراث آبائهم الى العربية ، وقد أرخ الصولى لتحويل الديوان من النظام الفارسى الى النظام العربى (١) .

وكان للثقافة اليونانية تأثيرها القوى فى العلوم الاسلامية ، فالمنطق اليونانى ؛ الذى أطلق عليه ابن سينا « خادم العلوم » لون العلوم العربية الاسلامية بلونه الخاص ، كما كان للفلسفة

(١) أدب الكتاب للصولى ص ١٩٢ .

اليونانية أثر كبير فى تعاليم المتكلمين والفلاسفة ؛ وأثرت البلاغة اليونانية فى البلاغة العربية ، وعرب كثير من الألفاظ اليونانية ؛ واستخدم الشعراء كثيرا من ألفاظ المناطقة والفلاسفة وضمنوها أشعارهم ، كما اتخذ الأدباء العديد من حكم اليونان ؛ وقد ضمن الصولى كتابه « أدب الكتاب » الكثير من حكمهم وآرائهم وأقوالهم فى الحياة والفن والأدب والكتابة .

وقد اكتسب القوم ثقافة الهند عن طريق الفرس ، وكانت أول أمرها تتصل بالالهيات (١) ، والحكم والفن والشطرنج . وقد تأثرت بعض الفرق الاسلامية بالدين الهندى ؛ فأخذوا عنه فكرة تناسخ الأرواح ، وقد ترجم الى العربية كثير من كتب الهند ؛ وخاصة ما يتصل بالكواكب والنجوم . وقد أطلع الصولى على بعض هذه الكتب ، وعرف ما حوته ؛ وظهر ذلك واضحا فى ثقافته وكلامه عن النجوم والكسوفات (٢) . ووضحت الثقافة الهندية عنده فى حذقه لفن الشطرنج ؛ والتأليف فيه .

وخلاصة القول : ان عصر الصولى كان عصر الشمول ، عصر امتزاج الثقافات ؛ عصر الالمام بكل العلوم والمعارف والفنون . ولا شك أن مما ساعد على هذه النهضة الثقافية والعلمية ، أن هذا العصر كان عصر الموالى من مختلف الأجناس ؛ أولئك الذين كانت العصبية الجنسية تدفعهم دفعا الى دراسة العلوم الحديثة ، والتعمق فيها لأنها تنافس العلوم العربية ؛ فضلا عن أنهم كانوا يبغون ألا ينفرد العرب بالدين والسياسة والعلم ، وألا يستأثروا دونهم بكل كمال وفضيلة .

---

(٢) الالهيات : أى الدين ممتزج بالفلسفة .

(٣) أخبار المتقى ص ٢٣٨ .

● الفصل الرابع

الحياة الأدبية والنقدية

استقل الأدب – فى عصر الصولى – عن غيره من العلوم وأخذت علومه تتضح وتستقر ولم يعد يعتمد على الرواية والنقل عن السلف فحسب بل ان الأديب كان يتحرى الصدق ويتدبر الروايات يأخذها من أفواه المعاصرين الثقاة . ولقد كان للحوادث التى ألمت بالدولة الاسلامية فى ذلك الحين ان تحول الادباء الى نشر الاخبار وسير الرجال وجمع الشعر وتوثيقه ورواية الأحاديث ، والتأليف فى علوم القرآن .. الى غير ذلك ، لأنهم وجدوا فيها مواد خصبة للكتابة والتأليف من ناحية ، ولأن ذلك يبعدهم عن ويلات السياسة من ناحية أخرى فظروف العصر وحوادثه جعلت البعض يجمعون الى جانب الاشتغال بالأدب الاشتغال بفنون أخرى تتصل بالتأريخ والمنادمة والتأليف فى العلوم المختلفة .

---

(١) اعتمدت فى هذا الفصل على مراجع كثيرة أهمها الكتاب القيم الذى ألفه المرحوم الأستاذ عباس العقاد وهو (ابن الرومى ، حياته من شعره) وكتابا أستاذنا الدكتور شوقى ضيف الفن ومذاهبه فى الشعر العربى ، والفن ومذاهبه فى النثر العربى .

وبهمنا فيما يتصل بالحياة الأدبيـــة والنقدية ان نتبين ملامح الشعر وأغراضـــه والنثر وأنواعه والنقد الأدبى واتجاهاته فى ذلك العصر ٠

أولا ٠٠ الشعر

عاش فى عصر الصولى ـ وقبله قليلا ـ نخبة من فحول الشعراء النابهين كأبى تمام وابراهيم بن العباس ودعبل الخزاعى والبحترى وابن الرومى وابن المعتز ٠٠ وعاش فيه مع هؤلاء مئـــات من قالة الشعر المحسنين وغير المحسنين المحترفين وغير المحترفين وأوشك أن يكون كل متعـلم متأدب شاعرا ينظم الأبيات والمقطعات فى بعض أغراضه فالخلفاء كانوا ينظمون للغزل والغناء وأيضـــا فى الفخر والرثاء ، ينظمون فى حلمهم وغضبهم ويصورون الأحداث حولهم ، ويهـــجون أعـداءهم ٠ والأمراء والوزراء كانوا يتطارحون الأشعار ويحفظون منها الشىء الـكثير ، والمنتمون الى الفرس أو الترك كانوا أسبق الى المنافسة فى هذا المجال لينفوا عن أنفسهم تهمة العجمة ، وليتنافسوا مع العرب فى ميدان الفصاحة والشعر ٠

ولقد طبع الشعر بطابع الحضارة والترف وظهر ذلك واضحا من حيث الشكل أو المضمون ، وندر فى ذلك العصر من خلا شعره من آثار الحضارة فمن لم تظهر فى شعره المعانى الفلسفية أو ملامح العلوم الحديثة ظهرت فيه محسنات اللفظ والمعنى ؛ ومن لم يظهر فى شعره هذا وذاك ظهرت فيه تفخيمات الفرس وترصيعاتهم وجاءته العدوى من أساليب الكتاب فى النثر المنمق ؛ وأساليب التحية فى المجالس؛ وأساليب المعيشة فى القصور ٠

وامتاز هذا العصر ـ على العصر الذى تقدمه ـ بما يصـــح أن نسميه « علم الشعر » تمييزا له من العناية بنظم الشعر نفســه ؛

فالعصر السابق كان عصر سليقه وطبع وخيال ؛ اما هذا العصر فكان عصر علم وصنعة وتكلف ، فقد كان الشعراء المولدون يأتون بالمحسنات البديعية عفوا أو محاكاة للأقدمين أو تصرفا فى الاختراع ٠

نما الشعر فى هذا العصر وتطور فى الفاظه ومعانيه ، فى أوزانه وقوافيه فى أغراضه وفنونه ، فأما ألفاظه فقد رقت وسهلت وظهر فيها أثر الثقافة والحضارة ، واما المعانى فكان الشعراء يتخذونها طريقا الى أغراضهم ومطامحهم ، وكانت معانى حضرية صرفه يمتزج فيها العقل بالعاطفة والخيال بالثقافة وتحول الشعراء بالأفكار والصور القديمة الى معارض جديدة يزينها الفكر العباسى بألوانه العقلية ٠

وأما الأغراض فقد تعددت عند القوم وكثرت وشملت كل وصف ودخلت كل معرض من معارض الحياة فى ذلك الزمان ٠

١ ـ الغزل :

الغزل من الموضوعات التقليدية المتوارثة التى تطورت وارتقت فى هذا العصر ورقت معانيه وهذبت ألفاظه ، ولكنه كان فى الغالب صناعة متكلفة ، قلما يصدق فى وصف العاطفة وتصوير ميول النفس ، وانما كان الشعراء يتغزلون مجاراة وامتدادا للفن الموروث فهم يصطنعونه تمثلا بالمنهج القديم ٠

وقد وجد فى هذا العصر غزل يتفق مع البيئة المترفة الماجنة ، ويصور ما انتهت اليه حياة القوم من الفساد ، وما كان فى المجتمع من تحلل خلقى أعانت عليه أسباب متعددة ، فأطلقوا لأنفسهم العنان وصوروا نوازع غرائزهم النوعية وتغزلوا بالغلمان ٠ ومع ذلك فقد كانت هناك أسراب من الغزل العفيف الذى يتغنى بلوعة الحب وشقوته ٠ ويصور الحنين واللهفة٠ من مثل قول العباس بن الأحنف:

زين نســـاء العالمين أجيبى   دعاء مشـــوق بالعراق غريب
كتبت كتـــابى ما أقيم حروفه   بشـــدة اعوالى وطول نحيبى
أيا فوز لو أبصرتنى ماعرفتنى   لطول نحولى بعدكم وشـحوبى
وأنت من الدنيا نصيبى فأن أمت   فليتك من حور الجنان نصيبى
أرى البين يشكوه المحبون كلهم   فيارب قرب دار كل حبيب

ووجد أيضا من يتغزل فى المطلق ، ومن يبتعد عن الفحش والمعانى الصريحة ، ومن يلجأ الى الرمز والاشارة . وقـد حرص الشعراء حرصا شـــديدا على أن يأتوا فى غزلهم بكثير من المعانى الطريفة من مثل قول أبى تمام :

بيضاء تسرى فى الظلام فيكتسى   نورا وتسرب فى الضياء فيظلم

وقوله :

هى البدر يغنيها تودد وجهها   الى كل من لاقت وان لم تودد

كما حرصوا على الاتيان بالاوزان السهلة والالفـــاظ العذبة الرقيقة من مثل قول البحترى :

منى وصل ومنـــك هجر   وفى ذل وفيـــك كبر
قـــد كنـــت حرا وأنت عبد   فصرت عبـدا وأنت حـــر
انت نعيمى وأنـــت بؤسى   وقـد يســـوء الذى يسر

٢ ـ المديح

والمديح من الموضوعات التقليـدية الموروثة أيضـــا ، مضى الشعراء يتمسكون فيه بتصـــوير المثـــل الخلقية العربية كالكرم والشجاعة والمروءة ، وما تتطلبه الجماعة من عدالة الحـــكام ورفع

الظلم عن المحكومين • وبذلك اكثروا من الحديث عن عدالة الخلفاء وعن تقواهم • ومدحوا القواد والأمراء مدائح رائعة ومجدوا انتصاراتهم على أعدائهم واستغلوا أذهانهم فى تجلية المعانى الخلقية المختلفة •

واتخذ الشاعر من مقدمات مدائحه متنفسا له ، فبدأها بتصوير أحاسيسه عن الحب وأضاف الى ذلك بعض التحليلات لخواطره ، وقد جعل بعض الشعراء مقدمات مدائحه تصويرا لمطامحه وآماله فى الحياة ، على نحو تصوير أبى تمام لصلابة نفسه أمام عوادى الزمن يقول :

يومى من الدهر مثل الدهر مشتهر
عزما وحزما وساعى منه كالحقب
فاصغرى أن شيبا لاح بى حدثا
وأكبرى أننى فى المهد لم أشب
فلا يؤرقك ايماض القتير به
فان ذاك ابتسام الرأى فى الأدب
لا تنكرى منه تخديدا تجلله
فالسيف لا يزدرى أن كان ذا شطب

كما جعلها البعض الآخر فى وصف الرياض أو الربيع أو غير ذلك •

وضمن الشعراء مدائحهم منثورات من الحكم التى من شأنها زيادة خبرة سامعيها بالحياة وبالناس أمدهم فى ذلك روافد من مأثورات الفرس والهند وغيرهم •

وظهرت فى المديح بعض العناصر الدينية ، واتخذه البعض وسيلة لتمجيد الخلفاء ؛ ورفع مكانتهم ، والسمو بمنزلتهم ورفعها

فوق مصاف البشر ، على نحو قول البحترى فى مديح الخليفة المتوكل :

يا ابن عم النبى حقا ويا أز كى قريش نفسا ودينا وعرضا
بنت بالفضل والعلو فأصبحـ ـت سماء وأصبح الناس أرضا
وأرى الفضل بين عارفة منـ ـك ترجى وعزمة منك تمضى

وكان الشعراء فى مدائحهم للخلفاء يشملون بالمديح كل من يرتبط بهم من أمراء ووزراء وقواد ، ويصفون كلا منهم بالصفة التى يجب توافرها فيهم ، فاذا مدحوا وزيرا مدحوه ببعد النظر والقدرة على تصريف الأمور والحنكة والتجربة ومضاء الرأى . واذا مدحوا أميرا أو قائدا مدحوه بالشجاعة والبأس وقوة الشكيمة والمقدرة القتالية . وقد كانت بعض مدائح الخلفاء أشبه ما يكون بالوثائق التاريخية ، سجل فيها الشعراء كل ما يتصل بالخليفة وعصره وحروبه وانتصاراته .. من مثل قول ابى تمام فى مديحته المشهورة عمورية :

خليفة الله جازى الله سعيك عن جرثومة(١) الدين والاسلام والحسب
بصرت بالراحة الكبرى فلم ترها تنال الا على جسر من التعب
أن كان بين صروف الدهر من رحم موصولة أو ذمام غير منقضب(٢)
فبين أيامك اللاتى نصرت بها وبين أيام بدر أقرب النسب

---

(١) الجرثومة : الأصل .

(٢) منقضب : أى مقطوع .

غير ان المديح فى نهاية العصر ، داخله كثير من المبالغة واشتد فيه الاسراف وبعد الشعراء عن القصد الذى هو من مميزات الطبع العربى الخالص • وشغل به الشعراء حتى اتخذوه أداة للكسب فى غير تعفف ولا كرامة ولا حياء •

٣ ـ الفخر

ومن الموضوعات التقليدية أيضا : الفخر • ولقد ظلت له حيويته القديمة غير أنه فى هذا العصر ـ حيث ذابت الجنسيات وامتزجت ـ أصبح فخرا هادئا لا يصور عصبية ولا قبلية ولا جنسية وانما يصور شعورا طاغيا بالخلق الكريم والشيم الرفيعة والاحساس بالقوة ، ومغالبة الزمن من مثل قول أبى فراس الحمدانى :

ونحن أناس لا توسط عندنا
لنا الصدر دون العالمين أو القبر
تهون علينا فى المعالى نفوسنا
ومن يخطب الحسناء لم يغلها المهر

وقد وجد من الشعراء من لا يفاخر بهذه المثل والقيم فحسب بل يفاخر أيضا بخصالهم وعلمهم وثقافتهم • وفى مجال الفن ـ فاخر بعض الشعراء بشاعريتهم ومدائحهم التى لم يقل مثلها ، وبأن أحدا لا يستطيع أن يجاريهم فيها • وممن أكثر من نشر هذا الفخر فى مدائحه وفى شعره أبو تمام والمتنبى •

٤ ـ الرثاء

ومن أهم أغراض الشعر العباسى : الرثاء • فقد تنافس الشعراء فيه وفى استحداث معانيه فصوروا الحزن والأسى

وأحاسيسهما تصويرا رائعا وتنوعت معانيه نتيجة لقدرة الشاعر على تحليل خواطره ازاء الموت والحياة . فكان الشاعر فى مرثيته يلائم بين معانى الرثاء من ناحية وفلسفة الموت والقيم الروحية الاسلامية والقضاء والقدر من ناحية أخرى . يوائم بين صفات المرثى ومعانى الرثاء ، مصورا أن الموت نهاية كل كائن حى ، وأنه يصل الى كافة البشر ، يدركهم فى أى مكان ، وبتوقيت معلوم . وقد رثى الشعراء الخلفاء وأبناء الخلفاء . ورثوا القواد مراثى تدلع العزيمة فى نفوس الشباب ، من مثل قول أبى تمام فى رثاء ابن حميد الطوسى :

وما كنت الا السيف لاقى ضريبة
فقطعها ثم انثنى منقطعا

ورثى الشعراء أيضا أبناءهم وزوجاتهم وأمهاتهم ، مثل رثاء ابن الرومى لابنه :

ألا قاتل الله المنايا ورميها
من القوم حبات القلوب على عمد

توخى حمام الموت أوسط صبيتى
فلله كيف اختار واسطة العقد

طواه الردى عنه فأضحى مزاره
بعيدا على قرب قريبا على بعد

لقد انجزت فيه المنايا وعيدها
وأخلفت الآمال ما كان من وعد

ومن الموضوعات الجديدة فى هذا المجال .. مراثيهم للمدن والقصور ، وقد استطاع الشعراء أن يستنبطوا كثيرا من المعانى الدقيقة والأفكار الطريفة .

وأضاف الشعراء الى مراثيهم بعض أشعارهم الزاهدة التى

توضح نفسياتهم ومدى تعمقهم فى الدين والحياة ؛ وكما ارتبط الرثاء بالزهد ، ارتبط أيضا بالحكمة والتأمل فى الحياة والحديث عن الدهر وغير ذلك من الأمور .

٥ ـ الوصف

وكثر فى هذه المرحلة شعر الوصف والتفنن فيه فوصف الشعراء : الخمر والقيان ومجالس الأنس وآلات الطرب . من مثل قول ابن الرومى :

وقيان كأنها أمهات ... عاطفات على بنيها حوان
مطفلات وما حملن جنينا ... مرضعات ولسن ذات لبان
كل طفل يدعى بأسماء شتى ... بين عود ومزهر وكران

ووصفوا أيضا السفينة والنحل والكلب والذئب والديك والشيب والشباب وأكثروا من وصف الطبيعة ـ يقول ابن الرومى فى وصف الرياض :

ورياض تخايل الأرض فيها ... خيلاء الفتاة فى الأبراد
منظر معجب تحية أنف ... ريحها ريح طيب الأولاد

ويقول ابن المعتز فى وصف السحاب :

وسارية لا تمل البكا ... جرى دمعها فى خدود الثرى
سرت تقدح الصبح فى ليلها ... ببرق كهندية تنتضى(١)
فلما دنت جلجلت(٢) فى السما ... ء رعدا أجش(٣) كجرس الرحا

---

(١) تنتضى : انتضى السيف : استله من غمده .
(٢) جلجل السحاب : رعد .
(٣) الأجش : الغليظ الصوت . الجرس : الصوت .

ووصفوا أيضا السيف والقلم . وتحدثوا عن حياتهم المتحضرة وعن سكنى القصور ووصفوا الحدائق والبساتين والبرك والأنهار — من مثل وصف البحترى لبركة قصر المتوكل :

ما بال دجلة كالغيرى تنافسها
في الحسن طورا وأطوار تباهيها

تنصب فيها وفود الماء معجلة
كالخيل خارجة من حبل مجريها

كأنما الفضة البيضاء سائلة
من السبائك تجرى فى مجاريها

فحاجب الشمس أحيانا يضاحكها
وريق الغيث أحيانا يباكيها

وليس هذا فحسب بل وصفوا أيضا حفلات الزفاف وألوان الطعام كالفطائر والقطائف والخبيصة وغير ذلك . بل انهم لم يتركوا شيئا مما يتصل بحياتهم الا وصفوه وتفننوا فيه .

٦ ـ الزهد

واذا كان المجون قد فشا فى جانب من جوانب المجتمع فى ذلك الحين فقد كان يقابله الزهد عند كثيرين فقد مضى غير شاعر ينظم فى مجال الزهد متحدثا عن الموت والثواب والعقاب وايثار ما يبقى على ما يفنى ، والتزود للآخرة بالتقوى والعمل الصالح .

وتحدث الشعراء الزاهدون طويلا عن القناعة بالكفاف والرضا بالمقسوم . واستطاع الزهاد أن ينوعوا تنويعا واسعا فى معانى الزهد وكل ما يتصل به من الترهيب من النار والترغيب فى الجنة والدعوة الى طاعة الله .

٧ ـ الرسائل الشعرية :

ومن الطرائف التى استحدثها العقل العباسى المتطور فى مجال الشعر : الرسائل الشعرية وهى رسائل نظمها بعض الشعراء فيما بينهم تفكها أحيانا ، وتصويرا لبراعتهم ومقـدرتهم على الاتيان بالجديد أحيانا أخرى ، وضمنوها عواطفهم وأحاسيسهم ومشاعرهم اتجاه المرسلين اليهم ولعل هذا الفن ـ فن المراسلات الشعرية ـ كان يتصل بفن النقائض الذى وجد وشاع عند فحول شعراء العصر الأموى ـ جرير والأخطل والفرزدق ـ حيث كان الشعراء يتراسلون ويبعث كل منهم بنقيضته الى الآخر فيرد عليهـا . غير أن هـذه الرسائل الشعرية كانت رسائل مودة ومحبة وتقدير ، تراسل بها الأصدقاء وغيرهم ولا تتصل بفن الهجاء .

٨ ـ الشعر التعليمى :

وظهرت فنون أخرى من الشعر لعـل أهمهـا « فن الشعر التعليمى » الذى دفع اليه رقى العقل العربى ورقى العلم وتسلطه على حياة الشعر والشعراء فاذا هم يفكرون فى صوغ بعض العلوم والمعارف شعرا مما هيأ لظهور الشعر التعليمى وكان من أوائل من اقتحموا بشعرهم ميدان المعرفة « أبان بن عبد الحميد » فانه ترجم كليلة ودمنة شعرا للبرامكة ؛ ونظم أيضـا فى التاريخ سـيرتى أردشير وأنو شروان . ونظم فى الفقه قصيدة طويلة صـور فيها أحكام الصوم والزكاة ونظم فى نشأة الكون .

وفى الشعر التعليمى نظم أبو العناهية مزدوجة يقال : انها كانت فى أربعة آلاف بيت كلها حكم وأمثال . من مثل قوله :

ما انتفـع المرء بمثـل عقله	وخـير ذخر المرء حسن فعله
حسـبك ممـا تبتغيه القوت	ما أكثر القـوت لمن يمـوت

وقد شارك المعتزلة فى هذا اللون الجـــديد من الشعر بحظ وافر يتقدمهم بشر بن المعتمد الذى نظم شـــعرا كثيرا فى النحل وأصحابها • وله فى كتاب الحيوان قصيدتان يتحدث فيهمـــــا عن الحشرات وأصناف الحيوان ، ودلالتهما على قدرة الله فى خلقه •

ولا شك أن للثقافة المعاصرة دورا كبيرا فى الانتاج الشعرى ظهر ذلك فى رقة الألفاظ وعذوبتها وقوة المعانى وغزارتها فقد تصرف الشعراء ببراعة فى ألفاظهم وصورهم وأخيلتهم حتى ليمكن القول أنهم طيعوا كل طرائق التعبير لتخدم ذوقهم المتحضر المثقف •

وسمة بارزة فى شعراء هذا العصر وهى أن معظمهم جمع بين الفن والعلم فكانوا شعراء وأدباء ومؤلفين • فالبحترى الشاعر نراه يؤلف كتابا ضمن مجموعات الشعر العربى فى الحماسة ، كما فعل أبو تمام من قبل • وعبد الله بن المعتز — الأمير ، وخليفة المسلمين ليوم واحد والشاعر — ألف فى النقد ، حيث وضع الشـــعراء فى طبقات ، واستقصى أنواع البديع وجمع مختارات من الشعر وغير ذلك ، الى جانب كونه من فحول شعراء عصره • والصولى — علاوة على نظمه الشعر وانشاده وتحليله كان مؤلفا بارعا ، ألف فى معظم فروع المعرفة •

ولهذه الظاهرة الجديدة قيمتها ودلالتها فهى تدل على أن الشعر أخذ يفقد مكانته الأدبية قليلا وفطن الشعراء الى عدم الاكتفاء بنظم الشعر وانشاده وشكوا فى امكان الاكتفاء به ، فنراهم يقصدون الى العناية بشىء آخر طغى على هذا العصر — وهو العلم •

ولقد كان لضعف الخلافة — فى أواخر عصر الصولى — واشتغال الخلفاء بأنفسهم وخوفهم على مصيرهم ، أثر على الحيـــاة الأدبية • فقد أدى ضعف الخلافة الى ضعف الشعر فلم ينبغ فيه سوى قلة فرضوا أنفسهم بقوة شاعريتهم وهكذا اختلف الحال عن ذى قبل •• وكسدت سوق الأدب •

ولعل أسباب هذا الكساد ترجع الى عدة عوامل :

أولا : ان معظم الخلفـــاء والأمراء كانوا شعراء (١) ينظمون الشعر فى مجـــالات متعددة ويحفظون منه الكثير ، ويروونه هم أنفسهم فى بعض المناسبات .

ثانيا : ان اشتغال هؤلاء الخلفاء والأمراء بالشـــعر ونظمه وحفظه وروايته جعلهم لا ينظرون الى الشعراء تلك النظرة القديمة، التى كانت تجد فيما يسيل على ألسنتهم تخليدا لأمجادهم ، وتفخيما لدولتهم ؛ وتعظيما لشأنها وبالتـــالى لم يكونوا يجيزون على مدائح الشعراء بالجوائز السنية ، والهبات القيمة كما كان يفعل الخلفاء السابقون .

ثالثا : ان العصر أصبح عصر ثقافة وعلم يود فيه كل امرىء موصوف بالأدب أن يعرف كل ما يعرف من الآداب والفنون والعلوم والملاهى ــ فاذا تعلم القوم الشعر وأنشدوه ــ ومعظمهم فعل ذلك ــ فكما يتعلم الآن الرجـــل المثقف العزف على آلة موسيقية أو هواية التصوير ، أو غير ذلك .

ولا عجب أن يكثر الناظمون وحافظو الشعر ومنشدوه ورواته فى زمن كهذا ، الوزارة فيه والكتابة وصناعة الأدب تكاد تكون فنا واحدا فمعظم الوزراء والولاة والندماء الجلســـاء كانوا من الأدباء الذين ظفروا بالحظوة والتقدير عند الخلفاء .

وفى أواخر العصر ، طرأت أمور كان من جرائها تطفيف أرزاق الشعر ، وتقليل العطايا والبر اليهم ــ منها : توزيـــع العناية بين العلوم الوافدة المستحدثة على الذهن العربى والشـــعر الذى كان مستأثرا بجل عناية العرب فى صدر الدولة ــ ومنها : غلبة المنادمة

---

(١) انظر مثلا شعر الخليفة الراضى فى كتاب الأوراق ص (١٥٤ ــ ١٨٥).

على الشعر ، وترجيح صـــفة النـــديم ومكانته على صفة الشاعر ومكانته ـ اذا تعذر الجمع بين الصفتين ـ ، ومنهـا قلة الاكتراث للمدح حيث كانت المعاني في معظمها متداولة مكررة وصورة معروفة مفهومة ـ ومنها اضطراب أمور الحكم ، واختلال أحوال الرعية بين عصرين : عصر الهيبة والثروة والعطايا والملك الموطد وقد ذهب .. وعصر الأمراء الذين تقسموا الدولة واستقر كل منهم على امارة ، وتنافسوا فيما بينهم في اجتذاب الشعراء والتشبه بالخلفاء .

كل ذلك جعل الشعراء ضائعين تائهين بين هنا وهناك ولعل ذلك هو سر خفوت الشعر وقلة الشعراء المجيدين في الربع الأخير من القرن الثالث ، والربع الأول من القرن الذى تلاه .

ثانيا : النثر

وفى هذا العصر نما النثر وتنوع وكثرت فنونه ، فمن نثر الدواوين الذى يصدر عن الخلفـاء والوزراء الأمراء مصرفا لأعمـال الدولة ، الى هذا النثر الذى أخذ يتناول بعض الأغراض التى كان يتناولها الشعر ؛ من رغبة ورهبة وعتاب ورثاء ، ومدح وتهنئـــة واستعطاف واعتذار ، الى غير ذلك من هذه الفنون التى تصور نوازع الأفراد وأهواء نفوسهم ، الى نوع آخر من النثر لا يتناول شـــئون الدولة ولا أهواء الافراد ، وانما يتناول النفس الانسانية من حيث هى مؤثرة فى الحياة ومتأثرة بها ، فهو يصفها ويبين أخلاقها وهو يرشدها الى الخير ، ويعظها أن تتورط فى الشر ، ويوضح لها سبل الحياة بما يضرب لها من مثل ، وما يفصل بين يديها من حكم .

الى نوع آخر من النثر . يقصد به كاتبه الى التفكه والترفيه عن النفس أو تحقيق اللذة الفنية الخالصة بتنـــاول الموضوعات الأدبية من نقد للشعر أو شرح له وما يتصل بهذا كله مما نجده فى كتب الأدب .. الى نوع آخر من النثر يقصد به توضيح قيمة شاعر

واظهار مكانته وبراعته والدفاع عن مذهبه الشعرى .. الى نوع آخر من النثر اصطنعه العلماء والمؤلفون فى دروسهم وأماليهم وكتبهم العلمية والتعليمية دون ما استعراض لأسلوب أو تقعر فى لغة انما يقصد به مؤلفه توصيل المادة العلمية أو التاريخية أو الأدبية الى عقول القراء مباشرة وبلا أدنى تكلف .

المهم أن نعرف ان النثر - فى عصر الصولى - أصبح فنا تؤدى فيه جميع العلوم وجميع الأغراض حتى التى كانت وفقا على الشعر .. فأصبح الناثرون يمدحون ويهجون ويرثون ويعاتبون ويصفون ويؤرخون .. وتغيرت طبيعته فسهل ولان وأصبح مرنا يستوعب كل ما يصادفه من أمور وعلوم .

ولقد كان نتيجة لتطور النثر الفنى أن تسلط عليه الشعراء وأخذوا منه ، كما كان الكتاب فى الماضى يسطون على الشعر ويأخذون منه - فنرى ابن الرومى يتفنن فى معانيه ويطيل فى بسط فكرته وسردها مقلدا الكتاب ، بل يسرف فى ذلك اسرافا مفرطا ، فتطول القصيدة عنده طولا لم نعهده فى العصور الماضية، كما بسط ألفاظها تبسيطا شديدا وبذلك محا ما كان بين النثر والشعر من فروق(١) .

وخصيصته بارزة فى أسلوب أدباء العصر وهى تحليل المعانى والأفكار ، وكثرة الاستطراد والتنقل من موضوع الى موضوع - زيادة فى الامتاع والتثقيف - ثم الرجوع الى أصل الموضوع الذى يتناوله الأديب .

وفى هذا العصر وضح تنوع الكتابة لكثرة العلوم والفنون من

---

(١) الفن ومذاهبه فى الشعر - دكتور شوقى ضيف . ترجمة إبن الرومى ص ٢٠٠ - ٢١٤ .

جهة ، ولتباين مذاهب كتاب العصر وتخصصاتهم من ناحية أخرى • فأصبح لكل كاتب من الكتاب أسلوب خاص يتميز به عن غيره تبعا لثقافته وعلمه • وأصبح فى المتكلمين كتاب وفى الفقهاء كتاب •• وللأدب كتاب كما كان للديوان كتاب •

ولقد أخذ كتاب الدواوين أنفسهم بثقافة واسعة فنراهم يسيرون على الطريق الذى وضعه لهم عبد الحميد الكاتب غير أنهم — فى عصر الصولى — لم يكتفوا بذلك ، بل وسعوا ثقافتهم فشملت العلوم الفلسفية وأضافوا الى ثقافتهم العربية والفارسية — الثقافات الأخرى الداخلة ، وعمقوا أفكارهم ورتبوا معانيهم وانعكس كل ذلك على أسلوبهم وطريقتهم فى التعبير — حيث كان الكتاب يبالغون فى تنميق كتاباتهم فأحدثوا مذهب التصنيع(١) كما استغل كتاب الدواوين مهارتهم العقلية فى تلوين كتاباتهم بالعديد من الاستعارات والكتابات •• وأخذوا يحتالون فى كتاباتهم احتيالات كثيرة ويضمنوها صورا طريفة تعين على ابراز الأفكار التى يريد الكاتبون تأديتها • وممن اشتهر فى هذا الجانب مجموعة من الكتاب على رأسهم أسرة الصوليين التركية وأسرة البرامكة الفارسية(٢) •

ولا شك أن الذى ساعد على اجتهاد الكتاب فى صقل أساليبهم وتوسيع ثقافتهم ومداركهم أن الكتابة كانت الوسيلة الى الوصول الى أرفع مناصب الدولة وأرقاها ، خاصة وأن الخلفاء كانوا ينتخبون من بين هؤلاء الكتاب وزراءهم وكتابهم الخصوصيين وندماءهم ورؤساء الأعمال فى دواوينهم •

ولقد أولى الخلفاء العباسيون كتابهم عناية كبيرة ، وتخيروا منهم أبرعهم خطا وأتقنهم كتابة وتنميقا ، وأروعهم أسلوبا وأقدرهم

---

(١) الفن ومذاهبه فى النثر — دكتور شوقى ضيف ص ١٩٩ •

(٢) الفن ومذاهبه فى النثر — دكتور شوقى ضيف ص ١٩٩ •

على استخدام الاستعارات والتشبيهات والكنايات . ووصل منهم كتاب كثيرون الى مراتب عليا فى الدولة منهم أبو العباس بن ثوابه المتوفي سنة ٢٧٧ هـ (١) وأخوه جعفر بن محمد بن ثوابه المتوفى سنة ٢٨٤ هـ الذى تولى ديوان الرسائل فى بغداد حتى تسلمه منهم أبو اسحق الصابى سنة ٣٤٩ هـ . وكانت هذه الأسرة من أبرع الأسر التى تولت الكتابة فى الدواوين ، ولعبت دورا مهما فى استخدام أساليب الكتابة الديوانية خصة السجع . ومنهم أيضا أبو بكر الصولى ، الذى كان من أبرع الكتاب فى العصر وتولى الكتابة زدحا طويلا ثم أصبح بعد ذلك كاتبا خاصا للخليفة الراضى بالله ، الذى كان لا يقرأ الا ما كتب بخطه(٢) .

وأهم ما يميز الكتابة الديوانية . السمة الدينية . فنرى الكتاب يميلون الى استعمال ألفاظ القرآن الكريم ، ومحاكاة أساليبه واقتباس آياته والاستشهاد بها فى ثنايا كتاباتهم لتقوية المعنى وتوضيحه ، وتوسعوا أيضا فى ادخال صفات التعظيم ذات الطابع الدينى على أسماء الخلفاء صونا لاعلامهم وحجبا عن امتهانها على ألسنة الناس ، فاتخذوا لهم صفات ــ لا ألقابا كما يقول الصولى (٣) ــ يعرفون بها فوصفوهم بالمعتمد على الله والمعتضد بالله والمكتفى بالله والقاهر بالله والراضى بالله الى آخر هذه الصفات .

وفى هذا العصر وضعت الكتب التى تخدم الكتاب وتثقفهم وتعينهم على أداء حرفتهم فوضع ابن قتيبة كتاب « أدب الكاتب » ووضع الصولى كتاب «أدب الكتاب» كما وضعت كتب عدة تمد الكتاب بالثقافات العامة المتنوعة لغوية كانت أو تاريخية أدبية

(١) معجم الأدباء ٤ ــ ١٤٤ .

(٢) أخبار الراضى بالله للصولى ص ١٨٣ .

(٣) أخبار الراضى بالله ص ٣ .

أو فلسفية من مثل الكامل للمبرد ، والبيان والتبيين للجاحظ والأمالى للقالى وغيرهم .. فاجتمعت الثقافة الواسعة مع ذوق العصر لكى ينهضا سويا بالنثر وليعملا على تجويد الكتابة ورفع شأنها .

ثالثا : النقد الأدبى :

وارتقت حاسة النقد الأدبى نتيجة لارتقاء حياة القوم الاجتماعية والعلمية والثقافية فقد حدث تغيير واسع فى عقلية القوم وتطورت أذواقهم وأحكامهم وأخذوا فى وضع المبادىء والأصول والمقاييس التى يمكن بها أن يقيسوا جودة الكلام ورداءته وتعاون الأدباء مع اللغويين والمتكلمين فى وضع هذه المبادىء والأصول فتطور النقد بتأثير ذلك كله تطورا كبيرا .

وفى هذا العصر وضح أن النقد لم يعد يتقيد بميل الناقد وذوقه ومزاجه فحسب ولم يخضع لتحليل الصياغة والأعاريض واللغة فقط ـ كما كان الشأن من قبل ـ بل ظهر فيه أيضا أثر الأدباء الذين كان لهم الفضل فى تحليل الشعر المحدث وابراز جمال عناصره واظهار عناصر القوة فيه ، والوصول الى أكثر خصائصه وأدق أسراره ، فاتسع أفق النقد وأصبح رحب الجوانب، يعتمد على الذوق الأدبى السليم ، ويأتنس بما دخل على الفكر والذوق العربى من علم وثقافة . واذا كان النقاد القدماء قد فطنوا الى عناصر الشعر القديم وخصائصه فان نقاد عصر الصولى قد وقفوا وقوفا طيبا على العناصر الحديثة فى الأدب والتى ظهرت أكثر ما ظهرت فى شعر المحدثين .

ومنذ أن أحدث الشعراء المحدثون تجديدهم انقسم النقاد ازاء هذا التجديد الى طائفتين :

١ ـ طائفة تحتذى القديم ولا تقبل التجديد الا بمقدار وبشرط عدم الخروج على عمود الشعر القديم المتوارث . فهى تؤثر

القـــديم لقدمه ولأصالته وفى الوقت نفسه تتحامل على الشـــعر المحدث ٠

٢ ـ وطائفة مالت الى التجـديد وقبلته على أنه من حتميات التطور والتجديد ونتيجة لما دخل على الذوق العربى من ثقافات منوعة وارتضت بالشعر المحدث دون مساس بالشعر القديم ، بل مزجت بين المذهبين ، ورفض أعضـاؤها الجمود وحاربوه وسايروا التطور فاذا كانت حياة الانسان تتطور وتتحضر فلا بد للغته أن تتطور وتتحضر أيضـــا ولا بد أن ينعـكس ذلك كله على تعبيره الوجدانى ٠

قبلت الطائفة الأخيرة شعر المحدثين وأخضعته لمعايير الشعر المتفق عليها ، فاشترطوا فيه اكتمال المثـــل العليا التى تواضعوا عليها ٠ جزالة الألفاظ ومتانتها وتخير الكلمات وأن يشتمل أساسا على روعة التعليل وسمو التخييل ودقة الطباق وجمـــال الجناس وسحر الاستعارة والـــكناية وبلاغة التقسيم ٠ وألا يتعمد الشاعر التعقيد فى العبارة أو مخالفة القياس أو الجنـــوح نحو الشاذ أو الغريب ٠٠ وفوق ذلك أن يسلك الشاعر سبيلا معينا مستويا فى استعاراته وتشبيهاته فلا يسرف فى الصنعة أو يغرب فى الخيال حتى لا يتعرض للركاكة والضعف ٠ وأن يكون الشاعر مقتدرا على لغته متمثلا التراث العربى فى كل صوره وعصوره ٠ لا يجد مشقة فى الأوزان ولا فى اختيار القوافى وأن يكون مســتوفيا لشرائط المديح والرثاء من ناحية ايراد المعانى الضخمة والمثـــل العليـا فى الممدوحين والمرثيين على الســـواء ٠٠ كل ذلك مع الاضافات التى تتمشى مع تجديدات العصر من حيث المعانى والصور والألفاظ ٠

وظهر التجديد ـ الذى قبلته هذه الطائفة أكثر ما ظهر ـ فى الزخرف والتنميق. وقد وجدوا له أصولا ونماذج فى الشعر القديم جاءت عفوا وسليقة وطبعا ٠ وكان من نتيجته أن أصبح الشعر فنا

يسير فيه الشاعر وراء جمال اللفظ ورقته، وجمال المعنى وعذوبته، وجمال التركيب ومتانته وصارت الألفاظ تبدل والعبارات تغير ، ليحدث اللفظ طرباً فى السمع وليحدث المعنى نشوة فى الروح ٠

وهكذا تناول التجديد فى الشعر كل ما يتصل بالشعر ٠٠ أغراضه وألفاظه ومعانيه وصوره وأخيلته ٠ وتبع التجديد فى الشعر ـ التجديد فى أذواق القوم والتجديد فى تقييم العمل الفنى وشمل التجديد فى النقد ظواهره وأشكاله وجوهره ، وأصبح النقد يقوم على الأسس الفنية المتوارثة ويقوم أيضا على الثقافة وعلى كل ما دخل الذهن العربى من المعارف الأجنبية ٠

ومن خلال كتب الصولى فى الشعر والشعراء ومن خلال كتب النقد القديمة يستطيع الباحث أن يقول : ان النقد الأدبى ـ فى هذا العصر ـ قام أساسا على الموازنة والمقارنة فقد أخذ النقاد يوازنون ويقارنون ـ لا بين الشعراء المحدثين ومن سبقوهم فحسب بل أيضا بين الشعراء المحدثين أنفسهم ٠ فقارنوا بين معانيهم وألفاظهم وصورهم وأخيلتهم ؛ وأشاروا الى مواطن الجمال والقبح ، وأسبقية اختراع المعنى ، وتوضيح استراقات الشعراء ، وارجاع المعانى الى أصحابها ، وتحديد التابع والمتبوع ، وتقييم شعر المتنافسين حول معنى واحد ، وتوضيح من منهما أحق بالمعنى ، وتحدثوا أيضا عن ائتلاف اللفظ والمعنى ٠

وأيضا قسموا الشعراء الى طبقات حسب جودتهم الفنية ، وقسموهم الى مذاهب فنية من حيث الطبع والصنعة ، وقسموهم الى شعراء مجددين وشعراء مقلدين أو تقليديين ، واتخذوا من أبى تمام رمزا لشعراء الصنعة المجددين ، ومن البحترى رمزا لشعراء الطبع التقليديين ، وأقاموا بين منهجيهما المتنافرين مقارنات واسعة ودافع كل منهم عن المنهج الذى يرتضيه ، والشاعر الذى يعبر عن فلسفته،

فخرج للناس العديد من الكتب النقدية فى الموازنة وفى المحاسن والمساوىء وفى السرقات .. من هذه الكتب :

الشعر والشعراء .. لابن قتيبه (٢٧٦ هـ) وقواعد الشعر لثعلب (٢٩١ هـ) ومحاسن شعر أبى تمام ومساويه ، وطبقات الشعراء لابن المعتز (٢٩٦ هـ) وأخبار أبى تمام وأخبار البحترى للصولى (٣٣٦ هـ) وهى كتب يتضح منها تقدم النقد وسريان بوادر الروح العلمية المتجهة الى التنظيم والتجديد . كما شهد العصر أيضا صراعا عنيفا بين الأدباء والنقاد اتضحت آثاره فيما يتصل بالبلاغة، وكان من نتائجه كتاب البديع لابن المعتز .

وفى نهاية عصر الصولى – فى القرن الرابع الهجرى – بلغ النقد الأدبى أقصى مداه وكثرت فيه المؤلفات ومن بينها أشهر ماعرفه تاريخ النقد العربى مثل : نقد الشعر ونقد النثر لقدامة ابن جعفر (٣٣٧ هـ) – عيار الشعر لابن طباطبا (٣٤٥ هـ) الموازنة للامدى (٣٧١ هـ) والوساطة للجرجانى (٣٩٢ هـ) وغيرهم .. وهى كتب تمتاز عن سوابقها بالصبغة العلمية فى تحديد القواعد والضوابط ومحاولتها استيعاب عناصر النص الأدبى .

الباب الثانى

حياة الرجل

الفصل الأول

حياته

١ ـ اسمه ونسبه

اتفق المترجمون لأبى بكر الصولى ـ جميعا ـ على اسمه ونسبه ، وكنيته ولقبه ، فهو عندهم « محمد بن يحيى بن عبد الله ابن العباس بن محمد بن صول تكين » البغدادى الشطرنجى ؛ لكنهم اختلفوا فى الطريقة التى أوردوا بها اسمه من حيث الطول أو القصر ؛ ومن حيث التقديم والتأخير . فمنهم من أورد اسمه واسم أبيه فقط (١) .

ومنهم من أورد اسمه واسم أبيه وجده الأول (٢) . ومنهم من أورد اسمه واسم أبيه وسلسلة أجداده حتى وصل الى الجد الأكبر « صول تكين » (٣) .

---

(١) شذرات الذهب لابن العماد ٢ ـ ٣٣٩ .

(٢) الفلاكة والمفلوكون للدلجى ١٢ ـ ١٠٣ .

(٣) وفيات الأعيان لابن خلكان ٣ ـ ٤٧٧ . الكامل فى التاريخ لابن الاثير ٦ ـ ٣٢٤ ، الأنساب للسمعانى ص ٣٥٧ ، المنتظم لابن الجوزى ٦ ـ ٣٥٩ ، ومعجم الشعراء للمرزبانى ص ٢٦٥ ، معجم الأدباء لياقوت ١٩ ـ ١٠٩ .

وتبع اتفاقهم على اسمه ونسبه ، اتفاقهم أيضا على كنيته ولقبه ، فهو عندهم جميعا : « أبو بكر الصولى البغدادى الشطرنجى (١) » .

وقد اتفق أكثر المؤرخين والأدباء وأصحاب التراجم على أن لقب « الصولى » هذا نسبة الى جده الأكبر « صول » . غير أن قلة من المترجمين تنسب الصولى الى مدينة « صول »(٢) أو « جول » احدى ضياع جرجان ؛ أو الى بلدة « صول » بصعيد مصر الأدنى (٣) . ولكن من الثابت تاريخيا أن الصولى الجد أو الحفيد لم يحضر الى مصر ولم يتحدث عن أقارب له فيها كما أننا لم نجد فى المصادر الأدبية القديمة التى ترجمت له من أرجع نسبه الى «قرية صول المصرية » (٤) . بل ان هذه المراجع كانت تذكر « قرية صول » المصرية لمجرد التشابه فى الأسماء . كما جاء فى معاجم البلدان ؛ وتحترز بذلك حتى لا يقع لبس فى نسبته اليها .

على أن المحققين من أمثال ياقوت والمرزبانى وابن العماد والأصفهانى وابن الأنبارى وابن الجوزى وغيرهم ، يرجحون الرأى الأول وهو نسبته الى جده « صول » التركى الأصل .

---

(١) مرآة الجنان ، اليافعى ٢ ـ ٣١٩ .

(٢) وفيات الأعيان ، لابن خلكان ١ ـ ٢٥ .

(٣) ذكر ياقوت ذلك ، ولكنه لم يذكر أن أحدا نسبه اليها ثم اعتقد محمد بهجة الأثرى أن هناك من نسبه اليها . فكذب ذلك فى مقدمة كتاب أدب الكتاب . ويقول ج. هيورث ون : ان المؤرخين يختلفون فى نسبته هذه (الصولى) أهى الى المدينة المسماه (صول) أم الى جده (صول) ويرجح أغلب المحققين الرأى الأخير (انظر مقدمة كتاب أخبار الشعراء (ط) ؟

(٤) قرية صغيرة ناحية الصف مديرية الجيزة (القاموس الجغرافى للقطر المصرى ص ٤٣٠) .

وعموما فان جده الأكبر « صول » ينسب بل يتسمى باسم مدينة « صول » الفارسية وسواء أنسب أبو بكر الصولى الى جده « صول » أو الى مدينة « صول » فالنتيجة واحدة وهى : أنه جرجانى الأصل ومن مدينة صول ، فمن ينسبه الى جده يطلق عليه « الصولى » ومن ينسبه الى موطنه يطلق عليه « الصولى » غير أن نسبته الى جده مما أجمع عليه الرواة والمؤرخون .

وقد أجمع كل الذين ترجموا لأبى بكر الصولى على عراقة أصله ونسبه ؛ فقال ابن الأنبارى (١) « وكان ذا نسب ؛ فان جده « صول » وأهله كانوا ملوك جرجان » .

وقال ابن الأثير والسمعانى وابن الجوزى (٢) : « جده الأعلى هو صول ملك جرجان » .

فالمصادر العربية القديمة تدلنا جميعا على أن أبا بكر الصولى أحد حفدة « صول تكين » الأمير التركى الجنس ، الذى نزح الى جرجان ، احدى مدن فارس ؛ وتملكها هو وأخوه « فيروز » وتشبه بالفرس ودان بدينهم المجوسى ؛ وعبد النار وظل على ذلك ردحا من الزمان ، فنشأت سلالته على التشبه به وبأهل فارس ، حتى كانت حملة يزيد بن المهلب بن أبى صفرة » على جرجان ؛ واستيلائه عليها ، ودخول الاسلام فيها ؛ فأسلم « صول » على يديه ، وأصبح مولى من مواليه ، ولم يزل معه حتى خرجا معا على بنى أمية فقتلا يوم العقر (٣) سنة ١٠٢ هـ .

---

(١) نزهة الألبا فى طبقات الأدباء لابن الأنبارى ص ٣٤٣ .

(٢) الكامل فى التاريخ ٦ ـ ٣٢٤ ، الأنساب ٣٥٧ ، المنتظم ٦ ـ ٣٥٩ .

(٣) الأغانى للأصفهانى ١٠ ـ ٤٣ . هو عقر بابل وهو موضع عند كربلاء قتل عنده يزيد بن المهلب وصول سنة ١٠٢ هـ .

ولكن المصادر العربية القديمة لم تتعرض أو تتناول الأسباب التى جعلت هذا الأمير التركى ينزح الى جرجان ليتملكها ٠٠ ومتى كان ذلك أو كيف ؛ هل حرب أو سلم ٠٠ ؟

وأغلب الظن أن « صول تكين » كان أحد زعماء قومه أو قبيلته التى كانت تتنقل من أجل المرعى أو الغزو ، وأنها فى نهاية المطاف استقر بها المقام فى جرجان ، وسرعان ما سيطر عليها ونصب نفسه ملكا تحميه سواعد قومه وسيوفهم ، فنشأت سلالته فيها ٠

٢ ـ أسرته :

وأسرة الصولى احدى العائلات العريقة التى أسهمت بنصيب وافر وفعال فى نشر الدعوة العباسية وانجاحها ؛ واسقاط دولة بنى أمية ، ثم شاركت بمجهود ضخم فى خدمة الخلفاء العباسيين ودواوينهم ، وفى خدمة أهل العلم والأدب والمعرفة ٠

فمن أسرة الصولى : « أبو عمارة محمد بن الصولى (١) » أحد جلة الدعاة العباسيين ٠ ومنها « مسعدة الصولى (٢) » الكاتب البليغ ؛ أحد كتاب خالد بن برمك ، والذى تولى الكتابة بعده لأبى أيوب وزير المنصور على ديوان الرسائل ٠

وكذلك ابنه « عمرو بن مسعدة الصولى(٣) » الذى نشأ فى دواوين البرامكة ، وتربى على أيديهم ، ثم ولى شئون الدواوين لعهد المأمون(٤) ؛ الذى كان يعجب برسائله ٠

---

(١) وفيات الأعيان ١ ـ ٢٥ ٠

(٢) معجم الأدباء ١٦ ـ ١٢٧ ٠

(٣) معجم الأدباء ١ ـ ١٦٥ ٠

(٤) وفيات الأعيان ١ ـ ٣٩٠ ٠

يقول ياقوت عن عمرو بن مسعدة : « من جلة كتاب المأمون ، وأهل الفضل والبراعة والشعر منهم (١) أما عن بلاغته فيقول (٢) : « انه أبلغ الناس ؛ ومن بلاغته أن كل أحد اذا سمع كلامه ظن أن يكتب مثله ، فاذا رامه بعد عليه » .

ولقد بلغ عمرو بن مسعدة الصولى مكانة مرموقة فى عهد الخليفة المأمون لبلاغته وعلمه وبراعته ، جنى من ورائها مالا وفيرا ؛ تحدث أبو بكر الصولى عن ذلك فقال(٣) :

« لما مات عمرو بن مسعدة ، رفع الى المأمون أنه خلف ثمانين ألف ألف درهم ؛ فوقع على رقعة : هذا قليل لمن اتصل بنا ، وطالت خدمته لنا ، فبارك الله لولده فيه » .

ومن أسرة الصولى أيضا « ابراهيم بن العباس الصولى ، وأخيه عبد الله بن العباس الصولى » اللذان تخرجا فى مدينة المنصور – بغداد ؛ وكانا من وجوه الكتاب فى عهد الوزير الفضل ابن سهل الذى عرف قدرهما ، فرفع من شأنهما . وكان عبد الله أسنهما وأشدهما تقدما . وكان ابراهيم آدبهما وأحسنهما شعرا(٤) . كان يقول الشعر ثم يسقط رذله ثم الوسط ، ثم يختار مما بقى ؛ فلا يبقى فى القصيدة الا اليسير ، وربما لم يدع الا بيتا واحدا أو بيتين ، يقول عنه دعبل الخزاعى (٥) : « لو تكسب ابراهيم بن العباس الصولى بالشعر لتركنا فى غير شىء » . ويروى أبو بكر الصولى عن الحسين بن عبد الله أنه قال(٦) :

---

(١) معجم الأدباء ١٦ – ١٢٧ .
(٢) معجم الأدباء ١٦ – ١٢٩ .
(٣) معجم الأدباء ١٦ – ١٢٩ .
(٤) الأغانى ١٠ – ٤٣ .
(٥) الأغانى ١٠ – ٥٧ .
(٦) المصدر نفسه ١٠ – ٥٩ .

« سمعت ابراهيم بن العباس يقول لأبى تمام الطائى ، وقد أنشده شعرا له فى المعتصم : يا أبا تمام : أمراء الكلام رعية لاحسانك ؛ فقال له أبو تمـــام : « ذلك لأنى أستضىء بك وأرد شريعتك » ..

ويقول الصــولى أيضا (١) : « سمعت ثعلبا يقول : « كان ابراهيم ابن العباس أشعر المحدثين » ، وما روى ثعلب شعر كاتب قط .

ولقد كان لمكانة ابراهيم بن العباس الصولى وأخيه عبد الله – جد أبى بكر – وثقافتهما وشاعريتهما ؛ أن اتخذهما الفضل بن سهل كتابا للدولة (٢) ، فتنقــلا فى مختلف الأعمـــال والدواوين وظل ابراهيم يتنقل من الأعمال الجليلية والدواوين الى أن مات وهــو يتقلد ديوان الضياع والنفقات بسر من رأى فى سنة ٢٤٣ هـ .

وليس هذا فحسب بل ان أسرة الصـــولى تتصل عن طريق المصاهرة والنسب بأحد فحول الشعراء فى عصره وهو « العباس ابن الأحنف » خال ابراهيم بن العباس وأخيه عبد الله (٣) .

من كل ما تقدم .. نستطيع أن نخلص الى أن أبا بكر محمد ابن يحيى الصولى ، قد انحــدر عن آباء وأجــداد هم رءوس فى السياسة والعلم والكتابة والشعر ؛ تقلدوا جــلائل الأعمــال فى دواوين الخلافة ، وكانت لهم مكانة خاصة عند الخلفاء والوزراء ، وظلوا أئمة للعلم والأدب على مر العصور ؛ حتى جاء أبو بكر ، وقد ورث نبوغهــم جميعا ، فكان أكثرهم ثقــافة وانتاجا ، وكان امام عصره (٤) ؛ اخبـــاريا مؤرخا ، وأديبا مصنفا ، وكاتبا وشــاعرا ونديما .

---

(١) الأغانى ١٠ – ٥٩ .

(٢) وفيات الاعيان ١ – ٢٥ .

(٣) الأغانى ١٠ – ٥٩ .

(٤) ارشاد الأديب ٧ – ١٣٦ ، الكامل فى التاريخ ٦ ٣٢٤ ، تاريخ بغداد ٣ – ٤٢٧ .

واذا كانت المصادر الأدبية القديمة تحدثت عن عائلة الصولى وأصلها العريق ، ومكانتها المرموقة فى السياسة والكتابة والأدب ، فان هذه المصادر لم تتناول ولم تتحدث عن أسرته الصغيرة ـ زوجته أو أبنائه ؛ ولم يتحدث أبو بكر نفسه عنها ، كما تحدث عن أجداده وآبائه ، ولم يترجم المترجمون لأحد من أبنائه من بعده . وذلك يجعل الباحث لا يستطيع أن يقطع بالقول ؛ فى أن أبا بكر الصولى قد تزوج ، وعاش حيـــاة الناس العادية الأسرية ، أو أنه لم يفعل ذلك ؛ فليس هناك دليل ، كل ما يمكن أن يقال فى هذا الصدد ـ أن الرجل تزوج العلم والأدب ، وخدمة الخلفاء ومنادمتهم ، ووهب جل حياته لذلك .

٣ ـ مولده ونشأته :

ولد أبو بكر الصولى ببغداد (١) ؛ ونشأ بهـــا ، ولم يذكر مؤرخوه أو المترجمون له شيئا عن مولده ؛ وفى أى سنة كان ؛ ولم يذكروا شيئا عن طفولته .

وقد دل البحث على أن أبا بكر الصـولى ولد فى خمسينات القرن الثالث الهجرى ـ وبالتقريب ـ فى سنة خمس وخمسين ومائتين . فنحن نرى صورة لشبابه فى بغداد ؛ وتردده على الأدباء والعلماء والشعراء فى سنة ست وسبعين ومائتين للهجرة .

ويحدثنا هو أنه التقى بالبحترى الشاعر (٢) فى هذه السنة وقرأ عليه ، وسمع منه . كما يحدثنا عن اتصاله بالمبرد (٣) عند

---

(١) ارشاد الأريب ٧ ـ ١٣٦ .

(٢) اخبار البحترى للصولى ص ٤٩ .

(٣) اخبار البحترى ٩٩ .

عبد الله بن الحسن القطربلى فى هـذه السنة أيضا ، ويذكر الصولى بعض الأخبار عن أبى بكر أحمد بن زهير (١) فى هذه السنة نفسها .

ويقول الصولى عن ابن أبى طاهر (٢) : «وقد رأيته بالبصرة سنة سبع وسبعين ومائتين وكتبت عنه مجلسين أو ثلاثة ؛ فلما رأيته صحفيا ، لم أر عنده ما أريد تركته .. » .

كل ذلك يدل على أن أبا بكر الصولى كان يحضر هذه المجالس وقد تجاوز العشرين من عمره ، حتى يكون قادرا على استيعاب ما يقال فيها ، قادرا على الحكم على العلماء والأدباء .

ويؤكد هذا الرأى ويدعمه ، قول الصولى فى مديحته الضادية للراضى بالله ، فى ثنايا أحداث سنة سبع وعشرين وثلاثمائة للهجرة (٣) .

واذا دنت سبعون من متأمل
دانى ولم ير فى اللذاذة مركضا

واذا كان المؤرخون والمترجمون لم يذكروا شيئا عن سنة مولده أو طفولته ؛ فانهم أيضا لم يتحدثوا عن منابع علمه ، ولا أين طلب العلم ، أو متى ...

ولكننا نعرف أن بغداد كانت موئل العلم والعلماء وقبلة الشعراء والأدباء فى عصره ، فكان ولا شك يجد فى مسقط رأسه بيئة صالحة لنمو موهبته المبكرة.

---

(١) أخبار الشعراء للصولى ص ١٤٥ .
(٢) أخبار الشعراء ص ٢١٠ .
(٣) الأوراق للصولى ص ١٢٤ .

ومن المؤكد أن أبا بكر الصولى — وهو حفيد كتبة الدواوين وعمال الامارات ؛ نشأ نشأة أبناء علية القوم ، وسار فى نفس المسار الذى رسمه له أجداده وآباؤه ، فتعلم القرآن الكريم وحفظه ، والحديث الشريف ومبادىء القراءة والكتابة فى كتاتيب بغداد ؛ حتى شب فارتحل من بغداد الى البصرة (١) والكوفة وغيرهما من أجل أخذ العلم ورواية الحديث ، ثم انتظم فى الحلقات العلمية والأدبية والدينية ، التى كانت تقام فى ساحات المساجد لينهل من العلوم اللغوية والفقهية ما يروى ظمأه .

وأغلب الظن أن آباءه — وهم أساتذة الكتابة والأدب — تعهدوه بالرعاية والصقل والتوجيه ؛ حتى تستقيم له لغته ، وتنمو فيه تلك الموهبة الفذة المبكرة فى حب الأدب والشعر ، فكانت هذه الرعاية وهذا التوجيه هما الدعامة الأساسية فى غزارة علمه وتنوع ثقافته حتى وصل الى ما وصل اليه من مكانة مرموقة بين معاصريه .. وفى مجالس الخلفاء والأمراء .

فنشأة الصولى كانت ولا شك نشأة دينية أدبية ، تبدو واضحة جلية من اتجاهه العام ؛ وطريقته فى التعبير(٢) ، والتأليف والتصنيف ، وسرده لكثير من المعانى القرآنية ، واقتباسه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ؛ وأن هذه النشأة أنمت البذرة التى بذرها آباؤه وأجداده فكان طرحها هذا المحصول الوافر من المؤلفات(٣) والمصنفات التى قام باخراجها — وفى شتى المجالات .

---

(١) أخبار الشعراء للصولى ص ٢١٠ .

(٢) انظر خصائصه الفنية فى النثر .

(٣) انظر الباب الرابع من هذا الكتاب

٤ ـ حياته فى قصور الخلفاء :

ورث الصولى ـ فيما ورث ـ خدمة الخلفاء ، والعمل فى دواوينهم ، ولا شك أن آباءه قد تعهدوه بل أعدوه لكى يخلفهم فيما هم فيه من أعمال ووظائف رسمية .

ويبدو أنه كان يتصل ـ بحكم صلته العائلية ـ برجال الدولة من الكتاب والحجاب والولاة وغيرهم ؛ وكان يسألهم عما يدور عليه عملهم ، وكيف يزاولون مهنتهم ، وما الذى يقومون به فى خدمة الخلفاء . كل ذلك حبب اليه أن ينخرط فى سلكهم ويدور فى مجالهم ؛ وشجعه على الانكباب على دراسته وتعميق ثقافته ، كما نمى طموحه وقوى عزمه ، فأخذ يدرس كل ما يحتاج اليه الخلفاء ، وما يتطلبه العمل فى خدمتهم ؛ ويتزود بأسلحة العلم ، ويوسع مداركه ؛ ويحفظ الشعر قديمه وحديثه ، ويعرف آداب الملوك ؛ وأدوات النديم ، حتى اشتد ساعده ، واستطاع أن يشق طريقه المرسوم فى سبيل الغاية المرغوبة .

ولقد فطن الصولى ـ أن الطريق الى الخلفاء لابد أن يمر أولا على الوزراء والأمراء ، فنراه يتجول على قصور الوزراء والأمراء، يكتب لهم ؛ ويمدحهم بأشعاره ، شأنه فى ذلك شأن غيره من الكتاب والشعراء ، ويرجح هذا القول ما نجده من مقطوعات شعرية صغيرة وأبيات يسردها الصولى ؛ ويقول انها من قصائده فى بعض الرؤساء (١) .

أمضى أبو بكر الصولى الثلث الأول من حياته فى مرحلة الاعداد للهدف الكبير ؛ الذى طالما طمح اليه ، فاتصل أولا برجال الدولة ووزرائها وأمرائها ، وعمل فى خدمتهم ، حتى واتته الفرصة

---

(١) أدب الكتاب للصولى ص ٨٢ ، وأماكن أخرى متفرقة .

أو ربما هيئت له حين عرفوه فوجدوا فيه خامة جديدة جيدة ؛ فيها كثير من الميزات والكفاءات ، ولمسوا مواهبه ، فقدموه الى الخليفة المعتضد بالله (حكم ٢٧٩ ـ ٢٨٩هـ) ليعمل فى بلاطه كآبائه كاتبا ٠ وتقول المصادر الأدبية القديمة ان الصولى كسب ثقته واحترامه ، وتوطدت بينهما الصلة وتوثقت ؛ فكان الصولى يكتب له ، ويمدحه بقصائده وينادمه أيضا ؛ بل لقد ذكر المسعودى (١) أن الصولى كان له دل على المعتضد ، يطلب منه فيعده ، ثم يفى بوعده ؛ والصولى يقدم له المدائح فى المناسبات المختلفة ؛ ويذكر أحداث الخلافة ؛ كما يضمن شعره علاقات المعتضد بأصدقائه ومحبيه ٠

ولما مات المعتضد بالله ، اتصل الصولى بخليفته المكتفى بالله (حكم ٢٨٩ ـ ٢٩٥ هـ) فكان أحد ندمائه ٠ ثم ارتبطت حياة الصولى ـ بعده ـ بالخليفة المقتدر بالله (حكم ٢٩٥ ـ ٣٢٠ هـ) فتذكر المصادر أن الصولى نادمه ، وسهر على راحته ؛ وقام على مجالسه ، وقدم اليه ما احتاج اليه من علم وأدب ؛ وأن المقتدر بالله كان يحبه ويعظمه لحذقه وبراعته فى لعب الشطرنج ٠

ولم تقف علاقة الصولى بالمقتدر عند حد المنادمة والمجالسة ؛ كما فعل مع الخلفاء السابقين بل تعدت ذلك الى علاقات أقوى وأمتن، فلقد لمس المقتدر فى الصولى العلم والأدب والدين ٠ كما عرف فيه سعة الاطلاع وعمق التفكير ، ورجاحة العقل ؛ فاستعان به فى تعليم ولديه محمد وهارون وتثقيفهما ، وألقى على كاهله تبعة اعدادهما لما قد تجره وتقدره لهما الأقدار ؛ فصلة الصولى بالمقتدر ، وحياته فى رحابه كانت ذات شقين :

ـ شق يتصل بالمنادمة والمجالسة وما يتصل بذلك من أمور ٠

---

(١) مروج الذهب ٤ ـ ٢٧٨ (وانظر علاقة الصولى بالمعتضد فى حديثنا عن المنادمة) ٠

— وشق آخر أهم وأسمى ، وهو تعليم أولاده علوم الدين والأخبار والشعر والأدب ، فكانت حياته فى عهد المقتدر حياة حافلة بالحركة والنشاط .

ولعل ذلك ما دفع الصولى الى الاستزادة والتعمق فى العلم ؛ لأن مركزه كنديم للخليفة ، ثم معلم ومؤدب لأولاده ، اضطره أن يحصل من العلوم أوفر قسط حتى لا تخفى عليه خافية . ولعل ذلك أيضا ما لفت نظر الصولى بل دفعه الى تأليف الكتب فى شتى المجالات بقصد نشر العلم والأدب والثقافة .

واستمرت صلة الصولى بتلميذه الأمير محمد بن المقتدر بالله طوال حكم أبيه ؛ ثم طول حكم القاهر بالله (٣٢٠ — ٣٢٢ هـ) حتى كتب الله للأمير أن يتولى خلافة المسلمين ، فكانت سعادة الصولى لا تقدر ولا تحد ، وكان له نعم الناصح الأمين والمرشد والموجه ؛ وظلت حياته مرتبطة بتلميذه الراضى بالله طوال سنوات خلافته (حكم ٣٢٢ — ٣٢٩ هـ) .

ولقد كانت هذه الفترة من أهم الفترات وأخصبها وأبرزها فى حياة الصولى ، لعدة أسباب :

١ — أنه كان يشعر بالفخر والاعتزاز والاكبار أن تلميذ الأمس صار خليفة اليوم .

٢ — أن الصولى كان مشفقا عليه ؛ مدركا مدى التبعات الجسام التى ألقيت على شبابه الغض ، وأيضا ما كان يدور حوله من مؤامرات ومكائد أودت بالخلفاء السابقين ، كل ذلك جعله أقرب منه ؛ وألصق به .

٣ — أن هذه الفترة تعتبر أهدأ الفترات فى حياة الصولى ، لما شعر به من الاستقرار المادى والنفسى والراحة القلبية .

٤ ـ أن هـذه الفترة ـ أخصب الفترات في حياة الصولى ، ففيها وضع العديد من مؤلفاته ـ كما أشار هو الى ذلك في كتابة الأوراق ابان تأريخه لحكم الراضى ؛ خاصة كتابه أدب الكتاب وأخبار الخلفاء ، وما يتصل بأحداث الخلافة في الماضى والحاضر ٠

٥ ـ أن هـذه الفترة هي الوحيدة التي وصـلت الينـا كاملة وواضحة مع فترة خـلافة المتقى لله (٣٢٩ ـ ٣٣٣ هـ) برواية الصولى نفسه ، دون فيها كل ما رآه وسمعه ، وجال في خاطره ؛ ونظم من شعر ، فقدم لنا صورة واضحة من حيـاته في رحاب الراضى ، كما سجل لنا كل خواطره وانفعالاته ؛ وما صـادفه من أمـور ٠

حقيقة ان الصولى كتب عن عصر القاهر وأحداثه ، ولعله كتب عما سبقه من عهود الخلفاء ، ولكن لم يصلنا منها شيء ؛ فظلت هذه الأخبار مجهولة ٠

واذا كانت حياة الصولى في عهد الراضى قد اتسمت بالهدوء والاستقرار المادى والنفسى وانعكس كل ذلك على انتاجه الشعرى ، وما أخرجته قريحته من مدائح في الراضى بالله كمـا انعكس على انتاجه الأدبى والعلمى فأثمر العديد من المؤلفات والأبحاث ؛ فان دوام الحال من المحال ؛ فسرعان ما أفاق الصولى من هذه النشوة التي أسكرته ، وصحا من غفلته ، على دقات نواقيس الحاجة والفقر ؛ وقد صار كهلا تعدى السبعين ؛ فأحس بأن نجم حياته قد أفل ، وهوت سماء أحلامه ؛ ومات الأمل العذب ، فبموت الراضى بالله ، مات الاستقرار ؛ وولت السعادة والطمأنينة ، وحلت محلها الغربة والوحشة ، وذل الحـاجة والحـرمان ؛ وزاد الألم مرارة ، وأظلمت الحياة في عينيه حين رفض الخليفة المتقى لله (٣٢٩ ـ ٣٣٣ هـ) أن يجالس أحدا ، أو يتخذ نديما ؛ وانتهج نهجا خالف

فيه كل من سبقوه ، فقد كان متعبدا زاهدا ؛ ففضل أن يخلو بنفسه الى المصحف ، وأبعد كل حاشية الراضى .

وحاول الصولى أن يتقرب من وزيره « ابن مقلة » فمدحه بقصائد عصماء ؛ لعله يفتح له باب قلبه وقصره ، ولكن دون جدوى، فانغلق باب الرزق تماما فى بغداد ؛ وسد فى وجهه كل أمل فى البقاء بعاصمة الخلفاء ، خاصة بعد أن تعرض للضغط والاضطهاد والجحود والنكران من الوزير ، فلم يجد الصولى بدا من أن يستأذن الخليفة فى الخروج من بغداد . فأذن له .

انتقل الصولى الى « واسط » حيث الأمير « بجكم » التركى واليا هناك ؛ فوجد لديه كل ما فقده عند المتقى ووزيره ، فكان بجكم يعرف علمه وأدبه ، ولعله لم ينكر أفضاله ، وعن ذلك يقول الصولى (١) : « لما وصلت الى واسط دخلت الى بجكم ؛ فأكرمنى وقربنى، وأمر أن يؤخذ لى منزل قربه، وأدخلنى فى جملة ندمائه وذوى أنسه ، ووصلنى سرا وعلانية .. وربما وجه الى بالعشيات اذا خلا ، فأدخلنى أنا وقاضى واسط - المعروف بالعسكرى - فربما شاورنا فى شىء » .

وعرف أهل واسط بقدوم الصولى العالم المحدث الفقيه ، فتقدموا الى واليهم يرجونه أن يستسمحه فى الجلوس اليهم فى المسجد الجامع يوم الجمعة ؛ فتقدم اليه « بجكم » بذلك ، فوافق الصولى ، وجعل لهم مجلسين فى مسجد على بابه فى كل أسبوع (٢) .

وهكذا وجد الصولى الترحاب من بجكم ؛ وهكذا ارتاحت

---

(١) اخبار المتقى لله للصولى ص ١٩٤ .

(٢) أخبار المتقى لله الصولى ص ١٩٤ .

نفسه بعد أن رأى الفقر وذل الحاجة ، وظل فى واسط ؛ فى حمى بجكم وولايته حتى علم بوفاة المتقى لله سنة ٣٣٣ هـ ، فدفعه طموحه ـ الذى لا يحد ـ أن يتقرب من الخليفة الجديد « المستكفى بالله » (٣٣٣ ـ ٣٣٤هـ) فنراه يزمع العودة الى بغداد ؛ وسرعان ما وجد من المستكفى مثلما وجد من المتقى من قبل ؛ وتقول بعض المصادر القديمة (١) : ان المستكفى بالله رغب عنه لاتصاله بالهاشميين وحضوره مجالسهم وندواتهم ، فأبعده عن مجالسه ؛ لاعتقاده أنه يميل اليهم ويؤيد مطامعهم وآراءهم .

وتقول المصادر القديمة أيضا : ان العامة والخاصة طلبت دمه ؛ لأنه ذكر خبرا فى حق أمير المؤمنين على بن أبى طالب(٢) ، ولكنها لم تذكر ما هو الخبر وما هى طبيعته وكهنه .

ولعل الصولى ـ فى أخريات حياته ـ أراد أن يتقرب الى الخليفة فذكر ذلك الخبر ؛ فخسر الطرفين جميعا ، فانتقل الى البصرة هاربا من أقواله وأيامه ، تتدافعه أيدى الحرمان ، وقد كشفت له وجه النكران ، لينزوى فى البصرة مجهولا مستترا ؛ حتى حان أجله ؛ فانتقل للقاء وجه ربه ..

وهكذا انتهت حياته بعد أن أسدل عليه ستار الغربة والنسيان .

٥ ـ وفاته :

واذا كان المؤرخون والأدباء والمترجمون ـ الذين تناولوا حياة الصولى وسيرته ، وعلمه وروايته ، ومؤلفاته ومصنفاته ، قد

---

(١) تاريخ بغداد ٣ ـ ٤٢٩ ، وتاريخ الأدب العربى لكارل بروكلمان ٣ ـ ٥١ .

(٢) الفهرست ص ١٥١ ، وفيات الأعيان ٣ ـ ٤٨١ .

أغفلوا ذكر السنة التى ولد فيها .. فانهم أيضا لم يحددوا على وجه الدقة السنة التى جاور فيها ربه ، وان كان وجه الخلاف بينهم جميعا ليس كبيراً ، فهو لم يتعد العام الواحد .

فمن المترجمين من ذكر أن الصـــولى قد توفى سنة خمس وثلاثين وثلاثمـــائة للهجرة (٣٣٥ هـ) (١) ومنهم من قال انه قد وافته المنية فى سنة ست وثلاثين وثلاثمائة (٣٣٦ هـ) (٢) .

وهناك جماعة من المؤرخين احترزوا من الوقوع فى الخطأ عند تحديد سنة بعينها ؛ فقالوا « توفى الصولى سنة خمس وقيل ست وثلاثين وثلثمائة للهجرة (٣) » .

على أن المؤرخين قد أجمعوا على أن أبا بكر الصولى قد لبى نداء ربه وهو شيخ هرم ، قد ناهز الثمانين من عمره ــ أو ما يقاربها ــ بالبصرة : بعد أن خرج من بغداد وقد أعوزه القوت ، وأنه مات فى أوائل عهد الخليفة المطيع لله ابن المقتدر (٣٣٤ ــ ٣٦٣هـ) .

---

(١) معجم الأدباء ١٩ ــ ١١١ . الفلاكة والمفلوكون ص ١٠٣ .

(٢) المنتظم ٦ ــ ٣٦١ . معجم الشعراء ص ٤٦٥ .

(٣) وفيات الاعيان ٣ ــ ٤٧٧ ، نزهة الالبا ص ٣٤٥ .

الفصل الثانى

ثقافته ومصادرها

١ ـ ثقافته :

تتسم ثقافة الصولى بالشمول والتنوع ، ذلك أنها ثقافة موسوعية شملت جميع علوم وفنون وآداب عصره . فهو لم يترك علما من العلوم ولا فنا من الفنون ولا فرعا من فروع الأدب الا نهل منه حتى الثمالة .

والصولى بهذا كان يجارى تيار عصره الذى لا يؤمن بالتخصص فى منحى خاص من مناحى العلم أو الادب بل كان يحتم على المرء أن يجمع « من كل بستان زهرة » خصوصا لمن كان يؤهل نفسه علميا وأدبيا لأن يدخل قصور الخلفاء كاتبا وأديبا ومعلما ونديما ، ويؤهله طموحه لكى يشغل المناصب الكبرى فى الدولة .

انتهج الصولى نفس المنهج الذى كان شائعا فى عصره : « من أراد أن يكون عالما فليطلب فنا واحدا ، ومن أراد أن يكون أديبا ، « فليتسع فى العلوم (١) » .

---

(١) قول ابن قتيبة ـ العقد الفريد لابن عبد ربه ٢ ـ ٤٢٣ ، تاريخ بغداد ١١ ـ ٤٠٧ ، انباه الرواه للقفطى ٢ ـ ١٦٢ .

ففى عصر الصولى - أى (خمسينات) القرن الثالث الهجرى حتى (ثلاثينات) القرن الرابع لم يكن لطابع التخصص شأن بل انهم كانوا يزدرون التخصص ويقبحونه ، ويعيبـــون أن يكرس المرء جهوده لعلم واحد أو لفن واحد ، لأنه فى هذه الحالة يتصف بالقصور والجمود فلابد من تنوع المعارف « فما أقبح الرجل يتعاطى العلم خمسين سنة ، لا يعرف الا فنا واحدا حتى اذا سئل عن غيره لم يجل فيه (١) » .

عرف الصولى ذلك واقتنع به فعمـــل على تنويع ثقافته وتلوينها ، والالمام بكل علم وفن ظهر وشاع فى عصره حتى صارت ثقافته شاملة لكل ما ذخرت به الثقافة العربية من علوم وفنون وآداب ؛ وقد أهلته هذه الثقافة الواسعة لأن يضطلع بكل الأدوار التى قام بها فيما بعد فى الحياة الرسمية والأدبية .

ولقد اتضحت هذه الثقافة الشاملة المتنوعة ؛ وبدت جليـــة فى تأليف وتصنيف كل هذا العدد الضخم من الكتب والرسائل على اختلاف علومها وفنونها ، وتنوع أغراضها ومضمونها .

ذلك لأن ثقافته هذه لم تكن وقفا على الدراسة والاستيعاب والاطلاع والالمام فحســـب ، بل انعكست أيضا على بذل العـــلم ونشره ، وتقريبه الى الأذهان ، فهو يدرس ويســـتوعب ، ويطلع ويلم ، ثم يخرج ما درسه من خلال ذهنيته محللا واضحا ، شاملا لكل دقائق وجزئيات الموضوع ، مضيفا آراءه فى كل ما درســـه واستوعبه ، مؤلفا فى نفس المجال أحيانا .

---

(١) قول احد الامراء وقد دخل مجلسا فوجد مجموعة من العلماء وكلما سأل أحدهم فى موضوع يتصل بعلم من العلوم اعتذر العالم المسئول عن الرد بحجة ان هذا الموضوع ليس تخصصه فقال الأمير هذه العبارة « راجع تاريخ بغداد ١١ - ٤٠٧ ابناه الرواه ٢ - ١٦٢ » .

ففى دراسته لعلوم القرآن والمامه بفروعها ، لم يقف عند هذا الحد ، بل ألف كتابه « الشامل فى علم القرآن (١) » وذلك مساهمة منه فى التعريف بهذا العلم ونشره ؛ ومجاراة للتيار السائد فى عصره ، وخدمة لطلاب العلوم الدينية ·

بل ان الصولى - فى كتبه المختلفة - لم يترك موضوعا من الموضوعات التى تناولها فى العلم والأدب الا وكان يستشهد على صحة رأيه أو توضيحه بآيات من الكتاب الكريم ، تمس الموضوع وتدعمه وتؤيده ·

فحين طلب اليه أن يختار لقبا للأمير « محمد بن المقتدر » الذى تولى الخلافة سنة ٣٢٢ هـ · احتج الصولى على ذلك ، وقال ان هذه صفات وليست ألقابا ، لأن الألقاب مكروهة ، وقد نهى الله تعالى عنها فى القرآن الكريم ، فقال عز وجل « ولا تنابزوا بالألقاب (٢) » ·

وليس هذا فحسب بل أن كتابه « أدب الكتاب » وطريقته فى تحليل مواده ، يدل دلالة واضحة على تعمقه الواسع فى علوم القرآن ولغاته وألفاظه ومعانيه ، فقد تضمن العديد من الشواهد القرآنية فى مختلف الموضوعات ·

وفى دراسته لعلم الحديث ، تتلمذ الصولى على كبار أئمة الحديث ، وانتظم فى حلقاتهم بالمساجد ودور العلم ·· نقل عنهم وروى لهم وفسر ما رووه · وتقول المصادر القديمة انه ألف

---

(١) الفهرست لابن النديم ص ١٥٠ ، هدية العارفين لاسماعيل البغدادى ٢ - ٣٨ ·

(٢) اخبار الراضى بالله للصولى ص ٥ ·

« جزءا فى الحديث (١) » ٠٠ من مروياته ٠ ويقول الصولى نفسه أنه وضع « كتبا فى الحديث (٢) » وليس جزءا فقط ٠

والصولى الى جانب معرفته بعلم الحديث يعرف طبقات المحدثين ويعرف مدى عدلهم وصدقهم فنراه فى كتابه « أخبار الراضى بالله والمتقى لله » يؤرخ للعديد منهم ولمولدهم ووفاتهم ويذكر نبذة تكفى للتعريف بهم ٠

فيقول عن أبى عبد الله بن المهتدى(٣) المتوفى سنة ٣٢٣هـ : « المحدث الفقيه المشهور الذى كان له حلقة يجتمع اليه الناس » ٠

ويقول عن ابراهيم بن عبد الصمد بن موسى المتوفى (٤) سنة ٣٢٤ هـ : « المحدث ٠٠ وهو شيخ هاشمى قدم بغداد من سر من رأى ٠ ولد سنة ٢٢٤ وكان عنده علو اسناد فتكلم الناس فى سماعه والتهبت له سوق ، ثم طفئت ورجع الى سر من رأى ٠

ويقول عن أبى بكر بن أبى الأزهر المتوفى (٥) سنة ٣٢٥هـ : « كذبه أصحاب الحديث لادعائه السماع عن أبى كريب وسفيان ابن وكيع واسحق بن الضيف ونظرائهم ٠٠ »

ويقول عن أبى عبد الله الحسين بن اسماعيل المحاملى(٦) المتوفى سنة ٣٣٠ هـ ، انه محدث لا مثيل له ٠٠ وما كان بقى على الأرض محدث أسند منه مع صدقه وثقته » ٠

---

(١) كشف الظنون ص ٥٨٨ ٠

(٢) أخبار ابى تمام للصولى ص ٦٢ ٠

(٣) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٦٧ ٠

(٤) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٧٦ ٠

(٥) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٨٨ ٠

(٦) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٢٣٠ ٠

كما ذكر الصولى العديد من علماء الحديث الذين كان يختلط بهم فى مجالس الخلفاء وقصورهم من أمثال « أبى القاسم بن بنت منيع وعلى بن الجعد وابن عائشة وأبى نصر التمار» ويقول عنهم انهم « أعلى من بقى فى زمانه اسنادا وأكثرهم ثقة (١) » .

أما عن مجالس الصولى ، فقد ذكر انه كان يجلس فى أخريات أيامه فى أحد مساجد واسط (٢) أيام ولاية بجكم سنة ٣٢٩ هـ ليروى الأحاديث ويفسرها ولعله فعل ذلك فى بغداد أيضا بعد عودته اليها من واسط . فالخطيب البغدادى يذكر بعض الأحاديث (٣) التى رواها الصولى بنفسه عن كبار أئمة الحديث الذين تتلمذ عليهم والتقى بهم .

والصولى لتعمقه فى علم الحديث وتفسيره وروايته ولمعرفته برجاله وكل ما يتصل بهم وبأحوالهم وصف بأنه « الامام المفتن(٤) » .

أما ثقافته الفقهية ، فقد اكتسبها من أعلام الفقه والتشريع الذين طالما وفد اليهم واستمع الى آرائهم وتحليلهم لأحكام الشريعة ، ثم أعمل عقله وفكره وبنى لنفسه آراء خاصة فى الفقه .

فهو لم يترك مجال الفقه والتشريع دون أن يدلى بدلوه فى مضماره ، فألف « كتاب العبادة (٥) » . تناول فيه كل ما يتصل بالعبادة من أحكام . كما ألف « كتاب رمضان (٦) » تناول فيه

---

(١) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٢٥ .
(٢) أخبار الراضى بالله والمتقى لله للصولى ص ١٩٤ .
(٣) تاريخ بغداد ـ الخطيب البغدادى ٣ ـ ٤٣١ .
(٤) النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٣ ـ ٢٩٦ .
(٥) الفهرست ص ١٥١ وفيات الاعيان ٣ ـ ٤٧٧ ، هدية العارفين ٢ ـ ٣٨.
(٦) الفهرست ص ١٥١ هدية العارفين ٢ ـ ٣٨ .

فضائل الشهر الكريم ، ثم أعقبه بكتاب آخر أكثر توضيحا . ألفه على هيئة أسئلة والاجابة عليها سماه «سؤال وجواب زمضان(١) » تناول فيه أحكام الصيام وفوائده » .

وليس هذا فحسب بل ان الصولى ضمن كتابه « أدب الكتاب » فصولا قيمة عن بعض الأمور الفقهية ، تحدث فيها عن الأموال والجزية والخراج والزكاة وأحكام الأرض ، وغير ذلك من المسائل الهامة التى تتصل بالفقه والتشريع .. لكل ذلك لقب الصولى « بالفقيه (٢) » .

وثقافة الصولى الفقهية لا تنتهى عند حد معرفته بعلوم الفقه ونبوغه فيها ، بل انه كان أيضا يعرف فقهاء عصره ، ويعرف مذاهبهم وآراءهم فى كل ما يتصل بالدين وأحكام الشريعة ، فنراه يؤرخ لبعضهم أيضا ويذكر نبذا عن حياتهم .

فيقول ان « ابن المغلس المتوفى سنة ٣٢٤ هـ كان فقيها على مذهب داود (٣) » .

ويقول ان أبا سعيد الاصطخرى المتوفى سنة ٣٢٨ هـ « كان رأسا فى حفظ مذهب الشافعى (٤) » .

كما يذكر العديد من القضاة ؛ ويؤرخ لهم من أمثال القاضى عمر بن محمد قاضى القضاه ، وأبى النصر يوسف بن عمر قاضى بغداد ، وأحمد بن اسحاق الخرقى (٥) قاضى مصر والشامات والحرمين وغيرهم .

---

(١) هدية العارفين ٢ ـ ٣٨ .

(٢) تاريخ بغداد ـ الخطيب البغدادى ٣ ـ ٤٣١ .

(٣) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٨٣ .

(٤) أخبار الراضى بالله صولى ص ١٤٠ .

(٥) أخبار الراضى بالله ص ٢١٢ .

واكتسب الصولى ثقافته اللغوية من اطلاعه على ينابيع الشعر العربى ، فقد عاصر الصـــولى فحول الشعراء المحـدثين من أمثال البحترى وابن الرومى وابن المعتز ، وســـمع أشعارهم وحفظهـا ورواها .. ولم تقف ثقافته على عصره فقط ، بل رجع بهـــا الى العصـــور السابقة حتى تعمق فى شعر الجاهليين ودرس لغـاتهم ولهجاتهم . وعـرف صـورهم وتشبيهاتهم ، وانعكس كل ذلك على نفسه وعلى كتاباته . فنجد للصولى قاموسا لغويا ضخما جمع فيه العديد من ألفاظ اللغة التى يتناولها ، مبينا اختلافها بين القبـائل حسب لهجاتها ، فكثيرا ما يتحدث عن لغة تميم ولغة قيس (١) .

ولقد ذكر القفطى (٢) أن الصولى فى شرحه لدواوين الشعراء تناول الغريب من لغاتها فحلله وفسره .

وخير دليل على ثقافة الصولى اللغوية ومعرفته لأسرار اللغـة وألفاظها ، ما حدث فى احدى الندوات الأدبية واللغوية من نقـاش بين الخليفة الراضى بالله وبين الصولى حول كلمة وردت فى قصيدة(٣) فقال الراضى عنهـا : ان الطبرى يقول هذا فى تاريخه .. فقـال الصـولى :

« الطبرى ليس فى الغـريب مثـله فى غيره ، واستشهد على صحة كلامه بالأصـــمعى وأبى الأعرابى وأبى عمر الشـــيبانى .. ثم لم يرض الراضى حتى سأل القاضى عن هذا فقال : « رواه الطبرى على خطأ ، والصــولى كثير السمـاع ، فمن هذا لا يحكى الا صوابا » .

---

(١) أدب الكتاب للصولى ص ١٧٨ (التاريخ) وص ١٤٣ (العنوان) .

(٢) انباه الرواة ـ القفطى ٣ ـ ٢٣٣ .

(٣) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٣٩ ـ ٤١ .

أما ثقافته النحوية والصرفية ، فقد إكتسبها من اتصاله بأساتذة كبار فى النحو والصرف من أمثال ثعلب والمبرد وغيرهما ، وتدوينه لآراء النحويين ومناقشاتهم ٠

ولقد درس الصولى كل ما دار فى العصر حول قواعد النحو وأصوله وموضوعاته ، وعرف رأى العلماء فى مشكلاته ، واختلافهم فى الآراء واتفاقهم ٠٠ وكونه نشأ وعاش فى موطن النحو واللغة وتنقل بين مدن العراق المختلفة ، فانه قد ألم بكل ما تختلف فيه المدرسة البصرية عن الكوفية ، وهو لم يكن سلبيا يأخذ الأمور على علاتها ، بل كان له رأيه الخاص الذى يؤيد هذه المدرسة أو تلك فهو من أتباع المدرسة البغدادية التى كانت وسطا بين مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة ٠

وهو لالمامه بعلم النحو ومدارسه ، قام باعراب بعض دواوين الشعراء ، وذكر بعض ما اختلفت فيه مدارس النحو المختلفة ، حتى لقد وضعه القفطى ضمن أنباه نحاته (١) ٠

ولم يكن النحو فقط هو الذى جال فيه الصولى ، بل انه أولى علم الصرف كثيرا من عنايته فنراه يضمن كتابه « أدب الكتاب » العديد من التخليلات اللغوية مبينا اشتقاقاتها وأوزانها ، بل انه ضمنه بعض الفصول الصرفية لمساعدة كتابه وطلاب المعرفة على الوصول الى كنوز اللغة العربية ومعرفة ألفاظها ٠

وليس هذا فحسب ، بل ان للصولى استقلالا فكريا فى تفسير الظواهر اللغوية مستهديا فى ذلك بروح اللغة العربية الأصيلة ٠ وقد دعاه تعمقه فى علوم اللغة المختلفة الى أن يؤلف كتابا فى

---

(١) انباه الرواة ـ للقفطى ٣ ـ ٢٣٣ ٠

« ما اتفــق لفظه واختلف معناه (١) » وأن يشرح بعض دواوين الشــعراء المحــدثين ، وأيضا « ديوان الحمــاسة (٢) » الذى ألفه أبو تمام ٠

ولقد كان الصــولى شاعرا مجيــدا ، قدم لنا قصــائد رائعة ومقطعات كثيرة معظمها فى المديح والغزل ، اعترف بشاعريتهومقدرته الفنية أدباء عصره (٣) ٠

كما كان عالما بالشعر، ذواقا له ، عارفا غثه وسمينه ، فاهما لأغراضه ومراميه ، وما غمض من معانيه ، عارفا بقائليه وطبقــاتهم ومذاهبهم وأخيلتهم وصورهم ٠ وقد دفعه هذا الاهتمام بالشعر الى جمع دواوين عدد كبير من الشعراء المحدثين ٠

وتحدثنا المصــادر الأدبية القديمة ، عن مدى ثقافته وعلمه وحفظه ومعرفته بالشعر قديمه وحديثه ، كما تبين لنا سعة اطلاعه وسرعة بديهته ، بل ان الصولى نفسه يحدثنا عرضا عن ثقافته فى مجال الشعر وروايته وأغراضه فيقول(٤) :

« أنشــدنا المبرد يوما أبيــاتا ، ولم يسم شاعرها ، وقال لا أعرف فى وصف أصحاب المعارف أحسن منها ؛ ومن أبياتها :

لبنى نهيــك طاعة لو أنهــا رجمت بركز متالع لم تكلم

قوم اذا غمزوا قناة عدوهم حطموا جوانبها ببأس محطم

فكتبوها ، ولم أكتبها فقال لى : لم لا تكتبها ؟ فقلت : أنا

---

(١) هدية العارفين ٢ ـ ٣٨ ٠

(٢) كشف الظنون ٦٩٢ ، هدية العارفين ٢ ـ ٣٨ ٠

(٣) معجم الشعراء ـ المرزبانى ص ٤٦٥ ٠

(٤) الأوراق ـ قسم اخبار الشعراء للصولى ص ٨٤ ٠

أحفظ القصيدة . فقال لى : لمن هى ؟ فقلت : لأشجع السلمى ، فقال : فيمن ؟ فقلت : فى ابراهيم وعثمان ابنى نهيك . قال : فأنشدنيها . فأنشدته :

لمن المنازل مثل ظهر الأرقم قدمت وعهد أنيسها لم يقدم

فضحك وقال : « حسبك أنت مفروغ منك » .

فهذه شهادة ، وأى شهادة ، شهادة من المبرد أمام البصرة فى العربية والنحو .

وأيضا فلقد سأل عبد الله بن المعتز أبا بكر الصولى فقال(١) من أين أخذ أشجع :

وليس بأوسعهم فى الغنى ولكن معروفة أوسع

فقال : من قول موسى شهوات لعبد الله بن جعفر بن أبى طالب عليه السلام :

ولم يك أوسع الفتيان مالا ولكن معروفه أوسع

فقال عبد الله : « أصبت ، هكذا هو » .

وهناك مئات من الطرائف والأخبار التى تشهد بمدى حفظ الصولى وثقافته فى الشعر ، امتلأت بها كتبه وكتب غيره من الأدباء والمؤرخين له .

ومعرفة الشعر وتذوقه تقتضى الحكم عليه وتقييمه ونقده . ومن هنا وجدت للصولى آراء وأحكام نقدية رفيعة . ولا شك أن

---

(١) الأوراق ــ قسم أخبار الشعراء للصولى ص ٨٣ .

الصولى اكتسب أصولها من دراسته لقوانين النقد الموضوعة وأحكام النقاد القدامى والمعاصرين .

ففى تقييم الشعر ونقده ـ جال الصولى فى مجالات عصره متبعا نفس الأصول والقواعد التى اتبعها النقاد فيه ـ غير أن ثقافته الخاصة وذوقه المتحضر وحسه المرهف أبت الا أن يكون له آراء خاصة فى الشعر وأحكام على الشعراء . نرى أثرها فى تعليقاته وتحليله لعناصر الجمال والذوق فى الشعر ، وفى الحكم على الشعراء من حيث التوفيق فى معانيهم وألفاظهم . نجد من هذه الآراء والأحكام نماذج رائعة فى كتابيه « أخبار أبى تمام وأخبار البحترى » .

حقيقة لم يضع الصولى كتابا فى النقد يبرز آراءه النقدية ؛ ولكن من تحليله لشـــعر الشعراء ومعانيهم ومقارناته بين أغراض الشعر القديم والحديث ، وحديثه عن السرقات ، وتوثيقه للشعر وارجاعه الى أصحابه الحقيقيين ، والحكم بين الشاعرين المتخاصمين المتنافسين واثبات أحقية أحدهما فى المعنى . وتأليف المختارات ، من كل ذلك وغيره نستطيع أن نلمس الصــــولى الناقد الذواقة ، ونحس مدى ثقافته النقدية العريضة فيبرز لنا الصولى كأحد أئمة النقد الأدبى فى عصره .

ولقد عرف فيه ذلك معاصروه وتلاميذه ، وعرفوا مقدرته الفنية وصدق أحكامه ودقتها فأخذوا منه ونقلوا عنه . من هؤلاء تلميذه المرزبانى فقــد أكثر من الرواية عنه ، واستشــهد بآرائه فى نقــد الشعر ، حتى أنه قلما يوجد شاعر فى موشحه ـ تناوله المرزبانى بالنقد والتحليل ـ والا وقد استعان بآراء الصولى فيه .

وأيضا ضمن الاصفهانى أغانيه العديد من آراء الصــولى فى الشعر والشعراء ونقل عنه أخبارهم ومكانتهم ومراتبهم .

ان كثرة المختارات الشعرية التى تأم الصولى بعملها لبعض الشعراء المحدثين وتجميعها واخضاعها لعناصر الجودة لهى من صميم النقد الأدبى . وذلك أنه كان يحكم ذوقه وعلمه فى انتقاء الأشعار وتمييزها وترجيح الأجمل والأجود .

وفى مجال التاريخ ، اطلع الصولى على تاريخ العرب القديم ، وعرف قبائلهم وبطونها وأفخاذها ، ومواطنها . ودرس أيامهم وطبائعهم وعاداتهم ، كما فهم تاريخ الشعوب والحضارات المحيطة بهم وعرف مبعث الرسول وارهاصاته ، ثم مغازيه وأخباره مع أصحابه ؛ كما اطلع على التاريخ الاسلامى وفتوحاته ، وأيام الخلفاء ومآثرهم وأحوال الدولة فى عهودهم .

وفى كتابه « أدب الكتاب » نجد ما يدل على ثقافته الواسعة فى مجال التاريخ .

ولقد حبب اليه هذا الاطلاع أن يشارك فى هذا المضمار مشاركة فعالة ، فألف فى التاريخ مجموعة من الكتب أهمها وأعظمها أثرا « كتاب الأوراق (١) » جمع فيه أخبار بنى العباس من الخلفاء والأمراء واحداث دولتهم .. ولقد وصلنا من هذا الكتاب الجزء الذى يؤرخ للدولة العباسية من سنة ٣٢٢ هـ الى سنة ٣٣٣ هـ وأيضا أخبار أولاد الخلفاء وأشعارهم كما ألف أيضا «كتاب الوزراء(٢)»

---

(١) الفهرست لابن النديم ص ١٥١ ، معجم الادباء لياقوت ١٩ ـ ١٠٩ ، وفيات الاعيان ٣ ـ ٤٧٩ ، كشف الظنون ٢٠١ ، هدية العارفين ٢ ـ ٣٨ ، الكامل فى التاريخ ٦ ـ ٣٢٤ .

(٢) الفهرست ، وفيات الاعيان ٣ ـ ٤٧٩ ، كشف الظنون ١٤٦٩ ، هدية العارفين ٢ ـ ٣٨ ، الكامل فى التاريخ ٦ ـ ٣٢٤ .

وكتاب «أخبار القرامطة(١)» وكتاب «وقعة الجمل(٢)» ٠

ولقد برزت ثقافة الصولى الرائعة فيما قام به من جمع لأخبار العـديد من الأدباء والشـعراء والكتاب وغيرهم ، والترجمـة لهم ولأحوالهم وتسجيل انتاجهم الفنى ، وكل ما كان يدور فى مجالسهم ، حتى لقد كان جمع الأخبار وروايتها أحد التخصصات البارزة فى ثقافة الصولى ٠

وثقف الصولى ـ بالاضافة الى كل ما ثقف ـ الموسيقى والغناء ومعرفة الألحان وايقاعاتها ٠ وقد استمد معرفته لهذه الفنـون من حضوره حفلات الغناء والسمر التى كانت تقام فى قصور الخلفاء ومن اتصالاته بالمغنيين والملحنين (٣) ومعرفة ألحـانهم ، ومدى اجادتهم لفنهم ، وطريقتهم فى التلحين والغناء .

وقد اشتهر الصولى بأنه كان يعرف الغناء ويجيده ٠ ويعرف أضربه وفنونه ومقـاماته ٠٠ يعرف مراتب المغنيين والمغنيات ٠٠

وليس أدل على ثقافة الصولى فى الموسيقى والغناء من تأليفه كتـابا عن « اسحق الموصلى(٤) » أكبر المغنين فى العصر ٠٠ جمع فيه أخباره ومؤلفاته ٠

وبالاضافة الى كل ذلك ، جال الصولى بين العلوم الرياضية التى تعتمد على الذكاء الفطرى والذهن المتقد ٠ فدرس علم الشطرنج دراسـة نظرية وعملية ، وفهم خططه ورسـم قواعده ٠٠ وتجلت

---

(١) وفيات الأعيان ٤/٤٧٩ ، كشف الظنون ٢٧ والكامل فى التاريخ ٦/٣٢٥ فى كتابه الخطيب البغدادى ص ١٠٩ ٠

(٢) الاعلام لخير الدين الزركلى ٨ ـ ٤ ، وذكره الدكتور يوسف العش

(٣) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٤٦ ٠

(٤) وفيات الاعيان لابن خلكان ٣ ـ ٤٧٧ ٠

عبقريته في هذا الفن في تأليفه «كتاب الشطرنج(١) » .

كما ذكر ابن تغرى بردى ان الصولى نبغ فى «علم الهندسة(٢)» وان هذا العلم انتهى اليه لانه شارك فى وضع دعائمه وأصوله .

ولم تنته ثقافة الصولى عند هذه العلوم ، بل انه اطلع أيضا على ما ألف فى علم الكواكب والنجـوم ، وما كتب عن الكسوفات والخسوفات ، وما أتت به الروايات والتنبؤات . وكان يربط دائما بين ما اطلع عليه ودرسه ، وبين الأحداث المحيطة به .

فحين قتل المتقى لله سـنة ٣٣٣ هـ نراه يربط بين مقتله ، وما جاءت به الرواية من ناحية . وما حدث من كسوفات فى الكواكب من ناحية أخرى . يقول (٣) :

« وما أعجب ما اتفق له من صحة الأخبار فيه . جاءت الرواية: أن عمر الحادى والعشرين من الخلفاء أقل من ثلثى عمر الذى كان قبله وأكثر من نصفه . فكان كذلك .

وذكر بليناس فى كتابه الذى ذكر فيه الكسوفات ـ وهو كتاب قديم قد ألف فى قديم الدهر « أمر ملك بابل » ؛ فقال ، وأنا أحكى لفظه من كتابه ، ومن طلب هذا الكتاب وجد ما ذكرته فيه **عـــلى** ما شرحته ؛ ان شاء الله قال بليناس : « أنظر الى سر غامض فى الكسوفات ، اذا كانت الشمس فى الميزان ، ووقع كسوف القمر وهو فى الحمل ، وزحل فى السرطان ، والمريخ فى الجدى .. هلك ملك بابل » .

---

(١) الفهرست لابن النديم ص ١٥١ ، كشف الظنون ص ١٤٣ ، هدية العارفين ٢ ـ ٣٨ .

(٢) النجوم الزاهرة لابن بردى ٣ ـ ٢٩٦ .

(٣) أخبار المتقى لله والراضى بالله للصولى ص ٢٨٣ .

فاتفق هــذا الكسوف على هذه الصـفة بعينها ، فكان بين الكسوف وبين هلاك المتقى لله أسبوع .

كما ألم الصولى ببعض ما يسمى اليوم حسب التعريف الحديث « بعلم النفس » . وكان المامه بهذا العلم ناتجا عن اطلاعه على كتب جالينوس الطبية ، وتطبيق ما جاء فى هذه الكتب ـ بما يتصل بهذا العلم ـ على المحيطين به من الخلفاء والوزراء والأمراء ، ومعرفة أحوالهم النفسية والمرضية .

من ذلك أن الصولى كان يعلل اضطراب رأى الخليفة الراضى وكثرة ضجره وسوء حالته النفسية وفساد مزاجه .. بكثرة علله وأمراضه .. ثم نراه يعد بأن يفرد بابا يوضح فيه كيف أن «مزاج الروح تابع لمزاج البدن (١) » حسب ما جاء فى قول جالينوس .

واذا انتقلنا الى ثقافة الصـولى الديوانية ـ تلك الثقافة التى تتصل اتصالا مباشرا بعمله فى قصور الخلفاء ، وكتابته لهم وقراءته عليهم ـ وجدنا انهـا الثقـافة الرفيعة التى جعلته فى الذروة ، وأكسبته شـهرة واسعة بلغت الآفاق . وقد تمثلت هـذه الثقافة ووضحت فى كتابه « أدب الكتاب (٢) » ذلك الكتاب الذى ألفه الصولى ليكون نبراسا وهاديا لمن يريدون أن يسلكوا طريق الكتابة ويتعيشوا من لعـاب أقلامهم فى دواوين الحكومة وقصـور الخلفاء والوزراء والأمراء والولاة .

جمع الصولى فى كتابه هذا خلاصة فكره وتجاربه وثقافته ، تلك الثقافة التى اكتسبها طيلة نصف قرن أو أكثر ، عاشها فى

---

(١) أخبار الراضى بالله للصولى ص ١٤٧ .

(٢) الفهرست ص ١٥١ ، وفيات الأعيان ٣ ـ ٤٧٧ ، الكامل فى التاريخ ٦ ـ ٣٢٤ ، كشف الظنون ٤٨ ، هدية العارفين ٢ ـ ٣٩ .

رحاب الخلفاء وانخراطه فى سلكهم وعمله فى دواوينهم وكتابته الرسائل لهم واليهم . فجاء هذا الكتاب خير دليل على ثقافته الديوانية الواسعة التى قدمته على كل كتاب عصره . حتى لقد ارتبط اسم الصولى بكتابه « أدب الكتاب » كما ارتبط « أدب الكتاب » بالصولى الكاتب .

ولقد كان لتأليف الصولى هذا الكتاب أكبر الأثر فى نفوس معاصريه ، خصوصا الوزراء والأدباء وغيرهم ، فكل أثنى عليه حتى لقد كان وزير الراضى « الفضل بن جعفر بن الفرات » يعرضه على كل من يدخل عليه ، ويعرف أنه يفهم فى الادب ويقول (١) :

«لقد سرنى أنه بقى فى الزمان من يحسن أن يؤلف مثل هذا» .

ولم يجعل الصولى هذه الثقافة الديوانية حكرا .. بل نشرها حتى تكون مساهمته فى مجالات المعرفة وفنونها شاملة واسعة ، خصوصا لم يؤهلون أنفسهم للعمل الرسمى .

ولا شك أن الذى ساعد على تغذية ثقافة الصولى وتدعيمها واستمرار جريانها ونضوجها وتمشيها مع تطورات العصر وظروفه هى مكتبته الضخمة الفخمة ، التى ذخرت بمواد عديدة من الثقافات والعلوم والآداب والفنون ودواوين الشعراء .

فكانت مكتبته هذه حصيلة علمه وخبرته وأحد الروافد الهامة لثقافته ؛ لأنه كان يسجل ويدون كل ما سمعته أذنه ورأته عينه، يرجع اليها فيجد فيها ردا على كل ما يعن له وتسجيلا لكل ما شاء حفظه ... كما كانت هذه المكتبة مقصد كل طلاب العلم والأدب والثقافة فى عصره .

---

(١) أخبار الراضى بالله للصولى ص ٩٠ .

وكان الصولى يهتم بهذه المكتبة اهتماما كبيرا ، ويجلد كتبها بأفخر الجلود ، ويميز بين موادها بألوان جلودها ، وبذلك نجد أن الصولى وضع أصلا من أصول فن المكتبات الذى انتشر حديثا حيث جعلت الألوان وسيلة لتمييز كتب الأدب عن كتب التاريخ عن كتب الفن عن كتب السياسة وغير ذلك ·

ويقول أبو بكر بن شاذان (١) : « رأيت للصولى بيتا عظيما مملوءا بالكتب وهى مصفوفة وجلودها مختلفة الألوان ، كل صنف من الكتب لون ، فصنف أحمر ، وصنف أخضر ، وصنف أصفر وغير ذلك » ·

ولقد كانت مكتبة الصولى هذه مبعث فخر له ·· لما تحتويه من مواد متنوعة ، وثقافات متعددة ، وكتب فى مختلف الفنون والعلوم ·· بل انها صارت حديث المحبين له والساخرين منه على السواء ، مما دعا أحدهم أن يقول (٢) :

انما الصولى شيخ أعلم الناس خزانه
ان تسل عن مشكلات طالبا منه ابانه
قال يا غلمان هاتوا رزمة العلم فلانه

هذه هى ثقافة الصولى ـ وهى كما نرى ثقافة موسوعية متنوعة ، مكنته من أن يكون من أوسع أهل عصره وأغزرهم علما ·

وقد ساعده على ذلك أن الله سبحانه وتعالى منحه ذاكرة لاقطة، وحافظة أمينة وقدرة على الاستيعاب والتعبير ، يشهد بذلك القدماء

---

(١) انباه الرواه القفطى ٣ ـ ٢٣٥ ، تاريخ بغداد ٣ ـ ٤٣١ ·
(٢) المصادر السابقة ·

والمحدثون على السواء ، من أجل ذلك جاءت آثاره وتصانيفه مرآة تعكس ثقافته التى كانت فى معظمها سماعية .

ونستطيع أن نلخص منابع ثقافة الصولى فى أنها : انما تتركز أساسا فى القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة ، وشعر القدماء والمحدثين ، وتاريخ الأقدمين ، ومعرفة آراء اللغويين والنقاد والأدباء فى المشاكل التى كانت تطرح للبحث .

أما العوامل التى آثرت فى ثقافته فهى :

أولا : البيئة التى نشأ فيهـــا سواء أكانت بيئة أدبيـــة أم اجتماعية أم سياسية .

ثانيا : الثقافة المعاصرة ، فمن الثـــابت الآن أنه تأثر بكل الثقافات المعاصرة والقديمة .

ثالثا : طبيعة الحكم فى الدولة ، وكان ذلك سببا جوهريا فى اعتكافه على الدرس والتحصيل ليبتعد عن جو المكائد والدسائس والمؤامرات .

٢ ـ أساتذة الصولى :

وأســاتذة الصــولى فى ذلك الحين .. أعلام الثقافة والأدب واللغة والفقه والحديث فى عصرهم ؛ تتلمذ عليهم ، وحضر مجالسهم وحلقاتهم ؛ وسجل كل ما دار فيها من أمال وحوار ومناقشات ، وشرح لمختلف العلوم ، ونقل عنهم وروى لهم ؛ وكان لهم الفضل الأكبر فى توسيع نطاق ثقافته وتنوع فنونه وعلومه .

فمن علماء الحديث الذين تتلمذ عليهم الصولى :

– عبد الرحمن بن خلف الضبى ، المعروف بأبى رويق الضبى (١) المتوفى سنة ٢٧٩ هـ ، والذى اشتهر برواية الحديث فى بغداد .

– ومحمد بن يونس البصرى ؛ المشهور بأبى العباس الكديمى (٢) المتوفى سنة ٢٨٦ هـ ، الذى رحل من البصرة الى بغداد ، واشتهر بأنه كان حافظا للحديث راويا له ؛ كما اشتهر برواية الغرائب .

– ومعاذ بن المثنى العنبرى (٣) المتوفى سنة ٢٨٨ هـ ؛ الذى عاش فى بغداد ؛ واشتهر برواية الحديث فترة طويلة .

– وسليمان بن الأشعث المعروف بالسجستانى (٤) المتوفى سنة ٣١٦ هـ . يقول عنه ابن النديم : « هو من جلة المحدثين وفقهائهم (٥) .

ومن علماء اللغة والنحو :

أبو العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد (٦) المتوفى سنة ٢٨٥ هـ ، وهو امام البصرة فى العربية والنحو فى عصره ؛ والذى يعد ممثلا لأرفع ما بلغته الثقافة العربية الخالصة فى القرن الثالث الهجرى ، وله من المؤلفات « كتاب الكامل » و « كتاب الفاضل » وغيرهما .

---

(١) أنباه الرواة ٣ – ٢٣٤ .
(٢) لسان الميزان ٥–٤٢٧ .
(٣) انباه الرواة ٣–٢٣٤ .
(٤) مرآة الجنان ٢–٣١٩ .
(٥) الفهرست ص ٣٢٤ .
(٦) وفيات الأعيان ٣–٤٧٧ .

وأبو العباس أحمد بن يحيى الشيبانى المشهور بثعلب(١) المتوفى سنة ٢٩١ هـ . وهو امام مدرسة الكوفة فى النحو واللغة . وهو عالم ثقة راوية للشعر القديم ؛ علامة بالغريب ؛ وضع كتبا عدة منها « الفصيح » و « مجالس ثعلب » و « قواعد الشعر » .

وهما العالمان اللذان يفخر الصولى بعلمهما وأستاذيتهما له فيقول (٢) :

« ومن جليل من رأيناه ولزمناه وأكثرنا عنه ممن بعد صيته ، وشهد بالعلم له ، فوقع الاجماع عليه اثنان : ابو العباس محمد ابن يزيد بن عبد الأكبر الأزدى ، وأبو العباس أحمد بن يحيى الشيبانى رحمهما الله » .

كما أخذ الصولى عن أحمد بن عبد الرحمن النحوى(٣) .

ومن الاخباريين وأصحاب النوادر :

محمد بن زكريا الغلابى ؛ المعروف بأبى عبد الله الغلابى(٤) البصرى ، الذى اشتهر بنقل الأخبار وروايتها .

ومحمد بن القاسم بن خلاد الضرير المعروف بأبى العيناء (٥) ، المتوفى سنة ٢٨٣ هـ ؛ صاحب النوادر والشعر والأدب ، والذى اشتهر بأنه كان من أحفظ الناس وأفصحهم لسانا وأسرعهم جوابا وأحضرهم نادرة .

---

(١) انباه الرواة ٣ـ٢٣٤ .

(٢) اخبار أبى تمام للصولى ص ٧ .

(٣) انباه الرواة ٣ـ٢٣٤ .

(٤) الانساب ص ٣٥٧ .

(٥) لسان الميزان ٥ـ٤٢٧ .

ومن أساتذة الصولى أيضا الذين حدث عنهم وتتلمذ عليهم :

عون بن محمد الكندى(١) ؛ وابراهيم بن فهد الساجى(٢) ، وعباس بن الفضل الاسفاطى (٣) وخلق كثير .

وكان الصولى يكتب كل ما يسمعه من أساتذته ويدون ما يملونه من آراء ، ويسجل ما يعن له من ملاحظات فى كتب خاصة ، حتى تجمعت لديه مكتبة ضخمة كل كتبها من سماعه أو تصنيفه وتدوينه .

والصولى لم يقف عند آراء أساتذته ، وما ثقفه أو تعلمه منهم ، بل انه قرأ كتب الأقدمين ، وأطلع على تراث السالفين من الأمم المجاورة من اليونان والأتراك والفرس فثقفها وفهمها وأخذ عنها ؛ فنقل عن بعض ملوك اليونان (٤) ، كما نقل عن جالينوس(٥) وارسطاطاليس (٦) . ونجد أثر ذلك كله فى كتابه « أدب الكتاب » ، فقد ضمنه العديد من الأقوال والحكم والمأثورات .

٣ ـ تلاميذ الصولى :

واذا كان أبو بكر الصولى قد تتلمذ على أعلام الحديث والفقه والأدب واللغة فى عصره ، وتأثر بثقافتهم ؛ واستشهد بآرائهم ، وروى عنهم كل ما ذكروه وتناوله بالتحليل والشرح .. فان له

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية ١٤ـ٣٨٩ .

(٢) تاريخ بغداد ٣ـ٤٢٧ .

(٣) أنباه الرواة ٣ ـ ٢٣٤ .

(٤) أخبار الراضى بالله للصولى ـ مقدمة الناشر .

(٥) أخبار الراضى بالله ص ٤٧ .

(٦) أدب الكتاب للصولى ص ٥٠ وأماكن أخرى متفرقة .

تلاميذ شهد لهم بالعلم والأدب ؛ كان لهم دور كبير فى نقل التراث العربى . كما كان لهم أجل الأثر فى التأليف والتصنيف والرواية من بعده .

من هؤلاء العلماء الذين تتلمذوا على الصولى وأخذوا منه ، ونقلوا عنه :

ـ على ابن الحسين الأصفهانى المعروف بأبى الفرج الأصفهانى (١) ، المتوفى سنة ٣٥٦ هـ ، فقد روى عنه فى أغانيه ما يقرب من ثلاثمائة خبر .

ـ ومحمد بن عبد الله بن شاذان المشهور بأبى بكر ابن شاذان (٢) ، المتوفى سنة ٣٧٦ هـ ، وهو الذى جمع كلام المتصوفة .

ـ ومحمد بن عمران المشهور بأبى عبيد الله المرزبانى (٣) ، المتوفى سنة ٣٨٤ هـ ، الذى كان يفخر بأستاذه ويقول « شيخنا رحمه الله » (٤) : فنجد فى كتبه ـ خاصة موشحه ومعجمه ـ نقولا كثيرة يرويها عن الصولى .

ـ وعلى بن عمر الدارقطنى المعروف بأبى الحسن الدارقطنى(٥) المتوفى سنة ٣٨٥ هـ ، الذى انفرد بالامامة فى علم الحديث مدة طويلة من الزمن .

---

(١) تاريخ الأدب العربى لبروكلمان ٣ ـ ٥١ .

(٢) انباه الرواة ٣ـ٢٣٤ .

(٣) وفيات الاعيان ٣ـ٤٧٧ .

(٤) معجم الشعراء ص ٤٦٥ .

(٥) الأنساب ص ٣٥٧ .

ويحدثنا الصولى نفسه عن اناس تتلمذوا عليه ، وكان لهم شأن فى الحياة الاسلامية ، والدولة العباسية ، من هؤلاء الأمير هارون بن المقتدر المتوفى سنة ٣٢٦ هـ . ومنهم الأمير محمد ابن المقتدر ؛ المتوفى سنة ٣٢٩ هـ ، يقول عنهما الصولى : « انهما تتلمذا عليه وقرءا عليه كتبا كثيرة (١) » ومنهم أيضا سيف الدولة الحمدانى المتوفى سنة ٣٥٦ هـ ـ أمير حلب ، يقول الصولى : « انه كان فى حداثته يلزمنى ؛ وقد قرأ على علما كثيرا (٢) » .

ومن تلاميذ الصولى أيضا ـ قاضى بغداد ـ عمر بن محمد المتوفى سنة ٣٢٨ هـ ، والذى تولى القضاء لفترة طويلة ، يقول عنه الصولى(٣) : «كان تلميذا لى ؛ وكنت أنا كالمربى له » ...

« قرأ على من كتب اللغة والأخبار وكتبى المصنفة ما يقارب عشرة آلاف ورقة ... » .

ولقد تتلمذ على الصولى رجال كثيرون ذكرتهم المصادر ، كما ذكرهم الصولى نفسه بين ثنايا مؤلفاته ، من هؤلاء : أبو أحمد الفرضى (٤) ، وأبو الحسن بن الجندى (٥) ، وأبو أحمد ابن الدهان(٦) ؛ وأبو عمر بن حيويه (٧) وعبيد الله بن عثمان

---

(١) اخبار الراضى بالله للصولى ٢٥ .

(٢) أخبار المتقى لله للصولى ص ٢١٨ .

(٣) أخبار الراضى ص ١٤٢ .

(٤) الانساب للسمعانى ص ٣٥٧ .

(٥) أنباه الرواة ٣ ـ ٢٣٤ .

(٦) أنباه الرواة ٣ ـ ٢٣٤ .

(٧) الانساب ٣٥٧ .

ابن يحيى (١) .

كما أخذ عنه أناس عديدون ، منهم : الحسين بن الحسن الغضارى ، والحسين بن الحسن الجواليقى ؛ وعلى بن القاسم النجاد البصرى ، وعباس بن عمر الكلوذانى (٢) وغيرهم .. ممن تناولتهم كتب الأدب والأخبار والتراجم .

---

(١) انظر تاريخ بغداد ٣ـ٤٢٧ .

(٢) تاريخ بغداد ٣ـ٤٢٧ .

● الفصل الثالث :

الراوية

١ ـ روايته :

حفظ الشعر العربى معارف العرب وأقوالهم : وأيامهم ، وفضائلهم ، فمن سعى لمعرفة شيء من ذلك ، تحتم عليه أن ينظر أولا فى أشعارهم .

عرف علماء وأدباء عصر الصولى هذه الحقيقة ؛ فنرى الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) يقول (١) : « فكل أمة تعتمد على استبقاء مآثرها ، وتحصين مناقبها على ضرب من الضروب ؛ وشكل من الأشكال ، وكانت العرب فى جاهليتها تحتال فى تخليدها بأن تعتمد فى ذلك على الشعر الموزون والكلام المقفى ، وكان ذلك هو ديوانها » .

ويقول ابن قتيبه (ت ٢٧٦ هـ) عن الشعر (٢) : « الشعر معدن علم العرب ، وسفر حكمتها ، وديوان أخبارها ، ومستودع أيامها ، والسور المضروب حول مآثرها ؛ والخندق المحجوز على مفاخرها ، والشاهد العدل يوم النفار ؛ والحجة القاطعة عند الخصام . »

---

(١) الحيوان ١ـ٧١ .

(٢) عيون الأخبار ٢ـ١٨٥ .

ومن هنا كانت أهمية الشعر ؛ وكان الاهتمام بحفظه وروايته •• وهى أهمية ترشدنا الى حقيقة واضحة : أن من يهتم برواية شعر العرب يجب عليه أن يعرف أخبارهم ، وأن من يسعى وراء معرفة أخبار العرب ، يجب عليه أن ينظر فى أشعارهم ؛ وهكذا ارتبط البحث عن الشعر العربى والسعى وراء الأخبار برباط واحد لا انفصام فيه ، فهما هدفان ـ الطريق اليهما واحد ؛ فاذا ما سار فيه عالم واع أدرك الهدفين معا •

وعى الصولى هذه الحقيقة وعرفها ، وأدرك مغزاها ؛ اعترف بذلك المؤرخون له جميعا فقالوا (١) : « كان عالما بفنون الآداب والأخبار ، جيد الحفظ واسع الرواية » •

ولقد كان لاجتماع هذين الأمرين ـ حفظه للشعر وأغراضه ومراميه ؛ ومعرفته بأخبار رواته وقائليه ـ أثر كبير وواضح فى ثقافته وعلمه، وتذوقه للشعر، دفعاه الى العناية بهما وروايتهما، فوجد أمامه تراثا ضخما ؛ وأخبارا لا حصر لها • فكان أن ألف العديد من أخبار الشعراء (٢) ، وجمع دواوين الفحول منهم •

اجتمعت عوامل متعددة ـ فى بيئة الصولى ـ لكى تجعل من الرجل رواية للأشعار والأخبار :

أولا : تناقل الروايات والأخبار ؛ وكثرة المرويات والرواة •

ثانيا : تطور الأحداث السياسية والحروب والفتن والثورات، وكلها مادة خصبة فى مجال الرواية •

---

(١) الكامل فى التاريخ ٦ـ٣٢٤ ، البداية والنهاية لابن كثير ١١ـ٢١٩ ، لسان الميزان **٥ـ٤٢٧** •

(٢) انظر مؤلفاته الاخبارية •

ثالثا : تداول الشعر وكثرته على مر العصور ؛ وتناقله جيلا عن جيل .

رابعا : شغف بالرواية والمعرفة .

فاذا عرفنا أن كل ما فى بيئته كان يدعو الى البحث والنظر والشغف بالأخبار ورواية الأشعار ، وان مدينته — بغداد — كانت قبلة العلماء والأدباء ، والرواة والأخباريين ؛ **وأن التيارات التى حوله** كانت تجذبه جذبا الى الاطلاع والمعرفة ؛ أيقنا أن كل هذه العوامل دفعت الصولى الى تقصى الأخبار والأشعار ومعرفة أصلها ومصادرها وحفظها وروايتها .

عنى الصولى برواية الشعر منذ عصوره الأولى .. حتى عصره ، فقد روى الكثير من أبياته ومقطعاته ؛ وشرح معانيها ، وبين مضمونها ؛ واهتم أساسا بالأبيات التى أثير حولها الخلاف سواء من حيث المعانى أو التشبيهات أو الألفاظ .. فنجد فى المصادر الأدبية القديمة وفى كتبه كثيرا من رواياته ونظراته الثاقبة وتعليلاته ، وآرائه فى الشعر والشعراء وطبقاتهم .

وقائمة الشعراء الذين روى لهم الصولى يتجلى فيها عدة حقائق :

١ — أن القسط الاكبر من عناية الرجل كان موجها الى الشعراء المحدثين ، خاصة شعراء عصره ، الذين عاش معهم وتردد على أماكنهم ، وعرف أخبارهم ، مثل البحترى وابن الرومى وابن المعتز ، ومن سبقهم مثل بشار وأبى نواس ، ومسلم بن الوليد ، وابراهيم بن العباس ، ودعبل الخزاعى ، والعباس بن الأحنف ، وابى تمام ، وابن أبى عيينة ، وغيرهم .

٢ — لم يهتم الصولى كثيرا بشعراء بنى أمية ، فلم يبرز منهم

عنده سوى الفرزدق ، أما جرير أو الأخطل ، فلم يرو لهما سوى أبيات قليلة في مناسبات مختلفة .

٣ ـ انصب اهتمامه بالشعر الجاهلي على الفحول مثل امرىء القيس وطرفة وزهير وعنترة والنابغة وغيرهم ، فقد روى لهم أبياتا فى مناسبات معينة . وقارن بين معنى ومعنى ، وتشبيه وتشبيه ..

ولم تقتصر رواية الصولى ـ للأشعار ـ على شعر المشهورين بل أيضا روى لشعراء مغمورين مثـــل حمدان بن أبان ، وأحمد ابن عمرو ، وأبى سلمة وأحمد بن يوسف وأبنائه .

ويمكن القول أن الصولى لم يترك شاعرا من الشعراء السابقين أو المعاصرين الا روى له .

واذا كان الصولى قد اهتم كثيرا بالشعراء المحدثين ، فإن ذلك كان اهتماما بالتجديد من ناحية ، واهتماما بالجـودة الفنية ، وما استحدثه هؤلاء الشـــعراء فى فن الشعر ومعـــانيه ، وتشبيهاته وألفاظه ، هذا الى جانب سهولة توثيق شـــعرهم ، والوصول الى مصادره الحقيقية للتأكد من صدق الرواية وصحة نسبته اليهم .

والاشعار التى رواها الصولى للشعراء يتضح فيها ـ أن أكثرها أبيات مفردة ، بيت أو بيتان أو ثلاثة . وهذه ظاهرة غلبت كثيرا على معظم مؤلفات الأدب ، فكانوا يستشهدون بالبيت أو البيتين على معنى معين ، أو ظاهرة لغوية ، أو نحوية ، أو غير ذلك . من مثل رواية الصولى عن يحيى بن البحترى أنه قال : «رأيت أبى يذاكر جماعة من شعراء الشام بمعان من الشعر فمر فيها قلة نوم العاشق ، وما قيل فى ذلك ، فأنشدوا انشادات فيها ، فقال لهم أبى : فرغ من هذا كاتب العراق ابراهيم بن العباس فقال(١) :

---

(١) معجم الأدباء ١ـ١٩١ .

احسب النــوم حكاكا اذ رأى منــك جفــاكا
منى الصبر ومنــك الـ ــهجر فأبلـغ بى مداكا
كذبت همــة عــين طمعــت فى أن تراكا

ورواية الصولى للاشعار لا تقتصر فقط على البيت أو البيتين أو الثلاثة ، بل قد تطول أحيانا لتصبح مقطوعات ، وقد تصل الى قصائد ؛ وبخاصة حينما يتكلم عن شاعر ، ويروى أخباره ؛ وقد يروى الصولى القصيدة كلها اذا كانت جيدة ، أو لم يعرفها الناس من قبل ٠

وهناك أسباب متعددة حدت بالصــولى الى العناية بالأبيات القليــلة التى رواها للشعراء على اختــلاف عصورهم وطبقاتهم ومذاهبهم ، منها :

١ ــ الاستشهاد بها فى ميادين النقد ، لاظهار معنى استحدثه الشاعر ، أو معنى أخذه الشاعر من غيره ، أو لابراز تفوق شاعر على شاعر فى الوصف أو التشبيه ، أو تحليل معنى معين أو ظاهرة لغوية ٠

٢ ــ اتصال هذه الأشعار ببعض الأحداث أو الموضوعات أو الاخبار التى يعنى بها ، ويتحدث عنها ، فكانت روايته لهذه الابيات مؤيدة لها ومتممة لوقائعها ٠

٣ ــ اعجابه الخاص ببعض المعــانى التى وردت فى أبيات شاعر منهم ، فكان يحفظها ويرويها فى المجــالس والمناسبات ، ويستشهد بها لتحديد مكانة الشاعر وطبقته ٠

٤ ــ اعجابه ببعض الشــعراء الظراف المقلين ، فكان يروى أشعارهم للتعريف بهم ، وكأنه برواية هذا الشعر يعطيهم الفرصة للظهور على مسرح الحياة ٠

٥ ـ استشهاده بهذه الاشعار فى الدفاع عن فكرة أو رأى ، أو توضيح مقصد شاعر لم يفهمه النقاد ·

٦ ـ المقارنة بين أبيات لشاعرين حول معنى واحد تناولاه ، ليبين أيهما أجاد لفظا ومعنى وأيهما اختل ·

٢ ـ منهج الصولى فى الرواية :

ونستطيع أن نحدد منهج الصـولى فى الرواية فى العناصر التالية :

١ ـ ان روايته لا بد أن تتصـل بأسانيد أناس معروفين ، حتى ولو كانت صحيحة ، فكان يحرص على ذكر سلسلة اسناده كاملة ، لأنه يعلم تماما أن درجة الثقة فى روايته انما تتوقف ـ الى جانب صحتها ـ على معرفة أسماء رواته · بيد أنه كان أحيانا يهمل السند بقصد التخفيف والتسهيل على القـارئين ـ كما حدث فى كتابه التعليمى «أدب الكتاب» وقد نص على ذلك فى مقدمته ·

٢ ـ أنه لا يأخذ عن الصـحفى ـ الذى يأخذ العـلم من الصحف ، لا عن أساتذة علماء ، وهو نفسه يحـدثنا عن ذلك ، فيقول : انه رفض الأخبار التى نسبها ابن أبى طاهر الى المأمون وأحمد بن يوسف ، رفضها لأن راويها ـ فى رأيه ـ غير ثقة ، بل انه جرح ابن أبى طاهر ، ووصفه بأنه «صـحفى ، حاطب ليل ، يشترط فى كتبه اختيار الشعر الجيد ، ويأتى بالردىء ، ويزعم أنه يقلل فيحسن ، ويكثر فيسىء ، ثم يحـكى الكذب ، ويخطىء فى التاريخ ، وفى نسب الشعر(١) » ·

---

(١) الأوراق ـ أخبار الشعراء للصولى ص ٢١٠ ·

٣ ـ ان الصولى يرفض الروايات التى تخالف الحقيقة ، أو المشكوك فى صحتها ، أو التى لا يصدقها العقل ، من ذلك ما رواه بشار عن الأخطل فقال : «أنه لم يكن مثل جرير والفرزدق ، ولكنهما كانا من مضر ، فكرهت ربيعة ألا يكون منها مثلها ، فتعصبت له ؛ ورفعت منه ، ولقد كان يجتمع هو وجماعة من قومه على شرابهم ، فيقول هذا بيتين ، ويقول هو الأكثر ، ويختار الأخطل حتى تجتمع قصيدة فيبعث بها الى جرير ..»

فلم يقبل الصولى كلام بشار ورفضه ، لأنه ليس من المعقول أن يكون شعر الأخطل هو شعر شعراء قبيلته كلها ، جمعه من أفرادها ، فنراه يعلق على هذا الخبر بقوله : « ولا أدرى ما هذا القول ..(١) » . ومن الجدير بالذكر أن روايات الصولى قد خلت تماما من الخرافات .. فلم يتناول الصولى الا المعقول والمفهوم والمتعارف عليه من الأخبار .

٤ ـ ان الصولى دائما يستقصى ما يرويه من أخبار ، ويحققها ويمحص المعلومات التى وردت فيها ، ويقارن بينها وبين الروايات الأخرى التى تناولتها ، ليتأكد من صحتها ، ولا يذكر الا ما تصح من شعر الشاعر أو كلامه (٢) . فنراه فى كثير من الأحيان يروى الخبر الواحد بأكثر من سلسلة اسناد ، تختلف كل منها عن الأخرى ، بينما الخبر واحد .

٥ ـ أنه لا يروى الا الجديد الذى لا يعرفه الناس ، حتى يكون لأخباره صفة الجدة والتشويق ، فنراه يذكر من شعر الشعراء مالا يعرفه الناس (٣) .. كما يرفض دائما أن يؤلف فيما

---

(١) الموشح للمرزبانى ص ٢٢١ ، وانظر اخبار أبى تمام للصولى ص ١٠٤ .

(٢) أخبار الشعراء للصولى ص ٢٣٦ .

(٣) أخبار أبى تمام للصولى ص ١٠ .

ألف فيه من قبل ، أو تنـــاوله غيره .. فهو حين شرع فى عمل أخبار جرير ، علم أن هناك من يقوم بهــذا العمل ، فأعرض عنه ولم يكمله . كذلك حين ألف أخبار الفرزدق لم يأت بشيء مما جاء فى النقائض، أو ذكره غيره ، الا ما اتصل بنسبه أو أزواجه فقط.

٦ ــ أنه لا يروى الا ما ســهل عليه طلبه (١) ، وقرب منه وجوده ، وتأكد من صدقه .

ووصلت به الأمانة الأدبية الا يدعى علم ما يجهله ، بل كثيرا ما يذكر صراحة عـــدم معرفته بخبر ما ويقول : «ولا أدرى كيف صحته(٢) » .

٧ ــ أنه لا يروى الا ما وجده مكتوبا بخط يثق به ، فلا يروى الا ما وجد بخط الشــاعر نفسه أو خط أهله ، أو على لسانه ، ولا يعتد الا برواية أقرب المعاصرين اليه من أصدقاء أو أقرباء .

٨ ــ ان الصــولى كان يتــحرى الدقة فى روايته للأقوال بألفاظها ، فان لم يستطع أن ينقل الألفاظ حرفيــا نص على ذلك فقال : « وما حكيت من ألفاظه التى مرت ، وما أحكيه من كلامه بعد فهو كما أحكيه أو شبهه أو مقــارب له ، اذ كنت لا أقدر على أن أحفظ لفظه على حروفه ، وأنا أحفظ معناه »(٣) .

٩ ــ أنه فى روايته لشعر الشعراء ، يظهر الشعر المنحول ، ويخرجه من انتـــاج الشاعر ، وذلك ما فعله بشعر أبى نواس(٤) وغيره من الشعراء .

---

(١) أخبار الشعراء ص ١٤٣ .
(٢) أدب الكتاب للصولى ص ٤٦ .
(٣) أخبار الراضى بالله ص ١٨ .
(٤) الفهرست ص ٢٢٨ .

١٠ ـ أن الصولى كان أمينا فى نقل الرواية ، ولم يتبع هواه، ولم ينصر الخطأ ، بل لقد كان يعيب على العلماء ذلك ويقول(١) : «نعوذ بالله من اتباع الهوى ونصر الخطأ ، والكلام فى العلم بالمحل واللجاج والعصبية». لذلك فان جمهرة العلماء والأدباء والمؤرخين يوثقونه ويعتبرونه من أصدق الرواة الاخباريين . وهذا ما جعل الأصفهانى يروى عنه ما يقرب من ثلاثمائة خبر فى أغانيه ، وكذلك المرتضى فى أماليه ، فقد روى عنه العديد من الآراء والأخبار والمجالس والتحليلات اللفظية . كما نقل عنه الحصرى القيروانى الكثير من المجالس والآراء والروايات فى كتابه زهر الآداب وفى ذيله . أما المرزبانى فقد رصع موشحه بروايات الصولى وآرائه فى الشعر والشعراء ، وأكثر من الرواية والنقل عنه كثرة مفرطة ، حتى لكأن الموشح من عمل الصولى نفسه .

---

(١) اخبار الشعراء ص ٢٣٦ .

● الفصل الرابع :

النديم

١ ـ منادماته

دعت الحياة الاجتماعية فى المجتمع العباسى بما فيه من لهو وصخب وسمر ؛ الى استحداث ألوان جديدة من الاستمتاع بالحياة تتسم بالترف واللهو ؛ فكان الخلفاء والوزراء والأمراء يفسحون فى مجالسهم ـ الى جانب العلماء والأدباء والشعراء ـ لبعض الندماء ؛ أولئك الذين يدخلون البهجة على قلوبهم ، ويشرحون صدورهم ؛ ويخففون عنهم أعباء الحياة ، بما يملكون من أدوات السمر ، والفكاهة والطرب ؛ بالاضافة الى ما يجمعون من علم ودين وأدب ، فحياة المجتمع العباسى المتحضر ؛ والرفاهية التى عمت أرجاءه ، استحدثت مجالسة الندماء بقصد الترويح عن النفس : والتفنن فى تمضية الوقت بشتى الوسائل ؛ ومختلف الفنون .

ولقد كانت المنادمة باب السلوك الى الملوك ، وسلم الوصول الى الحظوة عندهم ، فكان أعلى ما يرجوه صاحب العلم والأدب والفضل والكياسة أن يصبح نديما لملك أو مربيا لابن ملك .

وكان الخلفاء والوزراء والأمراء يدققون في اختيار ندمائهم وجلسائهم عملا بالحكمة العربية التي تقول (١) :

« واذا وليت عملا فانظر من كاتبك ، فانما يعرف مقدار من بعد عنك بكاتبك واستعقل حاجبك فانه يقضى عليك الوفود قبل الوصول اليك بحاجبك ، واستظرف نديمك ؛ فانما يزنك الداخل اليك بمثقال من يراه معك » .

وقد تواضع القوم على شروط معينة يجب أن تتوافر في النديم ؛ ورسموا فضائله وأخلاقه ، وحددوا مؤهلاته وصفاته ؛ وما ينبغي أن يتحلى به من خصال ، حتى يكون صالحا لمجالسة ومنادمة الخلفاء والوزراء وغيرهم .

فالنديم — بأوسع معانى هذه الكلمة عندهم — أديب : والأديب — في مفهوم القوم ، هو الذى يجمع بين مختلف العلوم(٢) فيكون عالما وفقيها وكاتبا وشاعرا ، ملما بأنواع الثقافات السابقة والمعاصرة ، ملما بالعديد من العلوم كالفلك والنجوم والطرد والقنص ولعب الصوالج والنرد والشطرنج والموسيقى والغناء . ولا تقف ثقافته ومعلوماته عند هذه الثقافات الأدبية والعلمية : والذهنية فحسب ، بل لابد أن تتوافر فيه ، وتجتمع له ألوان أخرى من الشمائل الخلقية ، مثل دماثة الخلق ؛ ولين الطباع ؛ والصبر ؛ يوفق بينهم بلباقة وحسن تصرف ، وأن يكون لديه الاستعداد الكامل على التكيف حسب ما تقتضيه الظروف والأوضاع ، والمرونة على التشكل والتلون مع ميول مجالسيه من خلفاء أو وزراء أو أمراء ؛ ولا بد للنديم أن يكون متقد الذكاء ،

---

(١) أدب النديم — لكشاجم ص ٣ .

(٢) العقد الفريد لابن عبد ربه ١ـ٢٦٥ .

سريع الخاطر ، لماحا ؛ يستشف الأفكار يكتم الأسرار ؛ يتخلص من المآزق ؛ ويتصرف وقت الحرج ٠

« وليس أحد من أصحاب الملوك وخلطائهم أولى باستجماع محاسن الأخلاق ، وأفاضل الآداب وطرائف الملح ، وغرائب النتف من النديم ، حتى انه ليحتاج أن يكون فيه أشياء متضادة ، فيكون فيه ؛ مع شرف الملوك ، تواضع العبيد ، ومع عفاف النساك ، مجون الفتاك ؛ ومع وقار الشيوخ مزاح الأحداث ٠٠ وأن يجتمع له من قوة الخاطر ما يفهم به ضمير الرئيس الذى ينادمه على حسب ما يبلوه من أخلاقه ، ويعلم من معانى لحظه واشارته ما يغنيه عن تكلف عبارته (١) ٠٠ » ٠

ومما يرفع من قدر النديم ومنزلته « ومما يزيده فى المحل تقدما ، وعند ملكه أو رئيسه تعظيما وتمكنا أن يكون : عالما بكل ما يتنافس فيه الملوك ، ويغالون فيه من الرقيق الثمين ، والجوهر النفيس ؛ والآلات المحكمة ؛ وأنواع الطيب والفرش ؛ والخيل والسلاح ، وسائر ما يهدى مثله الى الملوك فى مجالس لذاتهم ، وتعرض عليهم فى أوقات نشاطهم (٢) ٠

وقالوا أيضا : ان النديم لا يستحق هذا الاسم « حتى يكون له جمال ومروءة :

أما جماله : فنظافة ثوبه ، وطيب رائحته ؛ وفصاحة لسانه ٠

وأما مروءته : فكثرة حيائه فى انبساط الى جميل ، ووقار

---

(١) أدب النديم ص ٧ ٠

(٢) المصدر نفسه ص ١١ ٠

مجالسه مع طلاقة وجهه فى غير سخف ، ولا يستكمل المروءة حتى يسلو عن اللذة (١) » .

ولا شك أن رأس مال النديم وعماده هو « فن المحادثة » ولباقته فيها ، وقدرته على جذب انتباه من حوله ، فيكون مطلعا على حيثيات موضوعه ، مستوعبا لعناصره ومضمونه ، فاهما لمعانيه ومراميه ؛ فطريقة حديثه ؛ وحسن تعبيره ، وبلاغته فى القول ، وبراعته فى السرد ، ومقدرته على الاقناع .. هى التى تحدد مكانته ووضعه .. « وأحلى لحديث النديم وأحسن لموقعه أن يتنكب منه الطوال ؛ ذوات المعانى القلقة ؛ والألفاظ الوحشية (٢) » .

ومن أكبر أسلحة النديم وأكمل صفاته — فى عصر الصولى — اجادة فن الشطرنج ؛ فالشطرنج هـــو الفن الترفيهى الذى كان يعجب به الخلفاء ، ويسلب لبهـم ، ويقضـون معظم أوقاتهم فى مزاولته ؛ وليس لأحد فى نفوسهم من الحظوة والتقدير من ذلك الذى يجيد هذا الفن ؛ ويزاوله بحذق وبراعة .. حتى ولو هزمهم فيه ، حتى لقد عرف أن الشطرنج لعبة الملوك .

هذا هو النديم فى رأى القدماء ، وهذه هى مؤهلاته وصفاته وخصائصه . لذلك كان للنديم مرتبة كبرى ومكانة مرموقة فى مجالس الخلفاء وبين جلسائهم ، وكان النديم يعرف ذلك ؛ وليس أدل على معرفة النديم لقدر نفسه ، ومنزلته فى نفوس الخلفـاء ووزرائهم من ذلك الفخر الذى فاخر به أحد الندماء كاتبا فقال : « أنا للنعمة ؛ وأنت للخدمة . أنا للحظوة وأنت للمهنة . تقوم وأنا جالس ، وأنت تحتشم وأنا مؤانس ، تدأب لراحتى ؛ وتشقى

---

(١) أدب النديم ٢٢ .

(٢) المصدر نفسه ١٤ .

لسعادتي، فأنا شريك وأنت معين ؛ كما أنك تابع وأنا قرين(١) » .

ولعل من جميل المصادفات حقا ، أن يورد الصولى قصيدة « أبان بن عبد الحميد (٢) » تلك التى جمع فيها صفات النديم – حسب مفهومه لشرائط القوم – وتقدم بها الى الوزير الفضل ابن يحيى البرمكى يبغى التقرب منه ليكون له نديما وجليسا ؛ وفيها يتحدث عن نفسه وعن مقوماته وعن خصاله فكانت هذه القصيدة جملة ما تعارف عليه الناس وتواضعوا ، فيما يجب أن يتحلى به النديم من خصائص وخصال . ولعل هذه القصيدة أحد الأسباب التى جعلت البرامكة يقربون « أبان » ويتخذونه شاعرا ونديما ؛ فنظم فيهم الكثير ، ومدحهم وعمل لهم كليلة ودمنة ؛ وغير ذلك من الأشعار التى مجدتهم . يقول أبان عن نفسه :

أنا من بغية الأمير وكنز
من كنوز الأمير ذو أرباح

كاتب حاسب خطيب بليغ
ناصح زائد على النصاح

شاعر مغلق أخف من ال ...
ريشة مما يكون تحت الجناح

ثم أروى عن ابن هرمة لل ..
ناس بشعر محبر الايضاح

ثم أروى من ابن سيرين لل
علم بقول منور الافصاح

---

(١) أدب النديم ص ٣ .

(٢) الأوراق – قسم اخبار الشعراء ، ترجمة أبان ص ٣ .

ثم أروى من ابن سيرين للشعـ
ـر وقـــول النسيب والامداح
لى فى النحـــو فطنة ونفاذ
لى فيـــه قـــلادة بوشـــاح
ان رمى بى الأمير أصلحه اللـ
ـه رماحا صدمت حـد الرماح
مـــا أنـا واهن ولا مسـتكين
لسوى أمر سيدى ذى السماح
لست بالضـــخم يا أمير ولا الـ
فدم ولا بالمجحدر الدحداح (١)
لحية ســـبطة ووجه جميـــل
واتقـــاد كشعلة المصباح (٢)
وظريف الحديث من كـل لون
وبصـــير بحاليـــات مـــلاح
كم وكم قد خبأت عندى حديثا
هـو عند المـــلوك كالتفـاح
فبمثلى تخلو الملوك وتلهـــو
وتناجى فى المشــكل الفـداح
أيمن النـــاس طائرا يوم صيد
فى غدو خـرجت أم فى رواح

---

(١) الفدم العيىء عن الكـــلام فى ثقل ورخاوة وقلة فهم ، والمجحدر : القصير .

(٢) السبط : طويل غير جعد .

أبصر الناس بالجوارح والخيـ
ل وبالخرد الحسان الملامح (١)

كل هـــذا جمعت والحمد لـ
لله عـلى أننى ظريف المـــزاح

لست بالناســك المشــعر ثو
بيه ولا الماجن الخليـع الوقاح

ان دعــانى الأمـــير عاين منى
شمريا كالجلجل الصباح (٢)

فاذا اتضح الآن مفهوم القوم للنديم ؛ ومتطلباتهم وشروطهم فيه .. واذا كانت هذه هى شرائطهم التى وضعوها ـ كما ذكرها كشاجم فى كتابه ؛ وكما أوردها أبان فى منظومته ـ لمن يصلح أن يكون نديما ..

فهل توافرت هذه الشروط والمتطلبات والصفات فى أبى بكر الصولى ؟

ان الجواب ليس عندى وحدى .. انه أيضا بين ثنايا كتب الأدب والتراجم .. انه عند خلفاء بنى العباس ووزرائهم وأمرائهم . انه موجود بين حنايا كتب الصولى نفســه .. فكل ذلك يشــهد بصفات الرجل ومؤهلاته .. بل ان التاريخ ليشهد .. ان خلفاء بنى العباس عرفوه فقدموه وقدروه واتخذوه نديما وكاتبا ومعلما وجليسا طيلة خمسين سنة ، توارثه المكتفى بالله عن المعتضد بالله ، ثم توارثه المقتدر بالله عن المكتفى بالله ؛ ثم أسلمه الى ابنة الراضى، فكان له معلما ومرشدا ومثقفا ؛ ثم جليسا ونديما وناصحا أمينا .

---

(١) الخرد : مفرد خريد وخرود أى البكر التى لم تمس .

(٢) شمرى : ماضى فى الأمور مجرب .

فاذا كان ذلك كذلك ، فاننا لا نبالغ اذا قلنا ان شرائطهم ومتطلباتهم فى النديم كانت جميعا متوفرة بعمق وتركيز وفاعلية فى أبى بكر الصولى ...

كان يجمع بين فنون متنوعة ، وعلوم شتى يجمع بينها فى قوة واقتدار ، واعتماد على النفس ، وأعمال للعقل ، واطلاع دائب على كل ما سجلته القريحة العربية ، وأخرجته عقول المعاصرين . فكان الصولى من أعلم الناس بقديم السير ؛ وما جرى عليه أمر الدول ، عالم بعلوم الأوائل وقصص الملوك ؛ وأخبار قريش وأمر النبى عليه السلام ومبعثه ومغازيه ، عارف بأهله وأصحابه .

ومن أعلم الناس بأخبار العرب وأنسابها ، وأيام الجاهلية ؛ وأخبار الاسلام وأمر الخلفاء ووزرائهم وسائر عمالهم وتباعهم ؛ والخوارج والأحداث فى أيامهم . عالم بالفقه الذى لا بد للناس منه ؛ والحديث الذى يدور دين الاسلام عليه ، عارف لأهله وطرقه ورجاله ، القوى الثقة فيهم ؛ والضعيف المتهم منهم مطلع على علم الملوك من الأشعار التى يغنى فيها ، ونسبتها الى قائليها ؛ والسبب الذى له قيلت ، حافظ لكل ما يحتاج الملوك اليه ؛ ويسألون عنه مما تقع أعينهم عليه ؛ ويخدمون فى الأوقات به ، قادر على الاتيان بالنوادر التى تدخر للملوك ، واختراع النوادر التى تشتق فى مجال الحديث . متقدم فى العلم بشعر المحدثين وأوائلهم . قادر على أن يقول مثله ، عالم بألفاظه ومعانيه ؛ وتمييز نادره ووسطه وما كان دونا منه . متقدم فى علوم اللغة والأدب والرسائل والمكاتبات ، ومعرفة استراقات الشعراء ، وأخذ بعضهم من بعض ؛ والمحسن منهم من ذلك والمسىء . متحدث بارع .. وخطيب مفوه ؛ وشاعر ملهم ، ومؤرخ ثقة . عارف بفنون الغناء والطرب ، ودرجات المغنيين ومراتبهم ، ومدى اجادتهم ، خبير بألحانهم وموسيقاهم

ومقاماتها .. مطلع على علم الكواكب (١) ، وأحوال النجوم ؛ ومساراتها وابراجها وكسوفاتها ، عالم بأحوال النفس البشرية ومزاجها ؛ وعلاقة النفس بالبدن . وأخيرا ـ كان أبرز لاعبى عصره فى فن الشطرنج .

لكل هذه المقومات ـ وغيرها ـ أحبه الخلفاء ، وقدروه واتخذوا منه سميرا ونديما ؛ وجعلوا له نوبات فى قصورهم ؛ يزين مجالسهم ، وينير ليلهم .

ولقد ذكرت المصادر الأدبية القديمة أن الصولى نادم ثلاثة من الخلفاء المتكفى بالله (٢٨٩ ـ ٢٩٥ هـ) ، ثم المقتدر بالله (٢٩٥ ـ ٣٢٠ هـ) ثم الراضى بالله (٣٢٢ ـ ٣٢٩ هـ) .

غير أن البحث قد دل على أن الصولى اتصل أيضا ـ وقبلهم ـ بالخليفة المعتضد بالله (٢٧٩ ـ ٢٨٩ هـ) وجالسه ونادمه ؛ وكان له دل عليه ، ومدحه بالعديد من القصائد ؛ قال المسعودى (٢) : « أخبرنى أبو بكر محمد بن يحيى الصولى النديم الشطرنجى بمدينة السلام قال : كان لى وعد على المعتضد فما ظفرت به حتى عملت قصيدة ذكرت فيها بدرا (٣) أولها :

أيها الهاجر مزحا لا مجد

أجزاء الود أن يلقى بصد ؟

---

(١) ذكر انه اطلع على كتاب بلنياس فى الكواكب والنجوم والكسوفات أخبار الراضى ص ٢٨٣ ، وانظر الفصل الخاص بثقافته .

(٢) مروج الذهب ٢٧٨/٤ .

(٣) بدر : هو بدر بن خير ، وكان من موالى المتوكل ، وكان فى خدمة ناشىء غلام الموفق ، ثم اتصل بالمعتضد وقرب من قلبه .. وقد قتل بدر هذا فى عهد المكتفى (انظر مروج الذهب ٢٧٨/٤ ، والأغانى ١/٦٧) .

قال الصولى : فضحك وأمر بما وعدنى به » .

ولقد أجمعت المصادر على أن الصولى كان نديما فريدا ؛ لا مثيل له فى عصره، ونستطيع أن نرى صورة لمنادماته مع المكتفى، وكيف كان يستعين بذاكرته فى رواية الأشعار ؛ وسرد الاخبار بما يتفق مع المناسبات . يقول :

« سمعت المكتفى بالله يقول لمتوج بن محمود بن مروان بن يحيى بن مروان بن أبى حفصة : يقول جدك مروان الأصغر لعنه الله :

وحكم فيها حاكمين أبوكم
هما خلعاه خلع ذى النعل للنعل

فقال : وما على من وزرهم .. قال : أنت على مذهبهم ؛ وما أحسن ما قال البحترى فى أبيك ، أنشده يا صولى .. فقلت : ان هذا يشكونى ؛ وما أحب كلامه ، وسيدنا احفظ للأبيات منى ؟ ، فقال : أنشده وزد فى صوتك ؛ فأنشدت :

يا عجبا من حلمك العازب
وعقلك المستهلك الذاهب

ومن وصيف وهو مستقدم
يبصق فى شعر استك الشائب

ان اكسدت سوقك أو أخلقت
بضاعة من شعرك الخائب

أنشأت كى تنفقها مزريا
على على بن أبى طالب

قد آن أن يبرد معناكم
لولا لجاج القدر الغالب

فقال المكتفى : قد برد معناهم ؛ والحمد لله الذى جعل ذلك فى أوانى (١) » .

وكثيرا ما طلب المكتفى من الصولى أن يذكر له ما قاله الشعراء فى وصف ألوان الطعام التى تقدم فى مجالس الخليفة . قال الصولى (٢) : « كنا يوما نأكل بين يدى المكتفى ، فوضعت بين أيدينا قطائف رفعت من بين يديه فى نهاية النضارة ورقة الخبز وأحكام العمل ، فقال : هل وصفت الشعراء هذا ؟ فقال له يحيى ابن على : نعم ، قال أحمد بن يحيى فيها :

قطائف قد حشيت باللوز
والسكر الماذى حشو الموز

تسبح فى آذى دهن الجوز
سررت لما وقعت فى حوزى

سرور عباس بقرب فوز

قال الصولى : وأنشدته لابن الرومى قوله :

* وأتت قطائف بعد ذاك لطائف *

فقال : هذا يقتضى ابتداء ؛ فأنشدنى الشعر من أوله ؛ فأنشدته لابن الرومى :

.... (القصيدة) ....

فاستحسن المكتفى بالله الأبيات ؛ وأومأ الى أن أكتبها له ، فكتبتها له » .

---

(١) اخبار البحترى للصولى ص ١٧٩ .

(٢) مروج الذهب ٤/٢٨٧ .

وقد سجل لنا الصولى العديد من المجالس والأخبار عن علاقته ومنادمته للراضى فى كتابه « أخبار الراضى بالله » ٠

ولكم أشاع الصولى فى مجالس الخلفاء البهجة والطرب ، فقد كان رخيم الصوت عذب النبرات ، يحسن الغناء ٠٠ وكثيرا ما ارتجل الأشعار مازحا مادحا ، واصفا متغزلا ، فيزيد سامعيه أنسا وبهجة وامتاعا ٠ من ذلك ــ وفى احدى منادماته للخلفاء ، أنشد أحد الوزراء بيتا للبحترى ؛ وجعل يردده ويستحسنه وهو :

وكأن فى جسمى الذى

فى ناظريك من السقم

فقال الصولى (١) : فجذبت الدواة وعملت بحضرته .

أحببت من أجله من كان يشبهه

وكل شىء من المعشوق معشوق

حتى حكيت بجسمى ما بمقلته

كأن سقمى من عينيه مسروق

فاستحسن الحاضرون منه ذلك ، واعجبوا بسرعة خاطره وذكائه وشاعريته ٠

٢ ـ ولوعه وحذقه فى فن الشطرنج

ولقد اشتهر أبو بكر الصولى ــ فيما اشتهر به ــ باجادته وحذقه فى فن الشطرنج ، ذلك الفن الأرستقراطى ؛ الذى أولع به

---

(١) اخبار البحترى للصولى ص ١٧٨ ٠

الخلفاء والوزراء والأمراء وعلية القوم فى عصره · فقد تفنن الصولى فيه ؛ وعكف على دراسة أصوله وقواعده وخططه ، وطريقة ممارسته حتى بلغ الذروة ؛ فصار ألعب أهل زمانه به وأنبغهم على الاطلاق ، فلقب « الشطرنجى (١) » ·

وقد نسب اليه بعض المترجمين « أنه هو الذى وضع أصول وقواعد هذا الفن (٢) ؛ ولكن هذا ليس بصحيح ، وانما يذكر الصولى ويضرب به المثل ، لأنه أجاد اللعب به ؛ وبلغ الغاية فكانوا يقولون لمن يبالغون فى حسن لعبه « فلان يلعب بالشطرنج مثل الصولى (٣) » ·

تذكر المصادر العربية القديمة بعض الأخبار الطريفة التى تصور حذق الصولى وبراعته واحكام خططه ، وطريقته فى مزاولته هذا الفن ؛ وتحريك آلاته ، وأن ذلك كان سببا فى رفع شأنه لدى الخلفاء ، فوصل الصولى عن طريق هذا الفن الى درجة « النديم الأول » ورائد هذا الفن فى عصره ؛ وصار قريبا من الخليفة المكتفى بالله ، قريبا من قلبه ، لا يطيق فراقه · ويحكى المسعودى عن كيفية وصول الصولى الى هذه المرتبة فيقول (٤) :

« ان الصولى فى بدء دخوله على المكتفى ـ وقد كان ذكر له تخرجه فى اللعب بالشطرنج ـ وكان الماوردى اللاعب متقدما عنده، متمكنا من قلبه ، معجبا به للعبه ، فلما لعبا جميعا بحضرة المكتفى ، حمل المكتفى حسن رأيه فى الماوردى ، وتقدم الحرمة فى الألفة على

---

(١) وفيات الأعيان ٣/٤٧٧ ·

(٢) معجم الأدباء ·

(٣) وفيات الأعيان ٣/٤٧٧ ·

(٤) مروج الذهب ٢/٥٢٠

نصرته ، وتشجيعه وتنبيهه ، حتى أدهش ذلك الصولى فى أول وهلة ، فلما اتصل اللعب بينهما ، وجمع له الصولى متانته ، وقصد قصده ، غلبه غلبا لا يكاد يرد عليه شيئا ، وتبين حسن لعب الصولى للمكتفى فعدل عن هواه ، نصرة الماوردى ؛ وقال له : « عاد ماء وردك بولا » .

وتقول رواية أخرى (١) عن سبب اتصال الصولى بالمكتفى بالله وانقطاعه اليه : « ان رجلا يعرف بمحمد بن أحمد الماوردى كان ينزع الى المكتفى بالرقة ، وكان ألعب الناس بالشطرنج ، فلما قدم عليه بغداد وهو خليفة ، قال : يا أمير المؤمنين : أنا أعلم الناس بهذه الصناعة ؛ فأقطعنى ما كان للرازى الشطرنجى ، فغاظ ذلك المكتفى ، وندب له الصولى فلم ير معه الماوردى شيئا ، فقال له المكتفى : « صار ماء وردك بولا » .

قال الصولى : فأقبل المكتفى على ورتبنى فى الجلساء ؛ فجئت يوما فحجبت عنه ، واتصل بى أن خصمى شمت بى ، فكتبت قصيدة للمكتفى أقول فيها :

قد ساء ظن الناس بى وتنكروا
لما رأونى دون غيرى أحجب

ان كان غلبته تقرب أمره
دونى فانى عن قليل أغلب

فضحك وأمر لى بمائتى دينار ؛ واندرجت فى خدمته .

ومن هذه الأخبار – التى تحكى مدى حذق الصولى وبراعته فى الشطرنج ، ومكانته فى نفوس الخلفاء ؛ « أن الامام الراضى

---

(٥) زهر الآداب وثمر الألباب للحصرى ٤ – ١٩٥

بالله أتى فى بعض متنزهاته بستانا مؤنقا ، وزهرا رائعا ، فقال لمن حضره ممن كان فى ندمائه : هل رأيتم منظرا أحسن من هذا ؟ فكل أثنى ، وذهب فيه الى مدحه ووصف محاسنه ، وأنها لا يفى بها شىء من زهرات الدنيا فقال الراضى : « لعب الصولى بالشطرنج أحسن من هذا ؟ ومن كل ما تصفون (١) » .

وقد بلغ من علم الصولى بأصول هذا الفن وقواعده ، ومقدرته الفنية على مزاولته ،أن وضع كتابا فى كيفية أداء هذه اللعبة والتمتع بها وأتقانها ؛ هو « كتاب الشطرنج (٢) » مساهمة منه فى نشر هذه اللعبة ـ التى كانت أداة النديم الأولى ؛ وخدمة لطلاب الترفيه والمعرفة ، نظرا لما تعتمد عليه من اتقاد للذهن والقدرة على التحكم والتصرف .

كل ذلك جعل الخلفاء والأمراء يستظرفونه ؛ ويأنسون حديثه ، ينجذبون اليه ، ويجذبونه اليهم ؛ فينادمونه ؛ ويسعدون بمجلسه ، لما يجدون فى جعبته من متع لا حد لها ؛ وقلما ذهب رجل برضاء الخلفاء أو الملوك الا اذا كان صاحب مزايا ، وينفرد بمواهب وخصال وكفاءات تسرهم وتنفعهم ؛ وتضفى البهجة على قلوبهم .

---

(١) ارشاد الأريب ١٣٦/٧ .

(٢) كشف الظنون ١٤٣٠ .

الباب الثالث

أدب الرجل

مقدمة

كان الصولى كثير الاهتمامات :متعدد الجوانب والمناحى ، تظهر هذه الاهتمامات والجوانب من خلال آرائه وأخباره ، وأقواله وآثاره ، التى ذخرت بها كتب الأدب والنقد ودواوين الشعراء ، والموسوعات الشعرية ٠ فهو شاعر فحل ، وناثر مبدع ، وناقد فذ ، ومعلم ملهم ، بالاضافة الى كونه مؤرخا كأبرع ما يكون المؤرخون ٠٠ أضف الى ذلك معرفتنا السابقة بكونه اخباريا راويا ، ونديما ٠٠ وسنتناول فى هذا الباب بعض لمحات من اهتمامات الرجل ، لنرى جوانب أدبه ٠ فسندرس شعره ، ونحلل نثره ، ونتعمق نقده ، ثم نراه معلما لكتاب الدولة ٠٠

● الفصل الأول

الصولى الشاعر

كان الصولى شاعرا فحلا بين فحول عصره الأفذاذ ، استطاع أن يقف بين هؤلاء المشهورين منافسا قويا ، .. فهو شاعر جزل اللفظ ، متخير الكلمات ، لايجد مشقة فى الأوزان ولا فى اختيار القوافى ، اكتملت لديه نماذج الشعر العربى فى مثله العليا ، كان ولاشك يسيطر على لغته ، ويتمثل التراث العربى فى كل صوره ، وجل معانيه وأغراضه ، تراثا واضحا جليا ، واستطاع أن يصوغ الكثير من المعانى الجميلة فيجىء بالجديد أو مايشبه الجديد .

وشعر الصولى صورة صادقة لنفسه ، وصورة صادقة لعصره ، وصورة صادقة للفن الخالص والأدب العالى ؛ نرى فيها كل ما أحس به فى حياته المديدة من الحنين واللوعة ، والسعادة والتعاسة ، والرضا والحسرة ، ظهر كل ذلك واضحا فى شعره ، فقد دفعته الأحاسيس النفسية الى أن يعبر عن أعماق نفسه فى جميع حالاتها ، كما دفعته حياته الخاصة فى رحاب الخلفاء ، وماكان يتنسمه من عبير الحياة الرغدة فى قصورهم الى وصف

المناظر الطبيعية ، والوقوف على ضفاف الأنهار ، وأن ينطلق لسانه بتصويرها مبينا أثرها فى نفسه ٠

المهم أن نعرف أن الصولى ـ ساير شعراء عصره ـ مدح ورثى، وتغزل ووصف ، وفاخر وصور مشـاعره ازاء الناس والحيـاة ، كما كتب الرسائل الشعرية ٠

وهذه هى أهم أغراض الشعر عنده :

١ ـ المديح

أكبر الموضوعات التى جال فيها الصولى بشعره وأهمها : فن المديح ، ذلك الفن الذى يصل الشعراء العباسيين بالشعراء الأقدمين، أولئك الذين ارتفعوا بهذا الفن الى ذروته ، ثم ترسم العباسيون خطاهم فتتبعوهم فيه ٠ ومعروف أن الشعراء القدامى اتخذوا من المديح أداة لتربية الخلق ، والحث على مكارم الأخلاق ، فكان الشاعر يمدح ممدوحيه بالكرم والشجاعة والاعتداد ، والاباء وغير ذلك من المثل العليا التى لم تكن ترجع الى الفرد وحده ، بل تعود على الجماعة أو القبيلة كلها ٠

ولما جاء الاسلام صبغ هـذه المثل الخلقية العربية بصـبغة روحية ، فاخترعت المعانى الاسلامية التى تتحدث عن الايمان والعدل والتقوى ، فأضاف الشعراء الاسلاميون هذه الصفات الى مدائحهم للخلفـاء والوزراء ٠ ولقد اتصـلت المديحة العبـاسية بالمـديحة الاسلامية ، فالشعراء مضوا يتمسكون فى مدائحهم بتصوير المثل الخلقية العربية وما أشاعه فيها الاسلام من مثالية روحية ، فأكثروا من مديح الخلفاء بالعدل والتقوى ٠

وقد اختلفت القصيدة العباسية عن القصيدة القديمة من حيث

الموضوعات ، وان كانت تسير على نهجها : فهى تبدأ بمقدمة غزلية طللية ، ولكن قد يضيف اليها الشاعر العباسى بعض تحليلات لخواطره ازاء الحب ، كما يضع فيها تصويرا لمطامحه وآماله فى الحياة ، وقد يضيف الى ثناياها بعض الحكم ووصف الطبيعة ، وبعض العناصر الدينية • فقصيدة المديح العباسية لم تكن مديحا خالصا ، بل كانت تحمل فى فاتحتها كثيرا من أحاسيس الشاعر وخلجات صدره ، كما كانت تحمل وصف الرياض والربيع والقصور • ومقدمات مدائح ابى تمام يتجلى فيها هذا الجانب ، وأيضا فانه قدم لقصيدته فى فتح عمورية بحديث طويل عن القوة والعقل ، وهاجم المنجمين وخرافاتهم ، وزعمهم الاطلاع على الغيب • وقد اشتهر البحترى أيضا بوضع المقدمات التى تصف الرياض والربيع ، كما تصف قصور الخلفاء •

كل ذلك كان تجديدا بلاشك من الشعراء العباسيين ، اختلفوا فيه عن الشعراء السابقين ، ومنهجهم فى التعبير ، وفى وصف الرحلة وتحمل المشاق ، وغير ذلك مما تطالعنا به قصائدهم ومدائحهم •

فاذا كانت هذه هى مقومات المديحة العباسية بوجهها الجديد ــ كما نراها عند أبى تمام والبحترى وغيرهما ــ فهل سار الصولى على نهجها وتتبع خطى شعراء عصره ؟ أو انه اتبع طريقا آخر ، ومنهجا مغايرا فاستحدث أشياء أضافها الى مدائحه ؟

الواقع أن الصولى وقد عاش فى العصر العباسى ، ونهل مما نهل منه العباسيون شعراء وأدباء ، جاراهم فيما جروا فيه ، الا أنه اختلف فى منهجه وفى مديحه بعض الشىء ، فأضاف أشياء لم تكن موجودة عند نظرائه ، واختلط لنفسه ــ فى مدائحه ــ منهجا يكاد

يعرف به ، ربما حدده له وضعه الأدبى والاجتماعى والدينى ، وصلته بالخلفاء والأمراء والوزراء ٠

فاذا نظرنا فى مدائح الصولى ، وجدناه يقدم لها أحيانا بمقدمات تختلف عن مقدمات معاصريه ، فنراه فى مطالع مدائحه يبدل المقدمة الطللية أو الغزلية أو غيرها من المقدمات التى اصطنعها الشعراء الآخرون ـ بوضع مقدمة أخرى تبين استبشار الناس وفرحتهم بحلول خليفة جديد ـ أو أمير أو وزير ـ يأملون فيه أن يرجع هيبة الدولة ، وأمجاد الاسلام ، على نحو قوله فى فاتحة ضاديته للراضى (١) :

أصبح الملك عاليا بأبى العـ
ـباس ، أعلى الملوك بعد انخفاض

واستفاض السرور فى سائر الـ
ناس بملك المهذب الفياض

فهو مستبشر مسرور لعلو الملك ثانية بحلول الخليفة الراضى ، الذى سيعيد المهابة الى الخلافة الاسلامية ، بعد الضعف الذى أصابها من قبل٠ ويقول ان السرور عم جميع المسلمين بتولى الخلافة رجل همام سيعيد للدولة مجدها وهيبتها بقوة عزيمته ٠

ويقول فى مديحته السينية : ان الدهر قد ضحك بعد أن ظل عابسا مدة طويلة ، وأن السعد سيكون حليفا له وللمسلمين بعد أن لازمهم النحس طويلا ، وستلبس الأيام ثوب النعيم ، بعد أن لبست طويلا أثواب الشقاء ، لأن الله سبحانه وتعالى قد اختار للخلافة رجلا قويا سيعيد لها هيبتها وجلالها بعد أن كانت كالربع الواهى الضعيف البناء ٠ يقول (٢) :

---

(١) اخبار الراضى بالله للصولى ص ١٠ ٠

(٢) المصدر نفسه ص ٢١ وانظر ص ٢٧٠ مديحته لتوزون ٠

ضحك الدهر بعد طول عبوس طالعا بالسعود لا بالنحوس
وأتتنا الايام معتذرات لابسات نعيمها بعد بوس
رضى الراضى الاله لملك أوضح النهج منه بعدالدروس
آنس الله بالخليفة ملكا موحش الربع واهن التأسيس

ويمدح الراضى بأنه نسيم الحياة ، الذى أنعش الدهر وأضحكه ، ويشبه أيامه اللذيذة وسعادة الناس فيها بسعادة المحبين بالوصال ، وسعادة العروسين فى ليلة الزفاف ، وهما صورتان جديدتان برع الصولى فى رسمهما ، يقول (١) :

يا نسيم الحياة اضحكت دهرا كان لولاك دائم التعبيس
ان أيامك اللذاذ كوصل الـ ـحب طيبا ونومة التعريس

وليس معنى ذلك أن جميع فواتح قصائده تسير على هذا المنوال ، فالصولى يجارى أيضا تيار عصره ، ويحاكى الشعراء المعاصرين التقليديين ، فيبدأ أحيانا بعض مدائحه بمقدمات غزلية مأثورة ، له فيها لفتات نادرة ، وصور رائعة ، من مثل قوله فى مديحته الدالية للراضى (٢) :

متيم متلفه تلدده بان بين الهوى تجلده
طال عليه مدى الصدود فما يبصره فى ضناه عوده
قد كتب الحب بالسقام له نظمه بمن أتى يفنده

على أن مقدمات مدائح الصولى لا تسير على وتيرة واحدة ، أو تنحصر فى مجال واحد ، فنراه أحيانا يخالف منهجه السابق ، فيجعل افتتاحيات قصائده شكوى لهمومه وأحزانه ، وتنفيسا عن

---

(١) اخبار الراضى بالله ص ٢١ .
(٢) اخبار الراضى ص ١١١ وانظر ص ٧٩ ، ١١٦ .

تباريحه وأسقامه ، على نحو قوله فى مقدمة ميميته (١) لابن مقلة وزير الراضى :

أنا من بين ذا الورى مظلوم وأذا ما خصمتهم مخصوم
تتخطانى الحظوظ فآسى ومكانى من علمهم معلوم
كم ترى فى الزمان مثلى حتى لم يرمنى الوزير فيمن يروم

وقد يخالف الصولى ما تواضع عليه الشعراء ، فلايقدم لمدائحه بمقدمات ، بل يتناول موضوعه مباشرة كما فعل فى مديحته النونية التى هنأ بها البريدى وزير المتقى لله بتوليه زمام الحكم (٢) .

واذا كان الصولى لا يقدم أحيانا لمدائحه للوزراء والأمراء ، فانه قلما يمدح الخلفاء بقصائد دون أن يقدم لها بمقدمات غزلية أو استبشارية أو غيرها .. فلم نعثر الا على مديحة واحدة للراضى وهى مديحته الزائية ، حيث بدأها الصولى بالدعاء للخليفة دون أن يقدم لها ، حيث قال (٣) :

بارك الله للأمير أبى العبـ ـاس خير الملوك فى النيروز
وأراه أولاده الغر أجدا را بملك نام وعز عزيز

غير أن الصولى فى معظم الاحيان يقدم لقصائده بمقدمات غزلية ، قد تطول أو تقصر حسب انفعاله وحالته النفسية ، فقد تكون بيتا واحدا كما فى داليته للخليفة المعتضد (٤) . وقد تصل الى العشرين بيتا كما فى مقدمته لقصيدته البائية (٥) التى مدح بها

---

(١) أخبار الراضى ص ٩١ .
(٢) اخبار المتقى لله ص ٢٢٠ ، وانظر ص ٢٧٠ .
(٣) أخبار الراضى ص ٣١ .
(٤) مروج الذهب للمسعودى ٤ـ٢٧٨ .
(٥) أخبار الراضى ٤٧ .

الوزير ابن الفرات . وعموما فمقدماته الغزلية تتراوح بين الاربعة والخمسة أبيات ، أما مقدماته الاستبشارية فهى دائمـا متوقفة على تولى الخلافة أو الوزارة أو الامارة .

وإذا تركنا مقدمات مدائح الصولى الى مدائحه نفسها . وجدناه يجسم المثالية الخلقية تجسيما قويا فى ممدوحيه ، فهو حين يمدح الخلفـــاء أو الوزراء أو الامراء ، لا ينفصـــل عن منهـــج السابقين والمعاصرين حيث يتمثل المعانى العربية المتوارثة ، كالشجاعة والكرم والوفاء والاباء ، وغير ذلك مما يتصل بالاخلاق الفاضلة والخصال الحميدة . فنراه يمـدح الخليفة الراضى بالشـــجاعة ، وأن قواده وجنوده يستمدون منه القـــوة والمقدرة القتالية ، وأنه سيف على الخارجين عليه ، العاصـــين لأوامره ، وهو المقتـــدر المطفىء لنار طغيانهم ، يقول (١) :

جيوشه حوله كمـا حدقت	بالبدر بدر التمام أسـعده
سـيف على من عصـــاك متقد	تطغى به طغيـــانه وتغمده

ويمدح قائده ـ ابن ياقوت ـ بالشجاعة والبأس ، وأنه قبلة الحرب ، المؤيد بنصر الله فيقول (٢) :

يا امام الهـدى استمع لولى	سائر فى مديحكم ركاض
يفضل الناس فى الشجاعة والبأس	كفضـــل الديس لابن مخـــاض
قبـلة الحرب حين تجتنب الحر	ب وتردى خيولهـا فى العراض

ويمدح الصولى الأمير توزون بالاقدام والفتك ، والجرأة يوم احتدام الوغى والتقاء الأقران فيقول (٣) :

(١) أخبار الراضى ١١١ .

(٢) أخبار الراضى ١٠ .

(٣) أخبار المتقى ٢٧٣ .

عرفت باقدام وفتك وجرأة ... فما أحد فى كل ذلك ينكرك

اذا التقت الأقران واحتدم الوغى ... فسيفك بالنصر القريب يبشرك

وان جر يوما عسكرا ذو تجمع ... فسيفك فردا فى قتالك عسكرك

ويساير الصولى ـ فى مدائحه ـ تيار الشعر المتوارث، فيمدح الراضى بأكبر الصفات والمعانى التى كان يفاخر بها العرب وهى صفة الكرم حيث يقول(١) :

أمواله نحونا موجهة ... بنائل لا تحث ورده

يعلى لنا الحل والمحل به ... فلا سؤال له نردده

ويبالغ فى مديحه بالكرم ، فيصفه بأنه النبع الصافى الذى منه يرتوى الناس ؛ وأن جوده شمل كل من حوله ؛ وأن بشره زائد العطاء ، ويربط بين سخائه وصورة البرق الذى يلمع فى السماء دليلا على انهمار الغيث ، ويقول ان هذا العطاء والسخاء يأتى تكرما دون سؤال انسان أو تذكير من أحد ، فالعطاء يجرى من يديه الى الناس خالصا ، كما تجرى المياه من منابعها صافية . يقول(٢) :

يرد الناس منه أغدار جود ... طيب الورد مترع الأحواض

بشرة زائد العطاء كما البر ... ق دليل الغيوث بالايماض

صافيا من تكدر المطل يجرى ... جرى ماء صاف على رضراض

ويضيف الصولى الى هذين المعنيين المتوارثين ـ الشجاعة والكرم ـ معانى أخرى ، فنراه يمدح ممدوحيه بصفات أخرى تتصل بالناس وصلة الحكام بهم .. فيمدح الراضى تارة بأنه المفرج للكروب ، وخير من يلوذ به الناس ويحتمون ، الوفى بالوعد السمح .. ويمدحه تارة أخرى بأنه المحسن الذى اكتسب حب

---

(١) أخبار الراضى ١١١ .

(٢) أخبار الراضى ص ١٠ .

الناس ، وطاعتهم له ، وتقديرهم لمكانته وفضله حتى لم يعد هناك انسان يبغضه أو يسخط عليه لسماحة وجهه وعفوه يقول (١) :

أحسنت حتى ما نرى متسخطا
يشكو الزمان ولا نرى لك مبغضا

كم مبغض حطت اليك ركابه
نال الغنى عجلا فأغنى المبغضا

ويضيف الصولى الى مدائحه بالأخلاق الكريمة والخصال الحميدة وغيرها مدائح أخرى بعضها يتصل بالصفات الشخصية فيمدح الراضى بالذكاء ورقة الطبع فيقول (٢) :

رقيق حواشى الذهن هذب طبعه
ومحص فى قرب المدى أيما محص

وأنه لا يخونه الفهم ، ولا يسىء التقدير (٣) :

أرى ذكيا ذكت خواطره
فلم يخن فهمه متلده

ويصفه بأنه البدر الذى أضاء دجى الظلماء ، والذى لم يأت خليفة مثله ، ولن يستطيع أن يصل الى مرتبته انسان فيقول (٤)

بدر يضىء دجى الظلام ولم يزل
لسواد ما تجنى الخطوب مبيضا

---

(١) أخبار الراضى ١٢٤ .
(٢) اخبار الراضى ص ٢٧ .
(٣) أخبار الراضى ١١١ .
(٤) أخبار الراضى ص ١٢٤ .

بكر الزمان فليس ينتج مثله أبدا ولا يلفى به متمخضا
من شـــام عزك ذل دون مناله أورام ما رفعت منه تخفضا

كما يمدح ممدوحيه ببعض الصفات التى تتناسب مع مكانتهم الرسمية ، تلك التى تتصل بالحكم والسياسة وأمور الدولة ، نحو مديحه للراضى بســـداد الرأى ، والتمسك بالوفاء ، وحسن تدبير أمور الرعية وتوجيه ســـياسة الوزراء والحجاب بمـــا فيه صالح الشعب . يقول(١) :

يسل رأيا كالسيف وقفته ويحتـــوى سيفــه ويغمده
تمســكا فيه بالوفاء وما تقصر عمـــا يريده يده
يسوسهم بالسداد حاجبه وهـــو بآرائه يســـدده

ويمدحه أيضا ، بأنه القادر على الوصول الى أهدافه ، الالوف، العياف ، النهوض بالخطوب ، اذا ما واجهته المحن (٢) .

ويمدح الوزير ابن مقلة بالاستقلال بالرأى ، وأنه أعلم الزمان الذى لاتخفى عليه خافية ، وأنه ذو عزم ويقين ، وخير ناصح وأمين. فيقول بين ثنايا مديحته الضادية للراضى(٣) :

أيد الله ملـــكه بوزير مستقـل برأيه نهـــاض
عــالم بالزمان قـــد راض منه جامحا آبيا على الرواض
لم يطـــف اليقين من ظنه الـــشك ولا حال دونه باعتراض
ناصح لم يخض ضحاضح غش فى الزمان الماضى مع الخواض

(١) أخبار الراضى ص ١١٣ .
(٢) أخبار الراضى ص ٧٩ .
(٣) أخبار الراضى ص ١٠ .

كما يمدحه بأنه العارف بأحوال الزمان وظروف العصر ، الذى له من سداد الرأى ، وقوة الشكيمة ومضاء العزيمة ما يحصد أعداءه ، ويقطع أوصالهم ، ويمدحه أيضا بأنه الحاذق الماهر ، العارف بمكر الأعادى ؛ القادر على رد كيدهم الى نحورهم (١) .

والصولى يجعل من مدائحه سجلا تاريخيا ، يتحدث فيها عن عائلة ممدوحيه وأنسابهم ، آبائهم وأجدادهم ، فحين يمدح الخلفاء يشير دائما الى انتسابهم للبيت النبوى الشريف الذى يعلو على كل البيوتات بالشرف والعز والمجد والنبوة ، ويجعل من هذا النسب وسيلة لرفعة الخلفاء ، والتفاف قلوب الناس حولهم من مثل قوله فى الراضى :

طاب أصلا وبابنه طاب فرعا	غرس الملك منه خير غريس
قد أمر الزمان طوعا عليه	فسخا بعد نفرة وشموس
فترى الناس خاضعين اليه	من قيام بأمره وجلوس

ويشير فى مديحته للمتقى لله الى بنى العباس وفضلهم على الخلافة والاسلام ، وأنهم ملكوا الجبلين اللذين قام بهما الاسلام : النبوة والخلافة ، وأنه لولا وجودهم وقيامهم بأمر الدين لضعف نور الحق ، يقول (٢) :

ولولا بنو العباس عم محمد	لأصبح نور الحق فيه خمول
لكم جبلا الله اللذان اصطفاهما	يقومان بالاسلام حين يميل
نبوته ثم الخلافة بعدها	ومالهما حتى اللقاء حويل

كما يمدح آباء ممدوحيه وأجدادهم بأهم الصفات والخصال التى برزوا فيها .. فحين مدح الراضى أشار الى عدل أبيه المقتدر،

---

(١) أخبار الراضى ص ٢١ .

(٢) أخبار المتقى لله ص ١٨٨ .

ومدحه بأنه العادل ، الذى أحيا عدله البرية حتى أن الناس سموه بالفاروق . يقول (١) :

الى ابن الذى أحيا البرية عدله ... فشبه بالفاروق منهم أبى حفص

وحين مدح ابن مقلة وزيره ، مدح آباءه بالشرف والمجد ، ووصفهم بأنهم نجوم الورى ، الساطعة دوما ، وأن المجد موقوف عليهم ، والناس لهم عارفون ، ولعزيمتهم مقدرون لأنهم يملكون زمام السياسة والكتابة ، وأن قلمهم يجمع بين البيان والحسن ، ومدح كتابتهم بأنها كالرقوم الموشاة ، تحتوى أكمل المعانى وأجملها . يقول (٢) :

أنتم يا بنى على نجوم	للورى فى الضياء ليست تغيم
خيمت فيكم محاسن خط	لاح منها للناس در عظيم
قلم جامع بيانا وحسنا	ما حوى فيه مثلكم اقليم
تتباهى به القراطيس حسنا	مثل وشى تروق منه الرقوم
وكلام كأنه زهر الرو	ض بدت للنجوم منه نجوم
قد أحاطت به عيون المعانى	وأضاءت فى جانبيه الظلوم

وحين مدح الصولى أبا عبد الله البريدى ـ وزير المتقى ـ مدح آله بأنهم صانوا الوزارة بعد هتك وضعف ، بآرائهم المستنيرة ، وحكمتهم وحنكتهم ، وأنهم جمعوا بين الزعامة فى الكتابة ، والزعامة فى السياسة ، وأن أقلامهم تصدر الاحكام القاطعة فى الاعادى ، فلا بد من نفاذها ؛ كما ينفذ فيهم السيف أو الرمح الردينى ،

---

(١) أخبار الراضى ٢٧ .

(٢) أخبار الراضى ٩١ .

ويثنى عليهم ثناء عظيما ، ويذكرهم بالثواب الذى ينتظرهم على ما قدموه للخليفة وللدولة ، وأنه سيكون ثواب الصديقين والشهداء والأبرار : يقول (١) :

ثوابكم على اصلاح ملك ثواب شهود أحد أو حنين

والصولى ـ فى مدائحه ـ يضيف الى كل العناصر السابقة التى تناولها .. عناصر أخرى تتصل بأبرز سمات الممدوح ، ولقد كان من أبرز سمات الراضى بالله .. العلم والأدب . لذلك ركز الصولى على هذا العنصر تركيزا شديدا ، فمدحه بأنه أجل الناس علما ، وأن هذا العلم هو الذى أحيا سنن الدين بعد أن عفت، كما مدحه بأنه الخطيب المفوه ، الذى يؤم المسلمين ، ويفعل ما كان يفعله النبى وخلفاؤه الراشدون ، ويقول (٢) :

أجل الناس آراء وعلما مقال ليس يقرن بالأفوك
وما أحياه من سنن تعفت فدار صلاحها دور الدموك
ركوب المنابر سار قصدا اليها وهى حائرة السلوك
فذكرنا مقال منه فصل مقال المصطفى بحرى تبوك

ويمدحه بأنه نهل من جنان العلم الأنيقة ، ورياضه حتى كمل فيه الفضل والفضائل ، منذ كان صغيرا ، وأصبح بالعلم خير خليفة تولى امرة المؤمنين .

ومعروف ـ كما ذكرنا من قبل ـ أن الصولى كان مؤدبا ومعلما للراضى ثم نديما وجليسا ، وأن علاقته به دامت أعواما طويلة ،

---

(١) أخبار المتقى لله ص ٢٢٠ .
(٢) اخبار الراضى بالله ص ٧٩ وانظر ص ١٠ ، ٢٧ ، ٣١ ، ١٥١ .

لذلك نجد الصولى قد خص الخليفة الراضى ـ دون غيره ـ بمعظم مدائحه ، خاصة وأن الظروف لم تتح له أن يتصل بالخليفة المتقى لله ، لرفضه الجلوس مع الندماء أو اتخـاذ جلسـاء من العلماء ـ لذلك لم نجد للمتقى أثرا فى شعر الصولى ، فلم يمدحه الا بمديحة واحدة لامية(١) ـ عند توليه الخلافة ـ وهى مديحة محدودة المعانى وتكاد تنحصر فى المعانى الدينية وتقتصر عليها ، بعدها تحول الصولى الى من بيده السلطة الفعلية فى الدولة ـ وهو الأمير توزون ـ أمير الامراء ـ الذى هيمن على الدولة ، وأمسك بزمام السلطة طيلة حكم المتقى لله وبعده . بل ان توزون هذا ـ هو الذى حكم على المتقى بالسمل والقتل وأنهى فترة خلافته وعين خليفته فلا عجب أن نجد الصولى فى أخريات أيامه ـ وقد أعوزه القوت ـ يضطر للاتصال بتوزون ويمدحه بمدائح عصماء ، ويمجده ويعظمه بأبيات لم يقل مثلها لخليفة أو وزير أو أمير من قبل ، من مثل قوله (٢) :

أنت المعظم فى الزمان ومن له ذلت رقاب السادة العظماء
أبـت الامارة أن تزوج غـيره من بعد ما خطبت أشـد اباء
فرقيت فى درج المعالى صاعدا تعـلو على العظماء والكبراء

على أن أهم عنصر يضيفه الصولى فى مدائحه فى الخلفاء . هو العنصر المتصل بالدين ، حيث يضمن مدائحه للخلفاء معـانى تضفى عليهم صفات التقديس . فنراه يصف الراضى بأنه الامام الذى اختاره الله لينقذ الدين ، وأنه حاز كل المكرمات ، وحاز بها الكمال والمجد وحب الناس ، كما يمدحه بأنه حجة الله ، وأنه قبلة الدين ، التى يتجه اليها الناس فى صلاتهم وحياتهم ، وأن طاعته واجبة وجوب طاعة الله ، ومن عصاه فله الموت والهلاك فى الدنيا ، وثقل العذاب فى الآخرة . يقول (٣) :

---

(١) أخبار المتقى لله ص ١٨٨ . (٢) أخبار المتقى لله ص ٢٧٠
(٣) أخبار الراضى ص ١٠ .

يا اماما اليه حلت عرا الفخـ ـــر وفلت معاقــد الأغراض
حاز بالمكرمات كامل مجـد عــلق الناس فيه بالأبعــاض
حجة الله أتت يا قبـــلة الـ دين فليست ترد بالادحــاض
آذن السيف من عصاك من الـ ناس بهلك واشك وانقراض
وبثقل من العـــذاب ووزر يتقض الظهر أيما انقــاض

يقول أيضا : ان الله أوحده فى فضائله ، وأوجده من بدء الوجود ، يحميه ويكفله برعايته وينحس أعداءه ، ويلهمه السداد والتوفيق . ويصل الصولى الى قمة مديحه الدينى ، فيبالغ مبالغة شديدة حين يقول فى مديحته الدالية للراضى : لو جاز للبشر أن يعبدوا غير الله ، لعبدوا الخليفـــة ومجدوه وســـبحوا بحمده . يقول (١) :

أوحــــده الله فى فضـائله فهـو من بدء الكمال أوجـده
كفـاية الله تســـتطيف به تنحس أعداءه وتســـعده
لو جاز أن يعبد العباد سوى الـ خالق كنـــا للبر نعبـــده

ويمدحه أيضا بأن كل ما فى الوجود من محاسن مرجعـــه اليه ، فهو مالك الدهر ، والكل له مطيع ، فطاعته من طاعة الله . يقول (٢) :

محاسن هذا الخلق منك ابتداؤها ويجذبها ذو كلفــة منك كالملص
فلازلت للدهر المملك مالـــكا يطيعك فيما تشتهيه ولا يعصى

ويمدحه بأنه المعتلى بفخره ، والذى يهتدى بنـــور هديه الناس ، وأنه امام المسلمين ، وعصمة أمرهم ودينهم (٣) .

(١) أخبار الراضى ١١١ .
(٢) أخبار الراضى ٢٧ .
(٣) أخبار الراضى ص ١٢٤ .

بعلو فخرك فى المفـاخر يعتلى   وبنور هديك فى الديانة يستضا

ويمدح الراضى أيضا بأنه كل الورى وسيد الناس ، والجميع عبيد له يأتمرون بأمره ، وينتهون بنهيه ، كبيرهم وصغيرهم ، أعلاهم وأدناهم ، ففى حياته حياة الناس ، وفى بقائه الفوز لهم والغنى والسداد ، ومن لا يؤمن بطاعته وحبه فلن تنفع له صـــلاة . يقول (١) :

فأســلم الله امام الهـــدى   فمـا عطـــاء الدهر بالنحس
كل الـــورى أنت وكل يرى   عبدك من عال ومن نـــكس
بقاؤك الفوز لنـــا والغنى   تصـبح فيه مثـل ما نمسى
من لا يرى حبك فرضا فمـــا   أدى فـــروض الله فى الخمس

والصولى يشير دائما ـ فى مدائحه للخلفـــاء العباسيين ـ الى فكرة الخلافة ، وأنهم أحق الناس بها لصلة الدم والعصب ، وأن الله ارتضاهم وفضلهم على العالمين ، واختارهم للخلافة واختارها لهم . من ذلك قوله : ان الله اختار الراضى خليفة له على الأرض ؛ وهو كفء لذلك وراض ، وأن الخلافة أتته طوعا ولم يطلبها أو يسعى اليها ، وهو الأحق بها ، المعان بقوة الله على أمورها (٢) :

بمحمـــد رضى الاله خليفـــة
في الأرض فهو بذاك راض مرتضى

جاءته طوعا لم يســـير لفظــه
فيهـــا ، ولا أضحى لها متعرضا

فهو الحقيق بها المعـان بقـــوة
فيهـــا بحكم فاصل لن يدحضا

---

(١) أخبار الراضى ص ٧٢ .
(٢) أخبار الراضى ص ١٢٤ .

ويقول أيضا : ان الخلافة خطرت نحوه طائعة باجماع من الناس ، فالكل عقد عليه العزم لارجاع مجد الاسلام ، حتى الزمان قد استلذ وفرح وترنم ، وجلى سوداه القديم ببياض الأمل (١) :

خطرت نحـوه الخلافة طوعا
باتفـاق من الورى وتراض

واصطفاق من الأكف دراكا
واجتماع موف وعزم مفاض

واستلذ الزمان اذ أسفر الملـ
ـك وجلى سواده ببياض

وفى مديحته اللآمية للمتقى لله ، يخاطبه قائلا .. ان الخلافة أتتك قدرا مقدرا من العلى القدير ، الحافظ الوكيل ، وأنه حباك بها ، وصانها لك ، وأنه كفيل باتمام نعمته عليك ، ولو حدت عنها فانه سيقودها اليك ، فليس هناك كفء لها غيرك ، فهو الذى اصطفاك لها ، واصطفاها لك (٢) :

أتتك اختيارا لا احتلابا خلافة
لك الله فيها حافظ ووكيل

حباك بها من صانها لك أنه
باتمام نعماه عليك كفيل

ولو حدت عنها قادها بزمامها
اليك اصطفاء الله وهى نزيل

ويسجل الصولى فى مدائحه للخليفة كل الأحداث التى تحدث

(١) أخبار الراضى ص ١٠ .
(٢) أخبار المتقى ص ١٨٨ .

فى عهده من انتصار فى الحروب أو اخمـاد للفتن أو قضاء على المؤامرات ، فنراه يذكر اخمـاد فتنة « مرداويج » الذى حاول أن يناهض الخلافة . غير أن « بجكم » قضى عليه وأحبط مؤامرته . ويقول للخليفة : لا تخش أعداءك من أمثال مرداويج ، فهم جميعا يقتلون بقدرة الله ، لأن الله يؤيدك بنصره ، ويستعير صورتين من التاريخ يربط بهما بين أحداث العصر وأحداث الماضى ، فيربط بين جحافل جيوش المسلمين التى دخلت فارس فأطفأت نار المجوس ، وبين جحافل جيوش الراضى التى قضـت على مرداويج ، ويربط بين سرعة انهيار ملك بلقيس وبين سرعة القضاء على هـذا الخارج فيقول للراضى : ان رياح أيامك الغر الميامين قصفته فأخمدت نار الفتنة التى أشعلها ، كما أخمد الفاتحون المسلمون نار المجوس ، فانهار العرش الذى بناه لنفسه ذلك اللعين ، وسلب منه سريعا ، بل أسرع مما سلب العرش من يدى الملكة بلقيس . يقول (١) :

مرداويج بسـيف خظك مقتـو
ل فأهـون بذاك من مرموس

قصـفته رياح أيامك الغـ
ـر فأخمدن منه نار المجوس

ثل عرش اللعين أسرع ممـا
سـلب العرش من يدى بلقيس

ويمدح بجكم أيضا فى مديحته الزائية للراضى ، ويشـير الى فتنة مرداويج التى أخمدها ، وكيف أن بجكم أباده فيقول (٢) :

---

(١) أخبار الراضى ص ٢١ .

(٢) أخبار الراضى ص ٣١ .

حتف الله مرداوج بحـــــد
منـــــه فى أنفس الورى مركوز

كم عدو أباده غـــير مقبـو
ن بمـــردى الردى ولا مجنــــوز

- وخصيصة بارزة فى مدائح الرجل - وهى أنه دائما ينتقل من المجال الغيرى - المديح - الى المجال الذاتى ، فيتحدث عن نفسه وعن أحواله فى جميع مراحلها . فهو فى كثير من مدائحه للخلفاء يذكر أنه السباق الى مديحهم ، وأن يتقدم كل الناس بالرغم مما عاناه من كيد الكائدين وبغضهم ، وأنه اختار لهذه المدائح أشعارا لم يقل مثلها ، ولا امتدح بمثلها خليفة من قبل ، وتقدم بهـــا الى الخليفة فى قصيدة عصماء تناسب جلالته ومكانته . يقول (١) :

وتقــدمت فى مديحى له النـــــا
س على الرغم من ذوى الابغـــاض

وافترعت الأبكار من عزة الشعـــــ
ـــر فذللت صـــعبها بافتضـــاض

ويقول أيضا (٢) :

لى سبق المديح منـــك على النـــا
س وفخر بالســبق فى التأسيس

ويقــول : ان الشـــعر كثير ، يطلق فى أناس وممـــدوحين مختلفين ، ولكن شعرى وقف على مديح أمير المؤمنين مقصـــور عليه ، لأنه أولى به وأقدر على تقييمه ..

---

(١) أخبار الراضى ص ١٠ .
(٢) أخبار الراضى ص ٢٢ .

يطلق الشعر فى أناس وشعرى .

وقف مدح على الامام حبيس(١)

ويتحدث عن غبطته وسعادته لأن الخليفة اختاره ليكون له جليسا ونديما ، ويبين مدى سعادته لأنه يستمتع بعذب حديثه المستفاض ، ويقول : انه بلغ غايته ومناه ، وبشره الناس بالغنى بعد الفقر ، والعز بعد الذل ، وأصبح ينام قرير العين مرتاح البال يقول (٢) :

وتشرفت بالجلوس لديه
بحديث يلتذه مستفاض

وبلغت المنى وبشرنى الـ
ناس بثوب من الغنى فضفاض

وتبدلت بالتذلل عزا
آذن الهم عنده بانفضاض

واطمأن الفراش بعد أن جا
نب جنبى تجنب النهاض

ويذكر دائما ولاءه وصدق نصحه للخليفة ، وأن هذا النصح وهذا الولاء قديم وسيظل قائما ولن يشوبه أبدا زور أو رياء أو تدليس مهما طال الزمن أو اشتعل الرأس شيبا .

يا حلى الزمان يا زينة الأر
ض ورأس الملوك وابن الرءوس

ان نصحى وصدق ودى قديم
لم أشبه بالزور والتدليس

---

(١) أخبار الراضى ص ٢١ .

(٢) أخبار الراضى ١٠ .

قبل أن يأكل الزمان شـــبابى
خالســـا غرتى بشـعر خليس

ـ ومدائح الصولى كانت مجالا كبيرا لشكواه ، ومتنفسا عما بنفسه من أسقام وأحزان ، وما يقاسيه من مكائد ووشايات ، أو فقر وحرمان . فهو يضمن مدائحه شكواه من العانتين الحاقدين ، الذين لا يدخرون وسعا فى ثلبه ، وانتقاصه ، حتى صار لا ينام الليل ، وتكحلت عيناه بالسهاد والأرق ، لأنهم يحسدون صلته بالخليفة ، ولكنه يصرح أن كل شىء يهـون ، لأن الله قد عوضـه فقربه من الخليفة الذى يحس به ويقدره يقول (١) :

زأرتنى أسود حقـــد عليـــكم
لم تغيب بغابة وغيـــاض

وفرانى الزمان منـه بنـــاب
بعـدكم مرهف الشـــبا عضاض

وانتحى آكـــلا للحمى ورض الـ
عظم منى بكلـــكل رضاض

من حسود منـــافس لى عليـــكم
لبحـــار اغتيابـــكم خواض

مبغض لى لما أســـير فيـــكم
من مـــديح على الأذى حضاض

فأرانى الاله مـا كنت أرجـــو
ه وعوضت أحســـن الاعتياض

---

(١) أخبار الراضى ١٠ وانظر ٢٧ ، ١١٦ .

والصولى ـ فى مجال حديثه عن نفسه.وشكواه ، لا يشكو حساده وعذاله والكائدين والواشين فحسب ، بل يشكو أيضا شيخوخته ومرضه وضعف قوته ، كما يشكو كبر سنه بعد أن ناهز السبعين وأصبح لا يهنأ بالحياة أو النوم ·· بل هو منتظر يومه الموعود وقدره المكتوب ·· يقول للراضى (١) :

صرحت بالشكوى اليك تأنسا
بندى يديك اذا غريب عرضا

من بعد ما غال المشيب شيبتى
ونضا لباس تجملى فيما نضا

وأجارنى مرض وأوهن قوتى
فغدوت منه وقد صححت ممرضا

واذا دنت سبعون من متأمل
دانى ولم ير فى اللذاذة مركضا

وجفاه نوم كان يألف جفنه
قدما وأضحى للحتوف معرضا

ويتذكر حياته الرغدة السابقة وشبابه الفائت الذى لن يعود فيبكى ·· قائلا (٢) :

أبكى كساء كان أوثق عدتى
ان أخصر البرد العظام ونقضا

ومخدة قد كان يألف لينها
خدى فأضحى الجسم منها ممرضا

---

(١) أخبار الراضى ص ١٢٤ ·
(٢) المصدر نفسه ·

ونفيس فرش كالرياض نقوشه
ما كان من دون الرياش مرحضا

ومجمعا قد كنت أجمع آلة
فيه وكان من البلاء مفضضا

والصغر أبكى كالنضار وشمعة
زانت يد الماشى بها والمقبضا

غير أن هذه الشكوى وهذا البكاء ـ فى شعره ـ يصلان أحيانا الى حد الاستجداء والذل فيظهر فى شعره جانب الضعف الانسانى ، حيث يرتفع نحيبه وخوفه من المصير والمستقبل والفقر . ولا شك أن هذه الظاهرة كانت سببا فى أن بعض الباحثين (١) وصموه وعابوه .

والحقيقة أن هذه سمة بارزة فى شعره ، فهو دائم الاستجداء سواء من الخلفاء أو الوزراء ان تلميحا وان تصريحا ، من مثل قوله للخليفة الراضى(٢) مشيرا الى ما بينه وبين دهره من صراع وحرب عوان ، فيشكو ذل الحاجة ومر السؤال ، استجداء للجود وطمعا فى العطاء :

ان بينى وبين دهرى حربا
جاوزت حرب داحس والبسوس
أنا منه لغير هجر ووصل
واقف بين لوعة ورسيس
فاعتبر ما شكاه عبدك منه
ثم داو الخناق بالتنفيس

---

(١) محمد كرد على . كنوز الأجداد ص ١٤٤ .
(٢) أخبار الراضى ص ٢١ وانظر ١٠ ، ٧٩ ، ١٢٤ .

هـــو فى مخلب الزمان فريس
فارحم الآن نفس هــذا الفريس

واسقه من سـلاف جـــودك بذلا
فاق طيبـــا سلافة الخنـــدريس

وقد يرتفع استجداء الصولى لكى يصل الى درجـــة التصريح فيقول (١) :

لا والذى أنت منه نعمة ملأت
عرض البـــلاد وحلت حبـوة الموب

ما فى عبيـــدك ان فتشت أمرهـــم
أقـــل منى فى رزقى وفى نشـبى

هذه هى مدائح الصولى – **للخلفاء والوزراء والأمراء – بكل** عناصرها وخصائصها ، وهى تشـتمل على عناصر بعضها جديد من عنده ، وبعضها موروث ، ولكنه فى العناصر الموروثة استعاد صورا جديدة ، فظهرت فى أزهى حلة وأبهى زينة .

أما العناصر التى استحدثها الصولى فى مدائحه فهى :

(أ) أنه أضاف الى المقدمات الغزلية مقـدمات أخرى تحمل الأمل والاستبشار بحـلول خليفة أو وزير أو أمير جديد قوى ، يستطيع أن يزيح الغمة عن كاهل الأمة ، ويعيد للدولة وللخلافة هيبتها وجلالها وقوتها ، كما أنه أضاف أيضـــا مقدمات بث فيها شكواه وهمه وأحزانه ، وما يكابده من أسقام ، غير أنه لم يجعل ذلك منهجا مضطردا فى كل قصائده ، بل تجده فى كثير من الأحيان **يخرج عن القاعدة المتبعة عنـد الشعراء والمتوارثة عبر الأجيال** ، فيحذف المقدمة الغزلية أو غيرها فيبدأ قصائده بالمديح مباشرة .

---

(١) اخبار الراضى ١٥١ وانظر ٩١ ، ٢٠٢ .

(ب) أنه أضاف الى مديحه بالمعانى الدنيوية للخلفاء ـ مديحا بالعلم والأدب ، وسعة الاطلاع والثقافة ، وكبر العقل واتقاد الذهن ورقة الطبع وبشاشة الوجه ، وأيضا مديحا بالاحسان وحب الناس وغير ذلك .

(ج) أن مديح الصولى بالمعانى الدينية لم يكن وقفا على المديح بالتقوى والعدل والورع وطاعة الله ، بل كان يتعدى ذلك الى مديحه بأنه الخليفة المختار ، الذى فضله الله ، وآيده بنصره لينقذ دينه ، وأنه عماد الدين .. وعزة الاسلام ، المهتدى بنوره ، كما مدحه بأنه المحيى لسنن الدين ، الخطيب المفوه ، الذى يؤم المسلمين ويفعل مثلما فعل النبى وخلفاؤه الراشدون ، وأنه ينتسب الى أشرف البيوتات وأعلاها وهو البيت النبوى الشريف ، كما مدح آباءه وأجداده بتوارث الشرف ، وأن الخلافة حق فيهم ، جاءتهم بقدر الله ... الخ .

(د) أن الصولى يضمن هذه المدائح حديثا عن نفسه وعن خواطره وما منى به النفس ، ويذكر الصلة بينه وبين الخليفة ، وأنه السباق الى مديحه بمدائح لم يقل مثلها ؛ كما يذكر أنه كان يتشرف بالجلوس فى رحابه وأن الخليفة كان يفسح له أقرب مكان وأنه نعم ببره وعطاياه .. كما كان الصولى يضمن هذه المدائح شكواه من الحاسدين والواشين ، وشكواه من الزمن ..

وقد أضاف الصولى الى هذه العناصر ، عناصر أخرى تدوولت من قبل ، وهى ذكر حوادث عصر الخليفة كانتصار فى حرب ، أو اخماد فتنة أو القضاء على مؤامرة وغير ذلك ، وفى ثنايا مدائح الصولى للخلفاء ، مدح أيضا قوادهم وأمراء أمرائهم ، ووصفهم بالجرأة والشجاعة ، والبأس والاقدام ورباطة الجأش ، وأضاف الى ذلك كله مديحا لهم بأنهم مخمدو الفتن ، وقبلة الحرب ، وسيوف

الخلافة الى غير ذلك من الصفات التى يجب أن تتوافر فى رجال الحرب ·· كما مدح معاونيهم وكتابهم الذين يدبرون أمورهم ·

ويمكن القول : أن المديحة الصولية كانت مديحة رسمية أو شبه رسمية ، كانت مقيدة بظروف تختلف عما عند الشعراء الآخرين الذين يتكسبون من عرض بضاعتهم على الخليفة ، فينالون بره وعطاءه ثم يرحلون ·· لكن مدائح الصولى كانت أشبه بوثائق تاريخية ، وتعاليم دينية ، يسجل فيها كل ما يتصل بالخليفة وعلاقته بالمسلمين من حيث وجوب الطاعة له والايمان به ، ورفعه فوق مصاف العباد ، وأيضا ما يتصل بالدولة من أحوال وسياسة وحروب وأحداث ·

وقد دفع الصولى الى نظم مثل تلك المدائح ·· وبكل هذه العناصر اتصاله ببلاط الخلافة وبالوزراء والأمراء ·

وتبرز عواطف الصولى الدينية بروزا واضحا فى مدائحه للخليفة ، بل انه ليمكن القول ، انه خير من مثل هذه العواطف الدينية تمثيلا حقيقيا صادقا ، فهذه العواطف لم توجد بنفس العمق والمعانى عند نظرائه ومعاصريه ، ذلك لأنه لم يكن شاعرا محترفا يبغى أجرا ، بقدر ماكان يريد أن يظهر ولاءه وحبه لممدوحيه ·

ونستطيع أن نقول – ان مدائح الصولى الدينية بعمقها ومضمونها ، كانت ارهاصا بظهور هذه المدائح الدينية بصورتها الضخمة بعدئذ عند شعراء الدولة الفاطمية ، وأيضا فان شكواه من الزمن ومن الوشاة والحاقدين ، كانت ينبوعا استقى منه كل الشعراء الذين أتوا بعده خاصة عند المتنبى ، الذى أخذ من معانى الصولى الكثير ، خصوصا ما يتصل بشكوى الزمن ، والحديث عن شعره ·

٢ ـ الغزل :

وللصولى رصيد ضخم فى فن الغزل ، عبر فيه عن العواطف الانسانية ، وأحاسيس الناس وخلجات نفوسهم وخفقات قلوبهم ، فصور حالاتهم النفسية فى جميع هدآتها وسكناتها .

وهو غزل عفيف ، يذوب رقة وعذوبة ، يصور دخائل النفس البشرية ، وما يعتمل فيها من حنين ولوعة ، وشوق ولهفة ، ويسمو بالنفس وبالعاطفة ، فى أسلوب يختلف حسب طاقته المشحونة وعواطفه المكمونة ، وقد لونه الصولى بألوان زاهية من المعانى الطريفة الشريفة ، مسجلا هذا الغزل اما فى مقدمات قصائده ، أو فى مقطعات صغيرة ، وأحيانا فى قصائد كاملة .

وغزل الصولى فى مقدمات قصائده مرتبط بعدة عوامل : بوزن القصيدة وقافيتها ، وبمعانيها ومناسبتها ، وبحالته النفسية وطاقته المشحونة وعاطفته الجياشة ..

فهو تارة يتغزل فى أوزان طويلة ضخمة ، وألفاظ جزلة فخمة على نحو تلك المقدمة التى افتتح بها مديحته لأبى الوفاء توزون ، والتى يتحدث فيها عما يصنعه الهوى بالأحباب ، وكيف أن الحب قدر مقدور يتجرعه الانسان .. يقول(١) :

عذلت امرءا فى عشقه ليس يعذرك
أما عاش أن ينهاك عنه ويزجرك

متى لم تحط خبرا بما صنع الهوى
بمن فارق الأحباب ، فالدمع يخبرك

(١) أخبار المتقى ص ٢٧٣ .

أما لو بلوت الحب واقتادك الهوى
الى هجر محبوب لقل تصبرك
شربت كئوس الحب صرفا ودون ما
شربت من الممزوج ما لا يسكرك

وتارة أخرى يستخدم الأوزان السهلة ، والألفاظ العذبة الرقيقة . فنراه يتحدث عن الهجران ، وكيف يحيل صبح المحب الى ليل مظلم ، يهيم فيه ، لا يعرف نهاره من ليله ، أو صبحه من مسائه ، ثم يذكر أيام الوصال وحلاوتها .. وكيف كانت كلها ربيعا ورياضا ، وزهورا وورودا متفتحة للحياة وللحب وللأمل .. يقول فى مقدمة مديحته للراضى (١) :

أرى الهجران منك يحيل صبحى
وما أذنبت ـ ليلا ذا حلوك
ودهر الوصل يحكى لى ربيعا
يشابه نبته خلى الهلوك
رياض نمرج الألحاظ فيها
منورة الأعالى والسموك
بهار قد حكى العشاق لونا
على قضب حكتهم فى النهوك
وورد مثل خد منك راض
جوار فم تبسم عن مسوك
ويضحك أقحوان فيه يحكى
لنا ثغرا تكشفت عنه فوك

(١) أخبار المتقى ص ٢٧٣ .

والمقدمة الغزلية عنده تخضع لعاطفته وطاقته المشحونة ، فقد تطول طولا مفرطا فتصل الى العشرين بيتا ، على نحو مقدمته البائية الى ابن الفرات التى كان الراضى بالله يعجب بها كثيرا ، ويقول عنها : «انها أحسن تشبيب سمعه قط»(١) ، وطالما طلب الى الصولى أن ينشده اياها ..

والحقيقة ان الصولى بلغ فى هــذا التشبيب القمة . ومس شغاف القلوب ، لما حوته هذه المقدمة من معان رقيقة عذبة ، تحرك المشاعر وتوحى بأصدق المعانى ، وتخاطب وجدان الناس ، وتهيج عليهم ذكرياتهم .. يقول فيها (٢) :

سيدى أنت اننى بك صـب
بين أيدى الهمــوم والشـوق نهب

وشفيعى اليــك انى محب
وقديمـــا أحب من لا يحـب

بعث الحب لى سقاما فأعدى
بى حزنا مــداوما ما يغب

ليس لى نية أسلى بها النفـ
ـس لما قد رأى ولا لى قلب

ضاع صبرى وأخلفتنى ظنون
كاذبات يلذها من يصبو

غير أنى أرحت من قول لاح
هو هــم على الفـؤاد وكرب

عذل العــاذلون فيـك وقالوا
ما على من أحـب مثلك عتب

---

(١) أخبار الراضى ص ٢٧ .

(٢) أخبار الراضى ص ٢٧ وما بعدها .

ويتغزل الصولى فى المحبوبة فيصف خدها المورد الأملس ، وفمها العذب ، وجبينها المتلألىء المضىء الذى يظهر تحت شعرها ، وكأنه هلال لامع فى كبد السماء ، وقد انزاحت عنه السحب ، ويصف جفونها الناعسة وحديثها العذب ، وقوامها الرقيق الغض الذى يتمايل كغصن البان ، ثم يتحدث عن حرمانه فيقول : ان الحسن فى جميعك ، وكل شىء فيك جميل ، ولكن حظى منك قليل . ثم ينتقل الى وصف حاله وما كابده من الظلم والصد ، والهجر والحرمان .. وكيف أن هذه المعاناة والمكابدة أثرت على جميعه حتى شعره ، فقد اشتعل شيبا من التفكير ، فيقول (١) :

ظلمتنى كظلمك السن حتى
شاب رأسى ، ودعوة الشيب سب

سلبتنى ثوب الشباب الثلاثو
ن وللشيب بعد ذلك سلب

وأحالت دهما على الرأس شهبا
ليس يجرى بخيله اللهو شهب

ويختم الصولى هذه المقدمة الغزلية بتصوير ألم الفراق ، وطول البعاد ، مؤكدا أن الذكرى باقية دائما فى القلب ، مطبوعة فى الذاكرة ، ماثلة أمام الطرف ، تحرك المشاعر ، وتلهب الخواطر ، ولن تنمحى مهما طال الزمن ، فيقول(٢) :

ان يكن سار عامدا لدمشق
وطوانى كما طوى الشمس غرب

فهو للقلب حيث ما مال ذكر
وهو للطرف حيث ما دار نصب

---

(١) أخبار الراضى ص ٢٧ .

(٢) المصدر نفسه .

ونلاحظ أن تشبيب الصولى فى هذه المقـــدمة مرتبط بعضه ببعض ، كل بيت متصل بســـابقه ولاحقه ، وكل معنى كذلك ، مما يدل على خياله الخصيب ، وعاطفته الجياشة ·

وقد تقصر المقدمة الغزلية عند الصــولى فتكون أربعة أبيات أو ثلاثة ، وقد لا تتعدى البيت الواحد ، على نحــو مقدمته للخليفة المعتضد ، التى افتتحها بقوله :

أيهـــا الهاجر مزحا لا مجـــد
أجزاء الود أن يلقى بصـــد ؟

ثم ينتقل الى المديح مباشرة ·

ولا شـــك أن الصـــولى فى تشبيبه وغزله ، فى افتتاحيات قصائده ، كان يهدف ــ الى جانب التعبير عن ذاته وعن عواطفه ــ الى مسايرة القدماء ، والتمسك بعمود الشعر التقليدى السائد فى عصره ، من أن القصائد العربية التى ينظمها فحــول الشعراء انما تفتتح بالمقدمات الغزلية ، حيث يصف فيها الشاعر خواطره تجـــاه الحب ، ويحلل هذه الخواطر .. فالصولى فى ذلك يسير فى نفس المسار التقليدى ، ويتبع قواعد النظم التى تواضع عليها الشعراء ، والتزموا بها ·

وهو لم يقف فقط عند مقدمات مدائحه ليصور الحب وتباريحه وأشجانه ، بل كان أحيانا يخلو بنفسه ليكتب غزلا رقيقا ــ فى مقطوعات ــ يحمل أسمى آيات الحب ، وأروع صوره ، وكأنه كان يتمنى أن تكون له محبـــوبة ، أو أن يعيش قصة حـــب تخلدها الاجيال · ولكنه كان يحكى حب الناس ويسجل قصصهم ، ويترجم مشاعرهم ·· فينتشى وتنتعش نفسه ، وينعش من حوله ·· من هذا الغزل مقطعات طريفة تعكس مشاعره من مثل قوله(١) :

---

(١) أخبار الراضى ص ٥٢ ·

غشيتنى من الهمـوم غواش
لعـذول يلوم فيـك وواش

لو يلاقـوا الذى لقيـت من الوجـ
ـد لشـوق بين الجوانح ناش

نم بالسر عندهم دمـع عينى
ان سر المحـب بالدمع فاشى

من عذيرى لظـالم أنا منه
فى زمان الوصال للهجر خاشى

أخذ القـد من قضيب رطيب
وحكى أعين الظبـاء العطـاش

ومن المقطعات الغزلية التى صاغها الصـولى فى أوزان سهلة وبألفاظ تسيل رقة وعذوبة تلك المقطوعة التى صور فيهـا لوعة الحب وأنين الصد ، وما يكابده العاشق فى ليله ونهاره من الأرق، والشجن حتى لقد ذابت نفسه من ضنى جسده .. يقول(١) :

اذا شـكوت هواه قال : ما صدقا
وشـاهد الدمـع فى خدى قـد نطقا

ونار قلبى فى الاحشـاء ملهبة
لولا تشـاغلها بالجسم لاحترقا

يا راقد العين لا تدرى بمـا لقيت
عين تكابد فيـك الدمع والأرقا

يكاد شخصى يخفى من ضنى جسدى
كأن سـقمى من عينيك قـد سرقا

(١) تاريخ بغداد ٣/٤٣٠ .

ولا شك أن للصولى قصائد فى الغزل ، والدليل على ذلك ، تلك القصيدة التى أوردها له البغدادى (١) ، غير أننا لم نعثر على قصائد كاملة سواها ، ولقد نظمها الصولى فى لغة سهلة خفيفة ، يصور فيها الوجد والحرمان وتعب المحب وأرقه بعد أن خانه الصبر ، وجف نبع الحب ٠٠ يقول فيها :

شكى اليك ما وجد من خانه فيك الجلد
لهفان ان شئت اشتكى ظمآن ان شئت ورد
صب اذا رام الكرى نبهه لذع الكمد
يا أيها الظبى الذى تصرع عيناه الأسد
أما لأسراك فدى أما لقتلاك قود ؟

وأهم ما يتميز به غزل الصولى أنه غزل فى المجهول ٠٠ فى المطلق ، وهو دائما يلجأ فيه الى التلميح دون التصريح ، ولا يذكر فيه أسماء ، ولا يتحدث عن المتعة ، بل يصور المعاناة والحرمان ، ويصدر عن عاطفة جياشة أقصى مناها الوفاء والرضاء ٠ وخير مثل لذلك قوله (٢) :

لا أسميك خيفة بل أعدى
عنك طرفا دموعه فيك سكب
وعددت الهوى على ذنوبا
ان يكن ذا فحسن وجهك ذنب
أيمر الزمان صفحا علينا
لم ينل طائل ولم يقض نحب

وهو غزل يدل على السمو بالعواطف الانسانية ، ويبتعد عن

---

(١) تاريخ بغداد ٣/٤٣٠

(٢) أخبار الراضى ص ٢٧ ٠

الفحش والجنس ، ونرى فيه التمسك بالطهر والعفاف ، والخوف من الاساءة الى المحبوبة أو سمعتها ٠٠ من مثل قوله(١) :

أسرك يا منـــاى ولا أســوك
وأنفى بالهـــوى عرض الشكوك

وأحميــك الذى تخشين منه
كمــا يحميــك من عار أخوك

كمــا أنه غزل ـ كله ـ من النـــوع المألوف ٠٠ فلم يتغزل الصولى اطلاقا بالمذكر ، ولم نجد عنده أى نزعات شاذة أو حديث عن الغلمان ٠٠

واذا كان هذا هو غزل الصولى ، وهــذه هى عواطفه مفتوحة أمامنا ٠٠ فهل معنى ذلك أن الصـــولى عاش تجربة عاطفية ، أو كانت له علاقات نسائية ؟ وهل كان هذا الشعر تصويرا لهذا الحب وتنفيسا لتصاريفه ؟ ٠٠ فى الحقيقة ٠٠ لم تحدثنا المصـــادر القديمة ، ولم يتحدث هو عن شىء من هــذا ، بل ان الصولى كان يرفض أن يلبى نداء الحب ، أو الانسياق وراء انسانة قد تلعب به وبقلبه ، وكان يصرح أنه يحب الخليفة فهو أولى بهــذا الحب ، ويقدم له المدائح التى بهـــا هام وشـــغل قلبه ، وليس بالنساء الفاتنات ٠٠ يقول(٢) :

بذى هـــام قلب لا بخريدة بهـــا
يميس ، بها غصن رطيب على دعص

صليبة عزم القلب ، كالصخر قلبها
على أنه يكتن فى جسد رخص

(١) أخبار الراضى ص ٧٩ ٠
(٢) أخبار الراضى ص ٢٧ ٠

وأغلب الظن أن الصولى كان يتغزل مجاراة وتصنعا ، حتى لا يفوته فن من الفنون دون أن يشارك فيه ، فكان يقدم لمدائحه بمقدمات غزلية مجاراة للشعراء الكبار ، حتى يثبت وجوده بينهم ، ولا يحيد عما تواضعوا عليه • ولقد كان يصنع هذا الغزل صناعة، ويجهد نفسه فيه ، وهو نفسه يعترف بذلك فيقول (١) : « ان تشبيبى هذا جهدت نفسى فيه » كما يصنع آحيانا بعض الابيات فى الغزل ليبارى بها أبيات شاعر آخر وينافسه فى جمال المعنى ، كما رأيناً ذلك من قبل فى حديثنا عن منادماته •

وخلاصة القول : ان غزل الصولى كان ساميا عفيفا ، وهو غزل فى المجهول والمطلق ، ابتعد فيه عن الفحش والمعانى الصريحة، والغزل الشاذ ، وصور فيه المعاناه والتباريح والاشجان ، ورسم درجات الحرمان ، صبه فى ألفاظ رقيقة مرة ، وجزلة مرة أخرى ، حسب معانيه ، وجعله مقدمات لقصائده فى مدح الخلفاء والوزراء • وأيضا مقطعات نظمها تصويرا لمشاعر وأحاسيس الناس ونوازعهم، فصور العواطف الانسانية أجمل تصوير •

٣ ـ الفخر

أما الفخر ، فللصولى فيه قطع متوهجة •• وهو فخر هادىء لا يصدر عن عصبية ولا جنسية ، وانما يصور شعورا فياضا بالخلق الكريم ، والشيم الرفيعة ، والاحساس بالمكانة الادبية والدينية والاجتماعية ، فهو لا يفاخر بنسبه وحسبه ـ وهو ابن ملوك وأمراء ـ بل يفاخر بأشياء أخرى أعمق وأقوى ، وأدعى للفخر وأصوله •

ففى مديحته البائية للراضى بالله ، نراه يفاخر بمساندة

---

(١) أخبار الراضى ص ٤٧

أهله وقومه للدعوة العباسية ، ومحاربتهم فى صفوف العباسيين حتى كتب الله لهم النصر على الامويين فى معارك طاحنة ، دونت أخبارها فى سجلات التاريخ . يقول (١) :

واننا نقباء شاع نصرهم
نلقى أعاديكم فى الحرب بالحرب

ويوم مروان (٢) أفردنا بمشهده
والفخر فيه بنصر السادة النجب

مقالة تورد الأخبار صحتها
موجودة فى روايات وفى كتب

ويفخر الصولى أيضا بمجالسته للخلفاء واتصاله بالامراء والوزراء ، والقادة وغيرهم ، يفخر بذلك مخاطبا منافسيه(٣) :

أين من جالس الخلائف قبلى
وافر حين تستخف الحلوم

طائرى ساكن وفكرى عزوف
عن فضول المنى ولحظى سليم

وكلامى قدر الكفاية الا
شرح علم وجانبى مستقيم

ومن بواعث الفخر كذلك عنده ، فخره بطهارته وارتفاعه بنفسه عن الدنايا ، فهو يرى أن العلم كفيل بأن يهذب النفوس ويطهرها ، ويرتفع بها عن الأغراض الدنيئة ، وبالنسبة له ، فان

---

(١) اخبار الراضى ١٥١ .
(٢) مروان : هو آخر خلفاء بنى أمية الذى شهد سقوط الدولة الأموية .
(٣) أخبار الراضى ٩١ .

صلته بالخلفاء ومجالستهم تحتم عليه أن يبتعد عن كل مايشوب المرء ، ويسيء الى سمعته يقول (١) :

أترانى أخللت بالعلم حتى
شد مني التحليل والتحريم

لو رمى بى الزمان عزا تليدا
لم يرضنى الذكاء والتعليم

أتظن الندام ترضى بهذا
لا ـ ومحيى العظام وهى رميم

ومن تتمة هذا الفخر عنده ، كثرة حديثه عن شعره ، وفخره بمقدرته الفنية على نظم الروائع ، وسيطرته على قوافيه وتطبيعه لأوزانه ، حتى لقد عجز عن مجاراته شعراء عصره . يقول للخليفة الراضى (٢) :

لك عبد كساك فاخر مدح
رائق لبسه لباس الخزوز

من قواف على سواه صعاب
سبق الجرى ظاهرات البروز

خطرت نحوك القوافى بمدح
غير مستهجن ولا مكروز

بين صاد وبين ضاد وسين
ثم زاى مبينة التبريز

---

(١) أخبار الراضى ص ٣١ .
(٢) أخبار الراضى بالله ٣١ .

سائل الطبع مشرق اللفظ سهل

ماتغشيه ظلمة التكزيز

فائض ماؤه يجيء مطيعا

غير مستجلب ولا منحوز

من يرم نسج مثله تختطفه

لامعات من ذلك التطريز

يرجع الشعر عنه حين يساميه

ـه بأنف مجدع محزوز

ويقول فى قصيدة أخرى (١) : انه يحوك من القصائد ما يتناسب مع جلالته ومكانته .. وهى قصائد ليست عادية ، بل انها منمقة مزخرفة موشاة بزخارف المعانى والالفاظ ، حتى لتفضل الثياب المطرزة الموشاة باللآلىء والذهب .

أحوك من القصائد وشى مدح

تفضله على الوشى المحوك

ويقول فى قصيدة ثالثة (٢) .. ان مدائحى لم يقل مثلها ، ولا تفضلها أية مدائح أخرى ، من حيث صدق تعبيرها وقوة بيانها . فالنابغة فى أعمق عواطفه وانفعالاته ، وخشيته من النعمان ، لم تزد مدائحه فيه ، عن مدائحى فيك .. وليس هذا فحسب ، بل ان جريرا فى أوج تأثره وحنينه لم ينظم مثلها وهو يتذكر ربعه القديم المأنوس ..

---

(١) أخبار الراضى ٧٩ .

(٢) المرجع نفسه ٢١ .

مدح لم يـزد عليهـا زيـاد
وهو خاش ردى أبى قابـوس

لا ولا حـاك مثلهن جـريـر
عنـد ايحاش ربعـه المأنوس

فهو يشير هنا الى مبلغ الصدق العاطفى ، وقوة التعبير الواضحة فى شعر الشاعرين ، ظهـرا عند النابغـة فى مدائحه واعتذاراته للنعمان ، وظهرا عند جرير فى حنينه للأيام الخوالى ، وموطن الأهل والأحبة بين أحضان ربعه القديم ٠

والصولى لايفخر بمقدرته الشعرية ولا بقدرته على التعبير والنظم واتيان الجديد فحسب ، بل انه يتعرض لغيره من الشعراء المادحين ويلمزهم لمزا .. فبينما هو سـائل الطبع ، مشرق اللفظ سهل ، لا يعيبه جمود ولا ركاكة ، يراهم دخلاء على الشعر ، مقلدين للشـعراء السابقين ، مقتبسين معانيهم بل وألفـاظهم وصورهم ٠ وانهم محرومو الطبع ، وشعرهم ليس عن موهبـة أو ثقافة ، يقول (١) :

جزت فيـه ميدان قوم أراهم
شـعراء بالحظ والتجـويز

يستميزون لفظ غيرهـم فيـ
ـه غـلابا كغـارة التكليز

بقواف مدوسـة ومعـان
مخلقـات ومنطق مرمـوز

حرموا الطبع صاغرين فساروا
من طريـق اليه غـير مجـوز

(١) أخبار الراضى ٣١ ٠

وتزداد حدة الفخر عنده فنراه يحكم الراضي – وهو شاعر عليم بفن الشعر وقائليه ، قادر على تمييزه وتقييمه ، ومعرفة غثه من سمينه ، نراه يحكمه بينه وبين من نظموا الشعر وأنشدوه ، يحكمه بين مدائحه ومدائح الآخرين ، بل يطلب أن تكون له منحهم وجوائزهم ، فهم مقلدون له ، تابعون لمعانيه ، سارقون لها ، وليست لديهم موهبة ولا شاعرية . يقول(١) :

أنت أدرى بالشعر من قائليه
فاقض فيه بالحزم والتعجيز

وكذا العلم بالمحرك والسا
كن فى نحوهم وبالمهموز

ليس الا الذى يضمهم المجـ
لس للانتحال والتمييز

فأجزنى بقدر علمك بالأشـ
عار يا خير منعم ومجيز

هذا هو فخر الصولى ، فخر بمناصرة أهله للدعوة العباسية ، وفخر بمجالسة الخلفاء وبمكانته لديهم ، وفخر بالعلم والثقافة والدين ، وسمو بالنفس عن الدنايا ، ثم فخر بمقدرته الشعرية والأدبية . فالصولى يجعل من هذه العناصر نواة يدور حولها فى هذا الفخر ، وبذلك اختلف عن غيره من الشعراء الذين كانوا يفخرون بعصبيتهم وشجاعتهم وقبائلهم على نحو ما نرى عند الشعراء القدامى والمحدثين .

ولقد اتبعه المتنبى فى الفخر بشعره .. وفى طلب الجزاء

---

(١) المصدر نفسه .

والعطايا لنفسه على مدائح الآخرين ، لأنهم فى الحقيقة تابعون له سارقون لأخيلته وصوره ومعانيه ، فنراه ينتهج نهج الصولى ، ويتناول فكرته فيقول لسيف الدولة الحمدانى :

أجزنى اذا أنشدت شعرا فانما
بشعرى أتاك المادحون مرددا

ودع كل صوت غير صوتى فاننى
أنا الصائح المحكى والآخر الصدى

واذا كان الفخر عادة يرتبط بالغرور والخيلاء ، فان حدته تخف عند الصولى ، لأن الخلفاء يعرفونه ويجلون قدره قبل غيرهم .. ومن هنا كان فخره غير مبالغ فيه ، بل مجليا لبعض النواحى الغامضة والخافية فى حياته ، قبل أن يكون زهوا وغرورا .

٤ ــ الرثاء

وفن الرثاء من الفنون التى تنافس الشعراء فيها ؛ واستحدثوا فيه كثيرا من المعانى ؛ فتناولوا مشكلة الحياة والموت ، وصوروا الحزن والأسى ، وأحاسيسهما تصويرا بديعا على نحو ما يلقانا عند كثير من الشعراء المحدثين مثل أبى العتاهية والبحترى وغيرهما .

ولا شك أن معانى الرثاء قد تنوعت وتطورت عند العباسيين نتيجة لحضارتهم وقدرتهم على تحليل خواطرهم وأشجانهم ، فاستطاع بعض الشعراء أن يخترعوا كثيرا من المعانى الدقيقة والأخيلة الطريفة ؛ فلاءموا فى مراثيهم بين من يرثون وبين المعانى التى يصوغونها فيهم .

واذا نظرنا الى مرثية الصولى فى هارون بن المقتدر - وهى المرثية الوحيدة التى وصلت الينا من شعر الصولى - نجده قد واءم بين معانى الرثاء ، والقيم الروحية ، وصفات هارون ونسبته الى البيت النبوى الشريف ؛ كما واءم بين موضوع القصيدة وبين ألفاظه وأوزانه وصوره وأخليته .

ففى فاتحتها يقدم الصولى للخليفة الراضى أخلص العزاء ، ويقول له تعز عن أخ كريم مخلص ، دائم الولاء والوفاء ؛ ويربط بين موت هارون وموت النبى عليه السلام ؛ فيقول : ان الموت نهاية المطاف ، وهو حق على كل انسان حتى على الأنبياء والمرسلين ، فلا بد للروح أن تعود الى بارئها ؛ فاذا كان هارون قد مات اليوم .. فان نبى الهدى قد سبقه ، وهو حبيب الله المؤيد بالوحى والتنزيل والروح القدس ؛ يقول (١) :

تعز يا خير الورى عن أخ
لم يشب الاخلاص باللبس

تعز عنه بنبى الهدى
محمد أدخل فى الرمس

وهو حبيب الله فى أرضه
مؤيدا بالوحى والقدس

ويقول (٢) : ان موته كان قضاء الله ، ولا راد لقضاء الله ؛ وانما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون .. فان الدهر اختاره تنفيذا لارادة الذات الالهية ، فاختطفه الموت فجأة دون انذار أو تذكير :

---

(١) أخبار الراضى ٧٢ .
(٢) المصدر نفسه .

قد أنذر الدهر تصاريفه
بألسن ناطقة خرس

يخبرنا عن موته كونه
بغير اذكار ولا حدس

ويشير الصولى الى الصلة القوية بين هارون والخليفة الراضي، فيقول انه كان أخا كريما يجمعهما الود والمحبة والألفة ؛ وسميرا له وملازما فى مجالس العلم والأدب ، ويصفهما بأنهما كانا كنفس واحدة تربطهما صلة الدم والانتساب الى الفرع الذكى ؛ الذى يتصل بسيد المرسلين ؛ وخاتم النبيين ، ثم يصف هرون بأنه كان فى السؤدد ذا همة عالية ونفس أبية وعلى خلق عظيم .. فيقول :

كان نسيبا لامام الهدى
بالود والألفة والأنس

ونسبة الجسم شتات اذا
لم تتألف نسبة النفس

وكان فرعا ذاكيا غصنه
مهذبا من خير ما غرس

وكان فى السؤدد ذا همة
وكان فى النعمة ذا غمس

ويتلهف الصولى على هارون تلميذه وأخى الخليفة ، يتلهف عليه قائلا : ان اللهفة واللوعة عليه لقليلة ؛ وهل يعود الزمان بما ولى ؟ وهل ترجع الحياة بما سلبت ؟ يتلهف عليه ، ويذكر خصاله الحميدة ، وأخلاقه الكريمة ؛ ويربط بين موته الآن وموت آبائه

الأقدمين ، الصديقين والأبرار ويصفهم بأنهم شموس الورى ، ونور الحق المبين .. يقول :

لهفى عليه وقليل له
لهفى ، وهل يرجع لى أمسى

لهفى على منتخب حلمه
أرجح من رضوى ومن قدس

وأين الألى كانوا شموس الورى
ليوث حرب غير ما شمس

ويضمن الصولى مرثيته لهارون ـ بعض زهدياته ؛ التى تجلى بوضوح نفسيته ، وعميق تأثره بالدين الاسلامى ؛ فنراه يقول .. ان الحياة فانية ؛ ولا يبقى غير وجه الله ، وأن الأيام من المحال أن تدوم على حال ، فهى دائما متقلبة ، ان هى أعطت للمرء السعادة يوما ، سلبته اياها أياما ، وان هى منت عليه بساعة صفو وهناءة أعقبتها بساعات كدر وعناء ، تعقب الفرح بالحزن والعرس بالمأتم ؛ ويتبدل فيها حال المرء من سعادة الى شقاء ، كما يعقب النور الظلام .. يقول :

حوادث الأيام شقاقة
تقرب المأتم بالعرس

يعتقب المرء بها حاله
بوطئه الحزن الى الوعس

من عز بالدنيا هفا قلبه
وعاد منه النور ذا طمس

وبعد هذه المقدمة التى أفاض فيها الصولى ، يضع النتيجة :

وهى أن الموت آت لا محالة ، ان لم يكن فجأة فنتيجة لمعاناة أمراض وأسقام ؛ ولا راد ولا عاصم منه ؛ فكل نفس ذائقة الموت ...

منيــة ان لــم تفــاج الفتى
كــانت له بالســـقم ذات مس

ويرتبط الرثاء عند الصولى - بالاضافة الى الزهد - بعناصر أخرى مثل التأمل فى الحياة ؛ فنرى الصولى يتحدث عن الدهر وما اكتسبه منه ، ويضمن مرثيته بعض تأملاته ونظراته فى الحياة، فيخرج لنا هذه الصور الجميلة ، والرؤى الجديدة ، فيتحدث عن الأيام ، وكيف تلعب بالانسان ، قد ترضع بالانعام شخصا عزيزا فى قومه ؛ ثم سرعان ما تقلب له وجهها ، فيفطم بالشقاء والبؤس ، وانها دائما تتبع نعمها بضررها ، وتعقب الصحة بالمرض ، والانسان دائما تعب فيها ؛ لا يستريح الا بالموت حيث الراحة الأبدية ؛ لأنه يخــدع نفســـه بالأمانى الرطاب ، وهو لايدرى أن الموت من فوقه محلق .. يقول :

تلعب بالمـــرء الليـــالى كمـــا
قـــد تلعب الأقـــلام بالنقس

ترضـــع بالأنعام ذا عـــزة
يفطم بالبـؤس والتعس

تتبع نعمـــاها ببأسائها
ويعقب الصـــحة بالنـكس

فالحـــر فيهـــا أبدا حائـــر
من ســـومها الغالى على مكس

يتعب فيهـــا أبـــدا جســـمه
وانمـــا الراحة كـــالخلس

يخــدع فيهــا بالمنى نفســه
ووافــد المــوت به مرسى

ينسى الذى يأتى به صروفهــا
والأمــل الغــرار قــد ينسى

تلبسه فى طمع غفـــلة
بالمطعــم الملذوذ والملبس

ومن الملاحظ أن الصولى ضمن هذه التأملات صورا بنزعة زاهدة تدعو الى رفض الحياة ، والتحرر من شــهواتها وقيودها الزائفة ؛ ومناظرها الخلابة حتى لا يكون المرء عبدا لها ، فتغريه مطامع المأكل والملبس والمشرب ، ونحس فى هـــذه الأبيـــات تصـــويرا لأدق الأحاسيس واستنباطا لخبيئات المعانى ؛ ونرى الصولى يجسم الصور فيها تجسيما واضحا ، فالفكر عنده يلتحم بشعوره ، وتلتحم عاطفته بخياله الشعرى .

ولقد كانت مرثية الصولى هذه لهارون بن المقتدر ــ مثلا حيا وصورة رائعة لفن الرثاء عنده .

ومن المسلم به حقا ــ أن عناصر هذه المرثية قد تدوولت ؛ وتناولها شعراء سابقون ، ولكن معانى الصولى وعناصره كانت من التركيز والقوة ما تنم عن صدق الرثاء وقوته ؛ خاصة وقد كان هارون تلميذا له ، فحينما رثاه الصولى ، فكأنما كان يرثى ابنا له عزيزا عليه ، فجاء رثاؤه صادقا معبرا حيا ، وجاءت ألفاظه مناسبة لموضوعها . وقد اختار الصولى لقافيتها حرف السين الذى يتناسب مع جرس الحزن . وكأنها ناقوس يدق لكى يفيق الناس من غفلتهم ، وجاءت عناصرها متصلة يكمل بعضها بعضا .

ولقد نظم الصولى مرثيته هذه سنة ٣٢٤ هـ ــ أى بعد أن

ناهز السبعين ، فكان كلامه عن الأيام والدهر كلام مجرب ؛ عركته الحياة ؛ وصقلته التجارب ؛ وأرضعته العبر ؛ وكلامه عن الزهد كلام امرىء زاهد فعلا فيها ، بعد أن ذاق خيرها ، وقاسى شرها ، وعرف نهاية مطاف كل كائن حى ، فمصيره التراب لا محالة ؛ لا فرق بين غنى وفقير ، أو أمير وحقير .

ولقد جعل الصولى مرثيته كلها مواساة ولهفة وشجنا ولوعة ، ثم زهدا فى الحياة ومظاهرها وتأملات فى الأيام ، نظمها للراضى وحده ، وأنشدها له وحده منفردا ؛ وكان يرثى بها تلميذه .. ويبكى فيه رجلا عالما ينتمى الى الأسرة النبوية الشريفة ... كل ذلك طبع رثاء الصولى بطابع الصدق العاطفى ، فكانت مصورة لأجل المعانى الانسانية .

٥ ـ الرسائل الشعرية

ومن الطرائف التى تناولها الصولى فى شعره « الرسائل الشعرية » ؛ فكان يتبادل الرسائل مع الخليفة الراضى فى المناسبات المختلفة ؛ ولقد كان الراضى شاعرا ، تتلمذ على يدى الصولى ، وتعلم منه نظم الشعر وقوله ؛ فى تلك المناظرات التى كانت تقام بينهما ، ويحاول الراضى فيها مجاراته والتعلم منه وتقليده . فكان الراضى يكتب الى الصولى الرسائل الشعرية ، فى بعض المناسبات .. مثل الاستفسار عن صحته أو السؤال عن تغيبه ؛ فيبعث الصولى رده على هذه الرسائل الشعرية برسائل مماثلة من نفس الوزن والقافية .

يقول الصولى انه مرض يوما ، وكان الراضى لا يزال أميرا ـ فتأخر عن الذهاب اليه ، فكتب الراضى رقعة يقول فيها (١) :

(١) أخبار الراضى ٦٠ ، ٦١ .

يا عليلا جعل السا
عة اذ غاب شهورا

ولقد كان به الـ
دهر اذ جاء قصيرا

لعلوم لا أرى الـ
دهر له فيها نظيرا

صرف الله الأذى
عنك ولقاك سرورا

فكتبت الجواب :

يا أميرا ما رأينا
مثله فضلا أميرا

يا أبا العباس يا شمـ
ـسا ويا بدرا منيرا

يا كبير العقل والـ
آداب مذ كان صغيرا

قد أتى عبدك شعر
منك خلاه حسيرا

بعد سبق من خطار الـ
شعر من كان خطيرا

حسن اللفظ يحاكي
رصفه الدر النثيرا

ملأ الجسم شفاء
وحشا القلب سرورا

وكتب الصولى الى الراضى يوما رقعة يعتذر فيها عن الحضور نتيجة لعلة طارئة ألمت به ، فكتب الراضى اليه يقول (١) :

وصلت رقعة فأوصلت الوحـ
شة لما أتت بشكوى الأنيس

بدل القرب بالبعـاد فبدلـ
ت بيوم السرور يوم عبوس

فكتب الصولى الجواب فقال على نفس الوزن والقافية :

وصلت رقعـة الأمير الرئيس
غرة الدهـر والخطير القيس

فأزالت ما كنت أشكو وأهدت
لى نعيما واذهبت كل بوس

وأتى الشعر مبرئا وشـفاء
وأنيسـا يفـوق كل أنيس

حسـن اللفظ مطربا كل من يسـ
مع أطراب زابدت الكئـوس

قد جلاه الطبع المغـات بحذق
لعقول الورى جـلاء العروس

وموضوع الرسائل الشعرية أحـد الأغراض التى استحدثتها العقلية العباسية المتطورة فى الشـعر العربى ، فلم تحـدثنا المصادر الأدبية القديمة عن وجود هذا الفن عند الشعراء القدامى ، بل لعل هذا النوع من الفن وجد وانتشر فى العصر العباسى ، فقد

(١) أخبار الراضى ٥٨ ومابعدها .

رأينا نماذج منه عند بشار بن برد زعيم المحدثين ، وأول المجددين حيث قدم لنا بعض الرسائل الشعرية العاطفية التي كان يكتبها تفكها واستعراضا لفنه ومقدرته الشعرية على تطويع أغراض الشعر تبعا لميوله وأغراضه ، واثباتا انه استحدث أساليب جديدة ، غير التي ورثها عن الأقدمين ·· من ذلك قوله :

من المشهور بالحب
الى قاسية القلب
سلام الله ذى العرش
على وجهك يا حبى
فأما بعد يا قر
ة عينى ومنى قلبى
ويا نفسى التى تسك
ن بين الجنب والجنب

أما الجديد فيما بين الصولى والراضى من رسائل ، أن هذه الرسائل المتبادلة كانت تكتب لتكمل احداها الأخرى ، تكتب بنفس الوزن والقافية ، ويظهر فيها رد الثانية على الأولى ·

ولعل هذا الفن ــ فن المراسلات ــ كان مرتبطا بفن النقائض الشعرية التى وجدت وشاعت وبلغت ذروة فنيتها فى العصر الأموى عند جرير والفرزدق والأخطل حيث كان الشاعر يبعث بنقيضته (١) الى الشاعر الآخر فى مكانه وسيدانه ، ثم تتلى هذه النقيضة على مجتمع من الناس بوجود الشاعر فيعرف محتواها ، ثم ينظم نقيضة أخرى ليرد على النقيضة المرسلة اليه ، يكتبها بنفس الوزن والقافية ، ويضمنها الرد على العناصر الأساسية التى وردت

---

(١) التطور والتجديد فى الشعر الأموى ـ للدكتور شوقى ضيف ص ٢٠١ ومابعدها ·

فى نقيضة الشاعر الآخر . ولكن هذه النقائض المتبادلة كانت ترتبط أساسا بفن الهجاء عند الشعراء الأمويين .. أما أن يكتب شاعر قصيدة أو أبيات ، ثم يرد عليها شاعر آخر برسالة أو قصيدة بنفس الوزن والقافية مثلما وجدنا عند الراضى والصولى ، فهذا لم يكن موجودا عند كثير من الشعراء .

ومن الطريف فى هذه الرسائل - التى تبادلها الراضى والصولى معا - أنها كانت تنظم فى لغة سهلة ، وأوزان خفيفة ، وبمعان طريفة ، ولم يكن المقصود منها اظهار براعة أو شاعرية بقدر ما كانت لفتة كريمة تربط بين التلميذ وأستاذه ، أو بين الأستاذ وتلميذه ، تلك اللفتة كانت تظهر مدى الترابط الذى يربط كليهما برباط العلم والأدب والمعرفة ، وأيضا برباط المودة والمحبة والوفاء .. فاذا غاب الأستاذ سأل عنه التلميذ ، اعترافا بفضله ومكانته ، وتقديرا لعلمه وأدبه .

وكان من الممكن أن تكون هذه الرسائل نثرية - كما يفعل الآخرون - ولعل ذلك كان أسهل وأقدر على التعبير ، ولكن كان المقصود بها الى جانب الطرافة والتسلية .. محاولة التجديد ، وتنشيط الذهن على النظم وتغيير العرف المتبع فى كتابة الرسائل ، كما كان المقصود بها تمرين العقل وتدريب الخاطر .

٦ - الحكمة :

ومن أبرز خصائص الصولى - فى شعره - على الاطلاق ، نثر الحكمة بين ثنايا شعره .. فهو دائما ينتقل من المجال الذاتى حيث يتحدث عن نفسه وعاطفته ، الى المجال الغيرى حيث يمدح الخلفاء والوزراء .. ثم ينتقل الى مجال ثالث هو المجال الانسانى ، فيتناول الحكمة ..

فالصولى رجل عركته الحياة وعرفته ، وله معهـا جولات وجولات ، عرف خباياها وأسرارها ، وذاق حلوها ومرها ، وكانت له فيها ذكريات طالما رددها في أعماقه ، هزت نفسه وكيانه، ذكريات تحوى الأفراح والأتراح . كل ذلك طبع شعره بمسحة معينة ، فكان بين الحين والحين ينشر حكمته ، يطعم بهـا قصائده ، فيحكى ما خبره من الدهر والأيام ، مصورا تجاربه الانسانية ، فمن حكمه البليغة التى ضمنها شعره ، واستقاها من الزمن ، تلك التى ينصح بها المرء فيقول : خذ ما صفا لك من الزمان ، وما شاء لك حظك من السعادة ، فان هذا الصفاء لن يدوم ولحظات السعادة قصيرة ، والزمان عادة يجور ، وسرعان ما يعقب الصفاء الكدر فاستفد من صفوك قبل كدرك ، واصبر على ما بلاك به الزمان اذا ولت منك النعم ؛ فالزمان الذى أقرضك وأعطاك ، لا بد أن يسترد ما أقرض؛ ولا بد أن تلقى ما كتبته لك المقادير .. فكل شىء خلق بقدر ، ولن تستطيع أن تغير منه شيئا ..

خذ من زمانك ما صفا لك قلما
يغنيك غمك بالتكدر اذ مضى
واصبر على غرق بنعمى نلتها
ان الزمان لمقتض ما أقرضا
فهويت فى لج علاك عبابه
لابد أن نلقى الذى لك قيضا
ان قمت فيه لم تطله لغزره
ورأيت تحت الرجل منه مدحضا
وتسرعت منه اليك حجارة
تذر الصحيح من العظام مرضضا(١)

---

(١) أخبار الراضى ص ١٢٤ ومابعدها .

والانسان اذا لم ينل كل ما يشتهيه فى دنياه ، واذا لم يتحقق له كل ما يرجوه ، وما يتمناه ، فهذا أيضا قدر من عند الله ، فيجب أن يقتنع به ، ويخضع له ، ويرضى بما آتاه ـ مهما كان قليلا ـ لأن هذا هو ما قسم الله له به ٠

اذا لم يكن كل الذى يشتهى الفتى
ففى الرأى أن يرضى ويقنع بالشقص

ولست كمن يمضى على الظن حكمه
ويجعل اسناد الرجال الى حص

ولابد للانسان من أن يتعلم من الحياة ، حتى لا تخدعه الحياة ، لأن من يتعامل مع الأيام بلا خبرة سابقة أو معرفة بأحوالها وصروفها ، تصرعه ٠٠ حتى لقد تفقده كل شىء ٠ فتتحول مكاسبه الى خسائر ٠٠

من تاجر الدهر بلا صرفه
فصار من ربح الى وكس

فأسلم الكل فلا بأس أن
يرزأ فى السدس وفى الخمس

وينصح الصولى المرء فيقول : لا تطلق لنفسك العنان ، ولا تشقها فى السعى من أجل طلب المال أو الجاه ، فالكسب أو الجاه ليس بالسعى والجرى فقط ، ولكنه قدر أيضا من عند الرزاق ، فقد يرزق من لم يسع وراء المال مالا وفيرا ، وقد يحرم منه من أنفق جهده وعمره فى سبيله ، فالله وحده هو المسير للكون ، هو الوهاب ٠٠ مالك الملك ، يؤتى الملك من يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء ، يعز من يشاء ، ويذل من يشاء ، بيده الخير ، انه على كل شىء قدير ٠٠ يقول :

أفضل عنانك لا تجمح به طلبـــا
فلا وعيشـــك ما الأرزاق بالطلب

قد يرزق المرء لم تتعب رواحـــله
ويحرم الرزق من لم يؤت من تعب

ويختم الصولى نصائحه الحكيمة بحكمة خبرها من الأيام ..

أقول قول امرىء صـــحت قريحته
مازال فى الـدهر ذا كدح وذا دأب

سبحان من جعل الآداب فى عصب
حظـــا وصيرها غيظا على عصـــب

هذه هى أهم أغراض الشعر عند الصولى . وهو اذا كان قد مدح ورثى ، وتغزل وفاخر وكتب الرسائل الشعرية ، وتحدث عن نفسه ، ونثر الحكمة بين ثنايا شعره ، فانه لم يكن فى حاجة الى أغراض الشعر الأخرى كالهجاء ، يتناوله قط . وكان مذهبه فى شعره عموما لا ينقطع عن الشعر المتداول الموروث ، بل ان شعره يقوم على الموازنة الدقيقة بين عناصر الشـــعر العربى التقليدية . وعناصره التجديدية التى اخترعت نتيجـــة للحضارة والثقـــافة المعاصرة ، وهذه الطريقة كانت أشبه بمنهج عـــام ، نهجه معظم الشعراء المحدثين حيث طوروا شعرهم تطويرا يربط بين الماضى والحاضر ، فوصلوا أول الشـــعر بعصرهم ، ووصـــلوا بين ماضى الشعر القديم المتوارث ، وحاضر الشعر المتطور المحدث .

خصائصه الفنية فى الشعر

تآزرت عوامل كثيرة لكى ينهض الصولى بشعره ، ويصل به الى مستوى كبار الشعراء المعاصرين . من هذه العوامل .. ثقافة عربية أصيلة بفروع الأدب المختلفة وبخاصة بالشعر الموروث من

عصر الجاهليين الى عصره .. وثقافة أجنبيـــة عاصرها وعاش فى رحابها وتغذى من خيراتها .. ثم اطلاع واسع على مختلف العلوم الدينية والدنيوية وأغراضها ..

وانعكست هذه العوامل مجتمعة على شـــعره ، وساعدته فى النهوض بفنه نهضة واسعة ، ظهرت فى مجاراته لتيـــار عصره السائد ، من حيث اســـتخدام فنون البديع من جنـــاس وطباق ومشاكلة وتصويرات مختلفة ، والعناية بأساليبه وأفكاره ومعانيه ، فاستطاع أن ينفذ بها جميعـــا الى أسلوب ناصع جزل يتصـــل برونق الشعر القديم وقوته وصياغته وتراكيبه ، ومضى يوائم فى دقة وبراعة بين فنون البديع من جهة ، وبين معانيه وأفكاره من جهة أخري ، تمده فى ذلك ـ كمـا رأينا ـ ثقـافة موســوعية عريضة .

لون الصوفى شعره بألوان زاهية متنـــوعة من المحسنات البديعية من جناس وطبق ومقابلة وغير ذلك .. فمن الجناس قوله فى مدح الوزير أبى الوفاء :

عضد الاله أبا الوفاء بنصره
عضد الخلافة ســـيد الأمراء

قد واصل النصر المتابع سيفه
كوصال حب كاره لجفـــاء

حيث جانس الصولى فى البيت الأول بين (عضد وعضد) والأولى بمعنى أيد ونصر ، والثانية بمعنى ســـند الخلافة وعمادها وحاميها الذى لا يقهر . وهو جناس غير تام .

وفى البيت الثانى جناس بين (واصـــل ووصال) والأولى

بمعنى استمر أو تابع ، والثانية بمعنى لقاء الأحية ، وهو جناس غير تام أيضا ، حيث اختلف فى ترتيب الحروف .

وقوله فى الغزل :

يا مذيقى غصـــــة الكمد
مشعلا للنار فى كـــبدى

حين أزمعت الرحيل ضحى
أزمعت روحى عن الجســـد

فنرى جناســـا بين (أزمعت وأزمعت) والأولى بمعنى نويت وابتدأت ، والثانية بمعنى انفصلت ..

وقوله فى المديح :

ملكت فملـــكت المنى كل راغب
فموردك الاحسان والحق مصـــدرك

حيث جانس فى البيت بين (ملكت وملكت) والأولى بمعنى صرت مالكا أى تملكت ، والثانية بمعنى وهبت وأنلت .

* أما **الطباق** .. فقد أكثر الصولى منه كثرة مفرطة ، حتى انه لقلما يخلو بيت فى قصائده منه فنراه مثلا فى قوله :

ضحكت به الأيام بعـد قطوبهـــا
وجلا الضياء به دجى الظلمـــاء

فصـــلوا السرور قضاء ما عاينتمو
بالأمس من هـــم ومن برحاء

فنرى طباقا فى البيت الأول بين (ضحكت وقطوبها) وبين

(الضياء والظلماء) وهما من طباق الايجاب ، فالضحك يناقضه القطوب والعبوس ، والضياء يناقضه الظلمة .

وفى البيت الثانى نرى طباقا بين (السرور والهم) فالسرور يناقضه الهم والحزن ، وهو من طباق الايجاب أيضا .
وفى قوله أيضا :

قل لخير النـــــاس كلهم
لا أحاشى فيـــه من أحـــد

الـــذى يرضى الالـــه به
مذهبـــا للغى بالرشـــد

نوبتى قـــد ذل جانبهـــا
ببيع منهـــا النوم بالســـهد

فنرى طباقا فى البيت الثانى بين (الغى والرشد) أى بين الغواية والرشاد .

وفى البيت الثالث بين (النوم والسهد) .

ومن أجمل ماجاء فى شعر الصولى من الطباق قوله فى مديحته للراضى :

عجبى له كيـف أوجب ذنبـــا
لم يكن عن تسلف واقتراض

ظـالم منصف ، سريـع بطىء
ســـابق ركضه بغير ارتكــاض

فتســـودت بالبياض وعـــد
ت به عن وصال بيض بضاض

فنرى طباقا فى البيت الثانى بين (ظالم ومنصف) وأيضـا

بين (سريع وبطيء) فالظلم يناقضه الانصاف .. والسريع يناقضه البطيء .

ومن المحسنات البديعية التى أكثر الصولى من استخدامها **المقابلة** .

من مثل قوله :

فالعيش ان كان هذا عن خبى رضا
والموت ان كان كل الموت عن غضب

فنرى مقابلة بين (العيش والموت) ، وبين (الرضا والغضب)، بل ان الشطر الأول يقابله الشطر الثانى .

وقوله :

وثقت بادبار النحوس عن الورى
واقبال سعد حين صار يدبرك

حيث ان ادبار النحوس يقابله اقبال السعد .

وقوله :

راجد بالعلوم وجد محب
راعه من يحب بالاعراض

نعم للولى منه حباه
ومنايا على العدو مواضى

فيقابل بين النعم التى ستنتظر الموالى ، وبين المنايا التى سينالها العدو .

المزج بين المحسنات البديعية :

والصولى كثيرا ما يحاكى أباتمام فى المزج بين المحسنات

البديعية مزجا واسعا معتمدا على ذكائه ومقدرته الفنية ، ولاشك أن اعجاب الصولى بأبى تمام ، واطلاعه على شعره ، ودراسته له ، كان له آثار كبيرة على شعره ، فتأثر به أيما تأثر ، فنرى أثر أبى تمام واضحا فى شعره ؛ وبخاصة فى المزج بين المحسنات ؛ على أن هذا الأثر لا يحجب شخصية الصولى ، أو يطغى على فنيته ، وانما هو تأثر بالمنهج والطريق . فمن أمثلة المزج بين المحسنات عند الصولى قوله :

يا حلي الزمان يازينة الأر
ض ورأس الملوك وابن الرءوس

ان نصحى وصدق ودى قديم
لم أشبه بالزور والتدليس

قبل أن يأكل الزمان شبابى
خالسا غرتى بشعر خليس

فنرى فى البيت الأول جمال التقسيم الى فقرات : يا حلي الزمان .. يازينة الأرض مستخدما أسلوب النداء ، كما نرى فيه جناسا جميلا بين (رأس الملوك) أى أعلاهم مكانة وأكبرهم منزلة و (ابن الرءوس) أى ابن السادة الاشراف من أقرباء النبى الكريم . ونرى فى البيت الثانى طباقا واضحا بين (صدق الود ، والزور) فالصدق يناقضه الغش والخداع . ونرى فى البيت الثالث سحر الاستعارة ، فيجعل الزمان وحشا مفترسا سيأكل شبابه . كما نجد جناسا بين « خالس وخليس » .

ويقول الصولى فى مديح وزير الراضى :

أيد الله ملكه بوزير
عالم بالزمان طب رئيس

ظمىء الملك قبله فسقاه
رية من زلال نصح مسوس

فنراه يكنى عن ضعف الخلافة بظمئها . فالملك كان متعطشا قبل أن يجىء الوزير ، فرواه وسقاه من آرائه السديدة ، ونصحه وسياسته ما أطفأ ظمأه وروى غلته .

* التصوير :

وتكثر الصور والأخيلة فى شعر الصولى ، وكان يستعين بمخيلة بارعة استطاع بها أن يلتقط صورا عدة ، تبرز فيها المعالم والقسمات ، يقول فى تصويره لمعركة :

فى كل يوم للأعادى وقعة
منه تبيدهم وسيف فناء

فتراهم لما رأوه مقبلا
كالشاء ينفر من أسود ضراء

صرعى وقتلى والذى فات الردى
منهم حليف الذل فى الأسراء

نثرت سيوفك بالفضاء أكفهم
فكأنهم فيه حصى البطحاء

وعطفت خيلك خاطفا أرواحهم
من غير امهال ولا ابطاء

تلهو بأبطال الرجال شجاعة
لهو الملاعب فاز بالأهواء

صور الصولى أعداء الخلافة فى صورة شياه مذعورة فزعة حين رأت الأسود الضوارى ، وصور أبطالهم قتلى وصرعى .. أما الذين جبنوا عن مواصلة القتال وأسروا فصورهم أذلاء ، كما صور أكف الأعداء وقد بترت ونثرت على أرض المعركة ، وكأنها حصى

البطحاء ، أى الأعشاب الشوكية التى تنبت فى أرض الصحراء . وصور انعطاف الفرسان بخيولهم واطاحتهم برءوس الأعداء فى سرعة وكأنهم يحصدون أرواحهم ويخطفونها خطفا . ثم صور القائد ــ قائد جيوش الخلافة ــ يلهو بأبطال أعدائه كما يلهو الملاعب المنتصر بخصمه ، الذى تمكن منه ، وأصبح لا يملك لنفسه حولا ولا قوة ، دليلا على انتصاره الساحق على الأعداء ودحرهم .

ومن تصويرات الصولى الرائعة تلك الصورة التى قدمها لنا للأمير توزون الذى تولى الامارة فى عهد المتقى لله ، يقول فيها :

أبت الامارة أن تزوج غيره

من بعد ما خطبت أشد اباء

فصور الامارة فى صورة عروس مخطوبة ، ولكنها تأبى أن تتزوج غير حبيبها ؛ لأنها أحبته وهامت به ، وتعلقت بهواه ؛ وهى من فرط حبها لحبيبها رفضت من خطبت له ، وأبت الا أن تتزوجه هو لأنه كفء لها ، جدير بها ، كفيل باسعادها .

*** التجسيم :**

واذا كان الصولى قد نجح فى تقديم « ألبوم » من الصور الشعرية ، فان له مقدرة أيضا على تجسيم وتجسيد معانيه ، وهو تجسيم رائع صنعته أفكار فنان بارع . يقول فى القيان :

وغناء أرق من دمعة الصـ

ـب وشكوى المتيم المهجور

يشغل الفهم عن تظن وفهم

فهو يصغى بظاهر وضمير

صافح السمع بالذى يشتهيه

فأذاق النفوس طعم السرور

ليس بالصائل الضعيف اذا ما
راضى نعما ولا الشنيع الجهير

يجتنى السمع منه أحسن مما
تجتنى العين من وجوه البدور

فيجسم الغناء ويجعله سائلا ينساب الى الاسماع كما تنساب دمعة الحبيب المتيم المهجور حين تنحدر فى سلاسة وسهولة ورقة على خديه ، ويقول ان هذا الغناء يحرك العاطفة ـ بمعانيه ونبراته وألحانه ، فاذا السامع لا يسمع بأذنه فقط ، بل بها وبقلبه، بظاهره وباطنه ، بسمعه وبشعوره • ويجسم الانغام التى تنبعث من هذا الغناء فيجعلها أيادى تمتد الى السامع لتصافحه ، بل انها تقدم اليه ما يشتهيه من ألحان شهية يسمعها بأذنه فيحس بحلاوتها على لسانه ، فهى أغان تذيق النفوس حلاوة الصوت فتشيع السرور فى الجسم والروح معا • وهو غناء عذب رقيق ، له قيمته ووزنه • فليس بالخافت الضعيف الذى لايستطيع المرء أن يحس به ويعيش معه ، ويؤثر فى وجدانه ، ولا هو مما تنفر منه النفس لنشازه وعلوه وحشرجته ، وهو غناء لا يسمع فقط ، ولكن يمكن الانسان من أن يحصل على اللذة الفنية ، فيقطف ثمار روعته ، ويجنى من فاكهتها مثلما تجتنى العين من جمال الحسان البدور •

وهذا التجسيم بلا شك رائع جميل ، حيث جعل من الغناء كائنا حيا ، يحس به الانسان ويلامسه ويصافحه ويجتنى ثماره • وروعة الصولى فى تجسيمه لمعانيه ، لم يمنعه من زخرفة شعره وزركشته بالمحسنات البديعية ، فنراه وقد رصع هذه الصورة المجسمة بألوان من الطباق البديع • فنرى فى البيت الثانى طباقا بين (تظن وفهم) فالظن والتخمين يناقضه الفهم والترجيح ،

وطباقا بين (ظاهر وضمير) فالظاهر يناقضه الباطن . ونرى فى البيت الرابع طباقين بين (الصائل والشنيع) وبين (الضعيف والجهير) .

* الاقتباس من ألفاظ القرآن الكريم ومن السنة ومعانيهما :

لقد قلت - فيما سبق - ان الصولى مثقف ثقافة واسعة ؛ وشعره دليل على اتساع هذه الثقافة وتنوعها . وأنه نهل كثيرا من علوم القرآن ومن السنة ، وأيضا من التاريخ والفلسفة . وتأثره بالقرآن الكريم والسنة ؛ وبالتاريخ والفلسفة لا يقف عند حد اقتباس بعض الألفاظ أو المصطلحات ، بل يتعدى ذلك الى المعانى ، وينعكس عليها ..

فكان من أبرز خصائصه الفنية الاقتباس من القرآن الكريم ومن السنة مما يضفى على شعره هذه المسحة الدينية المحببة .. من مثل قوله :

وما نصر الله امرءا أنت حربه
وأنى له بالنصر والله ينصرك

تخيرك البارى أميرا مظفرا
تبارك فى تدبيره متخيرك

فنجد أنه اقتبس (نصر الله) من قوله تعالى : « اذا جاء نصر الله والفتح (١) » وقوله : « الا تنصروه فقد نصره الله (٢) » وقوله :

---

(١) النصر : ١ ..
(٢) التوبة ٣٠ .

« ان ينصركم الله فلا غالب لكم (١) » .

واقتبس أيضا كلمة (البارى) وهى من أسماء الله الحسنى ، وردت فى قوله تعالى :

« هو الله الخالق البارىء المصور له الأسماء الحسنى(٢) » .

وكلمة (تبارك) أيضا من كلمات القرآن ، وقد وردت فى قوله تعالى : « تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير (٣) » ، وقوله تعالى : « تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا (٤) » وقوله تعالى « فتبارك الله أحسن الخالقين (٥) » .

وقوله فى وزير الراضى :

كيده وافد عليهم بيوم
قمطرير بما نشق عبوس

وكلمة (قمطرير) من ألفاظ القرآن ، وردت فى قوله تعالى : « انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا (٦) » .

وقوله للراضى :

ضاق شكر العبيد عن بر مولى
مثل ضيق الغفران عن ابليس

والغفران وابليس من ألفاظ القرآن ، والصورة نفسها

(١) آل عمران : ١٩٠ .
(٢) الحشر : ٢٤ .
(٣) تبارك : ١ .
(٤) الفرقان : ١ .
(٥) المؤمنون : ١٤ .
(٦) الدهر : ١٠ .

مستوحاة من معانى القرآن فى قوله تعالى : « واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين (١) » .

وقوله أيضا :

ليهنيك يا خير البرية ناصح
له خطر فى العالمين جليل

و (خير البرية) من ألفاظ القرآن ، من قوله تعالى : « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية (٢) » .

وقوله :

وينام عنهم كنومة أهل الـ
ـكهف لولا رصيدهم والرقيم

وقصة أهل الكهف من قصص القرآن ، والصورة مستوحاة من قوله تعالى : « أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا (٣) » .

أما اقتباس الصولى من السنة الشريفة ، فنجد لها أمثلة كثيرة ـ من مثل قوله :

أطناب بأسك يوم حربك علقت
لعلوها بكواكب العواء

فضلت كفضل بنى النبى وصهره
فى نبل قدرهم بنى الطلقاء

---

(١) البقرة : ٣٤ .
(٢) البينة : ٧ .
(٣) الكهف : ٩ .

مشيرا الى قصة النبى صلى الله عليه وسلم مع المشركين حين وقعوا فى قبضته بعد فتح مكة ، فسألهم النبى : ماذا تظنون أنى فاعل بكم ، قالوا : خيرا ، أخ كريم وابن أخ كريم ، فقال عليه السلام : « اذهبوا فأنتم الطلقاء » .

وقوله :

الى ابن الذى أحيا البرية عدله
فشبه بالفاروق منهم أبى حفص

فهو يشير الى تسمية الرسول صلى الله عليه وسلم لعمر ابن الخطاب « بالفاروق » .

ومن خصائصه الفنية أيضا الاستشهاد بالمواقف التاريخية .. فنراه يستشهد باليوم الفصل ، الذى زالت فيه دولة الأمويين ، وقامت على أنقاضها دولة العباسيين . يقول مفاخرا :

ويوم مروان أفردنا بمشهده
والفخر فيه بنصر السادة النجب

ونراه يقارن بين واقعه ، وحربه مع الزمن ، وبين وقعة من التاريخ القديم، قامت بين قبيلتين كبيرتين فى الجاهلية ، واستمرت مدة طويلة ، وعرفت فى كتب الأيام باسم « حرب داحس والغبراء » أو « حرب البسوس » يقول :

ان بينى وبين دهرى حربا
جاوزت حرب داحس والبسوس

فهو يشير الى ضراوة الصراع القائم بينه وبين الزمن ، وطول مدة هذا الصراع .

ويقول لوزير المتقى :

ثوابكم على اصلاح ملك
ثواب شهود أحد أو حنين

فنراه يشير الى غزوتى أحد وحنين اللتين كان لهما أثر كبير فى الحياة الاسلامية ، وورد ذكرهما فى القرآن الكريم ، ويربط الصولى بين ثواب الوزير على اصلاح حال الدولة وبين ثواب أبطال الاسلام الذين شهدوا غزوتى أحد وحنين اللتين امتحن الله فيهما المسلمين .

ويظهر شعر الصولى أثر ثقافته واطلاعه على جميع المجالات الفكرية والاسلامية حتى العقائد والنحل التى ماجت فى عصره وقبل عصره . فنجد فى شعره بعض الاشارات والمصطلحات التى تتصل ببعض مذاهب الشيعة ، تلك التى تمجد الأئمة وتنزههم وترفعهم فوق مصاف البشر .

من هذه الاشارات قول الصولى فى مديح الراضى :

أوحده الله فى فضائله
فهو من بدء الكمال أوجده

وقوله له أيضا :

محاسن هذا الخلق منك ابتداؤها
ويجذبها ذو كلفة منك كاللص

فالصولى يشير هنا الى عقيدة الشيعة عن فكرة النور الالهى (١) الذى خلقه الله قبل الوجود ، والذى تسلسل حتى انقسم نصفين فى عبد الله وأبى طالب ، فقال الله تعالى : « كن يا هذا محمدا ، ويا هذا كن عليا » وان هذا النور تسلسل حتى وصل الى الأئمة .

ويقول فى قصيدة أخرى :

---

(١) فى أدب مصر الاسلامية . دكتور محمد كامل حسين ، (عقائد الشيعة) ص ٣ ومابعدها .

طاب أصـــــلا وبابنه طاب فرعا
غرس الملك منـــه خيرَ ما غريس

فهو يشير الى أصل الخليفة واتصاله ببيت النبوة الـكريم ، مركزا على أن الامامة عند الشيعة تنتقل من الآباء الى الأبناء ·· وهذه العقيدة أصل من أصولهم ·

ويشير أيضا الى وجوب طاعة النـــاس لامامهم وخضـوعهم لأوامره ، وما يشرعه لهم من أحكام لأن الدين لا يستقيم الا بطاعته وتنفيذ ما يرتضيه ، وما يأمر به وينص عليه فيقول :

فترى النـاس خاضعين اليـــه
من قيـــام بأمره وجـــلوس

ويقول الصولى أيضا :

من لا يرى حبـــك فرضا فمـا
أدى فــروض الله فى الخمس

فهو يشير الى آراء الشيعة التى تقول ان فرائض الاســـلام لا تقبل الا باتباع الامام وطاعته وحبه ·

وهذه المعانى كثيرة عنده ـ ولقد اتهم الصولى ، ربما بسبب ذلك ـ بالتشيع ، غير أنه لا يوجد دليل كاف على تشيعه ، بل انه كان يذكر ويؤرخ ثورات الشيعة وتألبهم على الدولة دون اظهـــار أى تعاطف أو ميل لهم ، ولم يتحدث اطلاقا عن مذهبهم بما يفيـد التأييد أو المدح ، كما أنه صرح أكثر من مرة أنه كان يجلس فى المساجد لالقاء الدروس الدينية ، ومن الطبيعى أنه كان يدرس مذهب الدولة السنى ·

ولقد ذكرت لنا المصادر العربية (١) ما ينفى عنه هذا الزعم، ذكرت أنه روى خبرا فى حق على بن أبى طالب فتألب عليه الشيعة يطلبون دمه .

فاذا كان الصولى قد استخدم بعض ألفاظ ومصطلحات الشيعة ، فانه انما استخدمها مغالاة منه فى التفخيم وقوة المديح لرفع قدر الخليفة ، وتطويرا للصفات والمعانى الدينية .

وهو لم يكن يجهل أن الخلافة العباسية سنية ، بل تناهض العلويين وتضربهم بعنف ، ولكنه لم يجد ما يمنع من استيحاء واقتباس بعض هذه المعانى والصفات المجدة للأئمة والمنزهة لشأنهم أملا فى كثرة العطاء والبر .

وخلاصة ما يمكن أن يقال فى ذلك - ان الصولى كان على مذهب خلفائه وأولياء نعمته ، المذهب السنى ، واذا كان قد أورد بعض مصطلحات الشيعة وآرائهم . انما كان يرمى الى تمجيد الخليفة مثلما كان الشيعة يمجدون أئمتهم . ومعروف مدى التطاحن والتصارع الكبير الذى ظل قائما بين العلويين والعباسيين ، فليس من المعقول أن يكون الصولى شيعيا ويقربه الخلفاء ، ويجعلونه مربيا لأولادهم ثم نديما وجليسا لهم ، وتكون له عندهم مثل حظوته ومكانته .

(١) الفهرست ١٥١ ، وفيات الاعيان ٣/٤٨١ .

● الفصل الثانى

الصولى النـــاثر

كتب الصولى فى النثر الفنى الكثير (١) ، وصرح بذلك أكثر من مرة ، وفى مناسبات جمة فقال (٢) : « وأما النثر فقد قضيت الحق فيه » . فقـد ألف الصـولى عدة رسائل أدبية بعضـها فى الشـعراء ، وبعضها فى أفاضـل عصره ، وبعضها فى الأدب ، الى جانب رسائله الاخوانية . كما ألف بعض الكتب الأدبية فى فروع الأدب المختلفة .

لم يصلنا من هذه الرسائل والكتب ـ الا رسالته الأدبية فى فضل أبى تمام وشـعره ؛ وهى نموذج فذ جميل لكتابات الرجـل النثرية ، ودليل على أصالته فى فن النثر ، وهى أصالته لا تقل عن تلك التى وجدناها له فى فن الشعر .

وهى رسالة أدبية نقدية فنيـة طويلة ، ألفها الصولى لمزاحم ابن فاتك ، وضمنها دفاعا عن أبى تمام وشاعريته وشعره ، ومذهبه الفنى وتجديده ، دفاعا عن معانيه وصوره ؛ دفاعا عن استعاراته

(١) انظر مؤلفات الصولى .

(٢) أخبار الراضى بالله ١١١ .

وأخيلته ؛ فكان الصولى ـ فى دفاعه هذا ـ محاميا بارعا ؛ مالكا زمام قضيته ، حافظا للقوانين والأحكام المتواضع عليها ، عارفا ببراءة موكله ، مقتنعا بها ؛ قادرا على تبرئته فى ساحة الأدب والنقد أمام سائر الناس . وقد جعل الصولى رسالته هذه مقدمة لعمل أدبى كبير تضمن جميع أخبار أبى تمام وشعره ثم شرح هذا الشعر .

يهمنا من كتابات الصولى ورسائله الأدبية أن نرى الوجه الآخر لأدبه الانشائى ، وأن نعرف طريقته فى كتابة النثر الفنى؛ لنتعرف من هذا النثر على أسلوبه وخصائصه الفنية ؛ ومنهجه فى التفكير والتعبير ، والعرض والتحليل ، كما نرى فيه صورة فكره ونوع بيانه ..

نثر الصولى فى معظمه نثر مرسل ؛ يطلقه الرجل على سجيته وبلا عناء ، دون تكلف أو تصنع ؛ يطلقه الصولى من أجل ابراز فكرته وتوضيح هدفه ، فهو يهتم أولا بالفكرة وعناصرها المختلفة ؛ يهتم بالموضوع الذى يريد عرضه ، ثم يطلق العنان لقريحته لينطلق قلمه فى يسر وسهولة مسجلا آراءه وأفكاره فى أسلوب جزل أنيق أساسه الاقناع والامتاع والاعلام والافهام .

بهذا الأسلوب الأنيق الرقيق ، كتب الصولى معظم كتاباته النثرية .. فى مختلف الأغراض التى شاء له حظه وزمنه وعلمه أن يجول فيها . ولنسمع ما قاله الصولى لمزاحم فى افتتاحية عمله الفنى (١) : « أدام الله فى أرغد العيش ، وأكمل السرور ، وأمد العمر ، وأرضى العمل عزك ؛ وحسن الزمان الذى قل فيه نظيرك ببقائك ، ووهب لأهل الأدب سلامتك ، فانك جاريتنى آخر عهد التقائنا فيما أفضنا فيه من العلوم أمر أبى تمام حبيب بن أوس

---

(١) رسالة الصولى الى مزاحم بن فاتك ـ أخبار أبى تمام ـ ص ٣ وما بعدها

الطائى ، وعجبت من افتراق آراء الناس فيه ، حتى ترى أكثرهم - والمقدم فى علم الشعر ؛ وتمييز الكلام منهم ؛ والكامل من أهل النظم والنثر فيهم - يوفيه حقه فى المدح ، ويعطيه موضعه من الرتبة ، ثم يكبر باحسانه فى عينه ، ويقوى بابداعه فى نفسه ، حتى يلحقه بعضهم بمن يتقدمه ، ويفرط بعض فيجعله نسيج وحده وسابقا لا مساوى له .

وترى بعد ذلك قوما يعيبونه ؛ ويطعنون فى كثير من شعره ؛ ويسندون ذلك الى بعض العلماء ، ويقولونه بالتقليد والادعاء ؛ اذ لم يصح فيه دليل ، ولا أجابتهم اليه حجة .. فعرفتك أن السبب كما ذكرت ، وتضمنت لك شرح ما وصفت ، حتى لايعارضك شك فيه ؛ ولا يخامرك ريب منه ؛ فرأيت من سرورك بذلك ؛ وارتياحك اليه ، وصبابتك به ، ما حدانى على استقصائه لك ، والتعجيل به عليك ، واهدائه فى رسالة اليك ؛ تتبعها أخباره كاملة فى جميع فنونه : فى تفضيله ، وذكر من عرفه فقدمه وقرظه ، والاحتجاج على من جهله فأخره وعابه ... ثم أرتنى عين الرأى بقية فى نفسك منه ، لم يطلعها لى لسانك - اما كراهة منك لتعبى ، أو اشفاقا من الزيادة فى شغلى ، مع ما يتقسمنى من جور الزمان ؛ وجفاء السلطان ، وتغير الاخوان . فسألتك ابانته وتكليفى جميع ما تريد منه ، فعرفتنى أن تكميل ذلك لك ، وبلوغى فيه أقصى ارادتك ؛ اتباعى أخباره بعمل شعره كله معربا مفسرا ، حتى لايشذ منه حرف ، ولايغمض منه معنى ، ولاينبو عنه فهم ، ولا يمجه سمع ... » .

فى هذه المقدمة التمهيدية التى جعلها الصولى فاتحة رسالته، نرى أن الصولى سهل العبارة ، جزل الألفاظ ، واضح المعنى ؛ متخير الكلمات .. وقد سار فيها على الطريقة التى أكثر أدباء العصر من أتباعها ، والتزم بالعناصر التى تواضع الأدباء عليها ، وضمنها

كتابه أدب الكتاب (١) من حيث : براعة الاستهلال أو الافتتاح . والمبالغة فى الدعاء والمديح ، وابراز المقاصد التى يريد تقديمها ، وتوضيح الفكرة ؛ وحسن ترتيب عناصرها التى ستشتمل عليها الرسالة ؛ ثم ترتيب الأفكار وتسلسلها منطقيا .. ونرى الصولى يستخدم الجمل الاعتراضية التى يريد بها توضيح معناه كقوله : « وعجبت من افتراق آراء الناس فيه حتى ترى أكثرهم — والمقدم فى علم الشعر وتمييز الكلام منهم ، والكامل من أهل النظم والنثر فيهم — يوفيه حقه ... » .

كما يستخدم فى رسالته الأسلوب المتوازن المتعادل الفقرات أحيانا كقوله : « حتى لا يشذ منه حرف ، ولا يغمض منه معنى ؛ ولا ينبو عنه فهم ، ولا يمجه سمع ... » ويستخدم أسلوب السجع أحيانا أخرى ، نحو قوله « ... مع ما يتقسمنى من جور الزمان ؛ وجفاء السلطان ؛ وتغير الاخوان .. » ونراه يستخدم العبارات القصيرة تارة كقوله «فرأيت من سرورك بذلك، وارتياحك اليه ؛ وصبابتك به .. » والعبارات الطويلة تارة أخرى ، نحو قوله : « ... فى تفضيله وذكر من عرفه فقدمه وقرظه ، والاحتجاج على من جهله فأخره وعابه ... » كما نراه يستخدم بعض المحسنات البديعية ، فنرى طباقا بين « عرفه وجهله » وبين « قدمه وأخره » وبين « قرظه وعابه » ..

بعد هذه المقدمة التمهيدية ؛ تنقل الصولى بنا بين عناصر موضوعه من عنصر الى آخر ؛ مستغلا أفكاره وثقافته وذوقه ، وايمانه بالقضية التى يدافع عنها ، فيتحدث عن بعض أهل الأدب فى زمانه ؛ ومنهجهم فى التفكير ، واعتقاد البعض منهم أن الشهادة

---

(١) أدب الكتاب للصولى ، ص ١٥٠ ، ١٦٤ .

بالعلم لا تكون الا بالطعن على الناس ، والتحقير لأفعالهم ؛ وهم يعتقدون أن فى ذلك وسيلة الرفعة وطريقا للارتفاع .

خصائصه الفنية فى النثر :

من خلال هذه الرسالة الأدبية وغيرها من كتابات الصولى الأدبية ، نستطيع أن نتبين فى وضوح وجلاء خصائصه الفنية ..

من أبرز هذه الخصائص ؛ تأثره بطريقة الفرس فى الكتابة ، فنراه يميل الى الاسراف فى التبجيل والتعظيم ، ووضع هالة من التقدير والاحترام على كل من يكاتبهم أو يخاطبهم ؛ ولا شك أن هذه النزعة تتصل بالعناصر الوراثية عنده ، والتى انتقلت اليه عن أجداده .. وتظهر هذه النزعة فى كتاباته ، خصوصا للراضى بالله ، من ذلك قوله (١) :

« أطال الله بقاء أمير المؤمنين ، وأدام عزه وتأييده ؛ وكرامته وسعادته وحراسته ، وأتم نعمته عليه ؛ وزاد فى احسانه اليه بفضله عنده ؛ وجميل بلائه لديه ، وجزيل قسمه له ... » وقوله (٢) : « أمير المؤمنين ، ادام الله دولته وأطال فى الملك مدته ... » .

كما ظهرت هذه النزعة واضحة فى رسالته الى مزاحم ابن فاتك فى الاكثار من قوله :

« أعزك الله » ... فكان يقول : رأيت – أعزك الله .. ؛ انظر – أعزك الله ... ، وأنت ... أعزك الله .. ؛ وكأنى .. أعزك الله .. اعلم .. أعزك الله .. » .

---

(١) أدب الكتاب للصولى ١٦٤ .

(٢) أخبار الراضى ٧٨ .

وتظهر فى كتابات الصولى أيضا .. نزعته الدينية وتعمقه فى علوم القرآن والسنة .. فنراه يزين أسلوبه بآيات من القرآن الكريم توضح معناه وتؤيده ، وتزيده جمالا على جمال ، وكأنه بهذا التزيين يضفى على كتاباته مسحة دينية ؛ يضيف اليها لمسات من المهابة والتقديس ، بل ان هذه الخصيصة بارزة جدا فى أسلوب الصولى ؛ فى كل ما كتب ؛ فهو دائما يستعين بآيات من القرآن الكريم ، ويقتبس كثيرا من ألفاظه ومعانيه ، من ذلك قوله فى مجال حديثه عن ألفاظ القدماء والمحدثين : « وألفاظ القدماء وان تفاضلت فانها تتشابه ، وبعضها آخذ برقاب بعض ، فيستدلون بما عرفوه منها على ما أنكروه ، ويقوون على صعبها بما ذللوه ؛ ولم يجدوا فى شعر المحدثين مذ عهد بشار أئمة كأئمتهم ، ولا رواة كرواتهم ، الذين تجتمع فيهم شرائطهم ، ولم يعرفوا ما كان يضبطه ويقوم به ؛ وقصروا فيه فجهلوه فعادوه ، كما قال الله جل وعز :

« بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه » وكما قيل : الانسان عدو ما جهل ؛ ومن جهل شيئا عاداه » ، وهذه النزعة الدينية ، لم تمنعه من أن يحسن أسلوبه ويرصعه بالمحسنات البديعية من سجع وطباق .

والصولى لا يضمن كتاباته آيات من القرآن الكريم فحسب ؛ بل انه يضيف أيضا بعض الأحاديث ، وأقوال الحكماء والبلغاء وآراء العلماء ، مما يجعل أسلوبه يتألق تألقا شديدا . من ذلك قوله فى مجال دفاعه عن أبى تمام (١) :

« يجب ألا يدفع احسان محسن ، عدوا كان أو صديقا ، وأن تؤخذ الفائدة من الرفيع والوضيع ، فانه يروى عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب أنه قال : الحكمة ضالة المؤمن ؛ فخذ ضالتك

---

(١) أخبار ابى تمام للصولى ١٧٦ .

ولو من أهل الشرك ؛ .. ويروى عن بزر جمهر أنه قال : أخذت من كل شيء أحسن ما فيه ، حتى انتهيت الى الكلب والهرة والخنزير والغراب ... قيل : وما أخذت من الكلب ؟

قال : الفه لأهله ، وذبه عن حريمه ، قيل : فمن الغراب ؟ قال : شدة حذره ..

قيل : فمن الخنزير ؟ قال : بكوره فى ارادته ، قيل . فمن الهرة : قال : حسن رفقها عند المسألة ؛ ولين صياحها » .

وخصيصة أخرى بارزة فى أسلوب الصولى النثرى وهى : كثرة الاستطراد ، وهذه الخصيصة تبرز حينما يحلل الصولى المعانى ، فتراه يتنقل بين أشعار الشعراء وأفكارهم ، ذاكرا معانيهم ، ومن أين استقوها ومن السابق اليها ، فيخرج بنا لفترة بعيدا عن موضوعه الاصلى ـ زيادة فى التشويق والامتاع ، والتثقيف والاقناع ـ ثم يعود الى موضوعه الأصلى بسهولة دون عسر ليلتقط خيط الفكرة الأصلى ويتابع القول فيه .

والصولى رجل محنك متزن ، دائما يحكم العقل والعلم فيما يقول أو يكتب . فنراه ينسق فكرته ويرتب معانيه ؛ ويسلسل عناصره معتمدا على المحسوس والموجود من الادلة والبراهين ، فلا يجعل العاطفة تسكره ، أو التأثر والهوى يفقده وعى الحقيقة ، بل هو يتكلم عن علم وعن وعى ، وعن يقين مفندا المزاعم ، مقدما الاسانيد ، مدعما قوله بما يثبت التأييد ، فى أسلوب قوى واضح ، دون ما تعمد الى تقعر فى اللغة أو اغراب ، حتى لا تضيع الفكرة فى مجاهل الألفاظ .

من هذا الأسلوب القوى المتزن نرى دفاعه عن أبى تمام ونفى تهمة الكفر عنه يقول (١) :

---

(١) أخبار أبى تمام ١٧٢ .

« وقد ادعى قوم عليه الكفر ، وجعلوا ذلك سببا للطعن على شعره ، وتقبيح حسنه ، وما ظننت أن كفراً ينقص من شعر ، ولا أن ايمانا يزيد فيه ، وكيف يحقق هذا على مثله حتى يسمع الناس لعنه له ، من لم يشاهده ولم يسمع منه ، ولا سمع قول من يوثق به فيه ؟ وهذا خلاف ما أمر الله عز وجل ، ورسوله عليه السلام به، ومخالف لما عليه جملة المسلمين ، لأن الناس على ظاهرهم حتى يأتوا بما يوجب الكفر عليهم بفعل أو قول ، فيرى ذلك أو يسمع منهم ، أو يقوم به بينة عليهم » ..

وهنا تبرز قوة الصولى فى أسلوبه ، ونسمع صدى صوته فى تحليله للتهمة ونفيها بالحجة والبرهان ،والقول الفصل، مستخدما فى هذا الدفاع ألفاظا تتناسب مع الموضوع .. « الكفر والطعن ، والتقبيح والايمان .. واللعن ، يوثق به .. الخ . ويستشهد بقانون السماء ، وأمر الله فيه ، وأمر الرسول فى سنته ، ويستخدم عبارات قوية تتصل بالدين والشرع .. « وهذا خلاف ما أمر الله ورسوله به » .. « مخالف لما عليه جملة المسلمين » . « لأن الناس على ظاهرهم » وكان الصولى قاض يحكم بدستور الله وشريعته ؛ ثم يصدر حكمه وكأنه أمر فيقول :

« انه ما ينبغي لجاد ولا مازح ، أن يلفظ بلسانه ، ولا يعتقد بقلبه ما يغضب الله عز وجل ، ويتاب من مثله ، فكيف يصح الكفر عند هؤلاء على رجل شعره كله يشهد بضد ما اتهموه به » .

وقد زان الصولى أسلوبه هذا بالعديد من الطباقات « فالكفر يناقضه الايمان » والزيادة يناقضها النقصان « والحسن يناقض القبح » .

والصولى يميل كثيرا الى الاطناب والاكثار من المترادفات ، يعينه فى ذلك معجم ضخم فى اللغة ، فنراه يصب معانيه فى قوالبها ،

وينزل ألفاظه فى منازلها ، لا تغرب عنه غاربة ، أو تشرد له شاردة من ذلك ما يتحدث به عن أستاذيه المبرد وثعلب يقول (١) :

« ومن جليل من رأيناه ولزمناه ، وأكثرنا عنه ممن بعد صيته، وشهد بالعلم له ، ووقع الاجماع عليه اثنان : أبو العباس محمد ابن يزيد بن عبد الأكبر الأزدى ، وأبو العبـــاس أحمد بن يحيى الشيبانى ، رحمهما الله ، فما رأيناهما زعما قط أنهما أعلم الناس بقديم السير ، وما جرى عليـه أمر الدول ، ولا بعلوم الأوائـل ، ولا قصص الملوك ولا بأخبار قريش ، وأمر النبى - صلى الله عليه وسلم - ومبعثه ومغازيه ومعرفة أهله وأصحابه رحمهم الله ، وذلك من أجل العلوم . ولا ادعيا أنهما أعلم النــاس بأخبـــار العرب ، وأنسابهما ، وأيام الجاهلية وأخبار الاسلام .. ولا أنهما يتقدمان فى الفقه الذى لابد للناس منه ، والحديث الذى يدور دين الاسلام عليه ، ومعرفة أهله وطرقه ورجاله ، وتاريخهم وأسنانهم ، ولا ادعيا التقدم فى علم شعر المحدثين وأوائلهم » ..

وأكثر ما يميز الصولى فى أسلوبه الأدبى : التحليل .. فهو يحلل أفكاره حتى لايترك دقيقة من دقائقه الا ويجليها ويوضحها حتى تظهر أمام ذهن القارىء فى صورة ناصـــعة . وفى التحليل يستغل ذخائره اللغوية ومعانيه وأفكاره ، كما يستغل عناصر علم المعانى اســتغلالا كبيرا حتى يصــل بفكرته الى منتهاها من حيث السطوع والوضوح مدعما قوله بما قاله الشعراء وسجله الأدباء ، ويبرز تحليل الصولى فى قوله فى مجال العلوم والحكم على الشعر والشعراء ، والأدب والأدباء (٢) :

« ومن العلوم خاص وعام ؛ ومصون ومبذول ؛ فلا ينبغى لمن

---

(١) رسالة الصولى الى مزاحم ص ٧ .

(٢) رسالة الصولى الى مزاحم ص ٣٨ .

عرف عامه أن يجهل خاصه ، ولا لمن شرع فى مبذوله أن ينكر مصونه ، وانما أجريت هذا لئلا يجسر على الحكم على الشعراء وتمييز ألفاظهم ، والحكم بالجيد والردىء لهم ، من لم يكن أعلم الناس بالكلام منظومه ومنثوره ، وأقدر الناس على شىء متى أراده منه ، وأحفظهم لأحد الشعراء ، وأعلمهم بمغازيهم ومقصدهم .

فأما من لايحسن أن يعمل بيتا جيدا ، ولايكتب رقعة بليغة، ولاينال حفظه ما قالته الشعراء فى عشرة معان من عشرة آلاف معنى قد قالت فيه ، فكيف يجسر على ادعاء هذا ؟ ، وكيف يسوغه اياه من سمعه منه ؟ .

والصولى لا يميل الى السجع كثيرا ، ولا يتكلفه ، ولكنه كان مضطرا الى اصطناعه فى بعض الأحيان مجاراة لما هو سائد وطاغ على كل كتابات العصر ، حيث كان السجع عاما (١) فى كتابات الكتاب الديوانية وغير الديوانية . من ذلك قوله فى رسالته (٢) الى الراضى :

«أمير المؤمنين ، أدام الله دولته ، وأطال فى الملك مدته ، أجل خطراً وقدرا ، وأسنى مجدا وفخرا ، وأوسع خاطرا وفكرا ، من أن يبلغ خاطب خطابته ، أو يروم بليغ بلاغته ، أو يدرك فيها وأصف صفته الا بما تناله طاقته وتبلغه غايته ..

ولما وصل الى عبده سؤاله عن حسن ماوعاه وسمعه ، وجليل ماحفظه واقنه ، من كلامه فى خطبته ، وتصرفه فى حسنه ، عجز عن بلوغ كنهه لسانه ، ولم يؤده شرحه وبيانه» ..

---

(١) الفن ومذاهبه فى النثر ـ الدكتور شوقى ضيف ص ٤٦ .

(٢) كان الراضى أرسل اليه رسالة يستطلع فيها رأيه فى خطبة الجمعة التى القاها فى أحد المساجد .

فى رسالة الصولى هــذه ــ الى الراضى ــ نرى أنهــا زخرت بالسجع نحو قوله : « دولته ٠٠ مدته » ، « خطراً ، وقدرا ، وفخرا» ٠٠ « خاطرا وفكرا ٠٠٠ » « خطابته ٠٠ وبلاغته ٠٠ الخ » وقــد جاء هذا السجع فى معظمه مصنوعا ، يختلف تماما عما وجدناه فى المقطوعات السابقة ٠ وقد اســتخدم الصولى ــ حسب ما ذكــر فى كتابه أدب الكتاب (١) ــ صيغة الغائب احتراما واجلالا للخليفة ، فلم يخاطبه بصيغة المخاطب ، كما يخاطب سائر الناس ، بل كان ــ كما ينص فى كتابه ، ويحض كتابه ــ يرتفع بمنزلة الخليفة ، وقد بدأها الصولى بالدعاء والثناء وأكثر فيها من المبالغة ٠

وبعد ــ فهذه فقرات من كتابات الصولى الادبية فى النثر ، نستطيع أن نلمس فيها أسلوبه ونرى صورة فكره ، كما نستطيع أن نعرف منها خصائص أسلوبه الفنى ٠ فهــو أسلوب يجمع بين الجزالة والاشراق ، نشعر فيه بمدى عنــــايته الفنية ، وتأنقه فى الالفاظ ، ويعكس صورة ثقافته وعلمه ، وتمكنه من أداة تعبيره ٠ وهو أسلوب يتسم بالجمال ، بل ان الجمال لمن أبرز صفاته وأظهر مميزاته ، رائع قوى ، بديع الخيال ، غير متكلف ، تبرز فيه قوة المعانى ، ووضوح الحجة والبرهان ، ورجاحة عقله الخصيب ٠ ومن أظهر مميزاته الاطناب ، والتكرار ، واستعمال المترادفات ، واختيار الكلمات الجزلة المناسبة للموضـــوع ، ذات الرنين ، وذات المعنى الواضح ٠ ويظهر فى هذا الاسلوب ٠٠ الخيال الشعرى ، فهو شاعر وأديب ، يخاطب وجدان القارىء وعواطفه ، يخاطب العقل والقلب، ويزيد من قوة هذا الاسلوب وجماله : سطوع بيانه ، وسلامة ذوقه فى اختيار الكلمات ٠

ولقد ورث الصـــولى عن آجداده ــ الى جانب الشعر ــ نثر

---

(١) ص ١٥٠ ٠

الكلام ، فنحن نعرف أن عائلة الصولى كان لهـا شأن كبير فى الكتابة ، وكانوا من ألمع كتاب الدولة وعمالها . فكان منهم ـ كما ذكرنا من قبل : عمرو بن مسعدة الصولى ، وابراهيم بن العباس الصولى ، وعبد الله بن العباس الصولى . كما ورث الصولى أيضا كل ماكتبه الادباء والكتاب السابقون من أمثال عبد الحميد الكاتب وابن المقفع وسهل بن هارون والجاحظ وأضرابهم ، ممن كانوا يتفننون فى كتابة الرسائل والكتب الادبية .

والصولى وان كان قد سار على الدرب الذى سار فيه كتاب عصره ، ونهج منهجهم ، الا أن أسلوبه كان يتميز بسمة واضحة ، هى عدم التقيد بمنهج ثابت فى كتاباته ، أى أنه لا يسير على وتيرة واحدة ، بل كيف أسلوبه وفقا للحال ، ومن ثم ظهر أسلوبه فى رسائله الأدبية يختلف عن أسلوبه فى كتاباته الأدبية أو الديوانية وشبهها .

فهو مثلا لم يتكلف سجعا أو بديعا ، بل ان هذا السجع كان يأتى طواعية فى معظم كتاباته ـ الا ما قصد هو الى ذلك فى رسائله الرسمية الى الخلفاء وغيرهم . وهو يستخدم غالبا الاسلوب المتوازن، الذى يسميه الرمانى(١) «السجع العاطل» والذى يطلق عليه بعض الباحثين(٢) «الازدواج» ـ ذلك الاسلوب الذى وضح خاصة فى رسالته الى مزاحم ، والذى يتميز بأن العبارات فيه قصيرة متساوية، وأن الفواصل على زنة واحدة .

وخلاصة القول : ان أسلوب الصولى قوى معبر واضح جزل، صافى الديباجة ، رقيق العبارة ، لايحتاج الى كد الفكر ، أو اعمال الخاطر للوصول الى معناه ، وتظهر فيه نزعة الصولى الدينية وتعمقه

(١) صبح الاعشى ٢٧٣/٢ .

(٢) تطور الأساليب النثرية للدكتور أنيس المقدسى ص ١٤٣ .

فى علوم القرآن والسـنة ، وهو دائما يزينه بآيات من القرآن وبمحصلة ضخمة من روائع المنظوم وبليغ الحكم والامثال ، يعينه فيه معجم ضـخم من لغته واشتقاقاتها ومترادفاتها ، فنراه يطرح معـانيه بطرق عدة ، ويضـع ألفاظه فى مكانها ، يلائم بين ألفاظه ومعانيه وموضوعاته حتى لقد وصف بأنه « عالم بفنون الأدب (١) » كما وضع فى طبقة الجاحظ وأضرابه (٢) .

---

(١) الكامل فى التاريخ ٦/٣٢٤ .

(٢) وضعه الأستاذ أحمد حسن الزيات فى طبقة الجاحظ ، انظر تاريخ الادب العربى ص ١٢٣ .

● الفصل الثالث

الصولى الناقد

منذ نشأة الشعر العربي قامت مقارنات وموازنات فطرية كثيرة ، تفضل شاعرا على شاعر أو معنى على معنى ، ثم تطورت هذه المقارنات والموازنات ووضحت ونضجت مع مرور الزمن ، وتعاقب العصور ، حتى اذا وصلنا الى عصر الصولى ، ظهر فى هذه الاحكام أثر العصر والثقافة والحضارة ٠

ففى عصر الصولى تعمق الناس فى تذوق الادب وفهمه وتحليله، فكان النقد أكثر تعمقا ، وأحسن حكما عن العصور التى سبقته بتأثير الحضارة ، ورقى الذوق ، وتفتق القريحة العربية ، ونضوج عقليتها ٠ واذا كان الادب يخضع للبيئة والثقافة ، ونوع الحكم ، وظروف الدولة ، فان النقد من الطبيعى أن يتطور بحيث يساير الأدب ويتلاءم معه فى كل ظروفه ، الثقافية والاجتماعية ٠

قامت قبل عصر الصولى معارك أدبية ونقدية كثيرة ، ولكن هذه المعارك وصلت ذروتها فى عصر الصولى وما تلاه ٠٠ ولم يكن من الطبيعى أن يعيش الصولى فى هذه المعارك دون أن يشارك فيها، خاصة وأن بعض شيوخه وأساتذته من أمثال المبرد ، وثعلب وغيرهما كان لهم مساهمتهم فيها ، والمشاركة فى رحاها ، كما أن

بعض علماء عصره من أمثال الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) وابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) وابن المعتز (٢٩٦ هـ) وقدامة بن جعفر (٣٣٧هـ) والآمدى (٣٧٠ هـ) أدلوا بآرائهم وتناولوها فى كتبهم ومؤلفاتهم ، فزادوا فى اشعال هذه المعارك النقدية حول الشعر والشعراء ٠

فنرى الصولى يدخل فى رحى هذه المعارك مثبتا وجوده وآراءه ٠

ومن السهل أن نتلمس منحى الصولى فى النقد ، وطريقته فى فهم النصوص وتذوقها ، والحكم عليها ، من خلال كتبه ، التى تناول فيها تراجم الشعراء واخبارهم ، ومختاراتهم الشعرية ، ومن خلال رسائله الادبية حول الشعراء ومكانتهم وشاعريتهم ، وكذلك من خلال كتب النقد والادب والموازنة التى ألفت فى عصره وبعده ، وتناولت آراء الصولى ونظراته النقدية فى شعر الشعراء وأدب الادباء ، من مثل موشح المرزبانى ، وزهر الآداب للحصرى وغيرهما .

ومن خلال هذه الكتب جميعا نستطيع أن نلمس أن الصولى كان يبحث فى الادب ونقده بروح العالم وذوق الفنان ٠ اننا لا نتجاوز الحقيقة حين نقول : انه جعل النقد الادبى كالعلم ، من حيث الدقة والتحديد والموضوعية ٠

منحى الصولى فى النقد الادبى :

ظهر منحى الصولى فى النقد الادبى من خلال آرائه ونظراته وما تناوله بالتحليل والتقييم من شعر الشعراء على اختلاف عصورهم وشاعريتهم ؛ ومقدرتهم الفنية ؛ ومذهبهم الشعرى ٠٠

حقيقة لم يؤلف الصولى فى النقد كتابا ، ولم يضع له ضوابط ومعايير شأن غيره من النقاد المعاصرين ، فلم يتناوله من الناحية

النظرية ــ كما فعل ابن قتيبة ــ ولم يضع الشعراء فى طبقات كما فعل ابن سلام والجاحظ(١) وابن قتيبة وابن المعتز ، بل تناول الصولى النقد من الناحية التطبيقية العملية •• من واقع الشعر وفنونه ، وأغراضه ومعانيه وألفاظه ، وان كنا نجد له بعض الآراء النظرية فى نواحى النقد •

ونقد الصولى يقوم أساسا على دراسة الشعر ، وتبيين مواطن الجمال والقبح ، والجودة والرداءة ، وعقد المقارنات بين الشعراء ، وتحليل معانيهم وأغراضهم ، وتعليل عيوبهم وسقطاتهم ، كما يقوم على عرض سرقات الشعراء من بعضهم البعض ، وارجاع المعانى الى أصحابها الاصليين ، محددا من التابع ومن المتبوع ، ومن منهما أحق بالمعنى • كما يتناول الصولى ــ فى نقده ــ العلاقة بين اللفظ والمعنى ، وطريقة التعبير ، ونجاح الشاعر فى توصيل رؤاه ، واختيار ألفاظه تبعا لمعانيه وأغراض الشعر التى يتناولها • فيتحدث عن وجوب ائتلاف اللفظ مع معناه •• فالفخر مثلا يناسبه الالفاظ الجزلة التى تملأ الفم •• ذات الجرس القوى ، والغزل يناسبه الالفاظ الرقيقة الناعمة ، والرثاء يناسبه الالفاظ ذات الموسيقى الهادئة التى تنم عن الحزن ، ونراه يطبق هذا كله ــ كما رأينا ــ فى شعره •

وآراء الصولى النقدية يمكن أن نلمسها فى العناصر الآتية :

١ ــ المقارنات

٢ ــ الدفاع عن أبى تمام بوصفه صاحب المذهب التجديدى فى الشعر •

---

(١) يقول الجاحظ (البيان والتبيين ٢١/١) « طبقات الشعر ثلاث » « شاعر وشويعر وشعرور » .

٣ ـ تحليل ألفاظ الشعراء ومعانيهم ·

٤ ـ الهجوم على النقاد المتعصبين ·

٥ ـ السرقات ·

١ ـ المقارنات :

تتميز نظرات الصولى النقدية بكثرة المقارنات ، أو ما يمكن أن يسمى «بالنقد التطبيقى العملى» ·

(أ) فنجده يقارن بين ما أخرجته قريحة مجموعة من الشعراء من عصر واحد ، تناولوا موضوعا واحدا · ويبين أيهم أجاد فى معانيه وأيهم اختل ··

من ذلك مقارنته بين شعر النابغة الذبيانى ، وشعر امرىء القيس ، وشعر الطرماح ، فى وصف الليل(١) ، وتأثير ذلك على نفسية كل منهم ، ومدى توفيق كل شاعر فى التعبير عما يعتمل فى نفسه من أحاسيس وما يكتبه من شجن ·· فيتناول قول النابغة :

كلينى لهم يا أميمة ناصب
وليل أقاسيه بطىء الكواكب

تطاول حتى قلت ليس بمنقض
وليس الذى يرعى النجوم بآيب

وصدر أراح الليل عازب همه
تضاعف فيه الحزن من كل جانب

---

(١) الموشح للمرزبانى ص ٣٣ ·

وقول امرىء القيس :

وليـــل كموج البحر أرخى سدوله
على بأنـــواع الهمـوم ليبتلى

فقلت له لمـــا تمطى بصلبه
وأردف اعجـــازا وناء بكلكل

ألا أيهـا الليـــل الطويل ألا انجلى
بصـــبح وما الاصـــباح منك بأمثل

فيالك من ليـــل كأن نجـومه
بـــكل مغـــار الفتل شدت بيذبل

ويعقد بينهما مقارنة أدبية نقـدية ـ هى أشبه بالبحث ـ ، ويحلل الصورتين تحليلا جميلا يبين دقائق المعنى وملابساته، مبينا مواطن الجمال ودقة التعبير فيقول :

« فأما قول النابغة : « وصدر أراح الليل عازب همه » فانه جعل صدره مألوفا للهموم ، وجعلها كالنعم العازبة بالنهـار عنه ، الرائحة مع الليـــل اليه ، كما تريح الرعاة الســـائمة بالليل الى أماكنها ، وهو أول من وصف أن الهموم متزايدة بالليـــل ، وتبعه الناس » ..

والمبتدىء بالاحسان فيه امرؤ القيس ، فانه بحذقه ، وحسن طبعه ، وجودة قريحته ، كره أن يقول : «ان الهم فى حبه يخفف عنه فى نهاره ، ويزيد فى ليله ، فجعل الليل والنهار سواء عليه ، فى قلقه وهمه ، وجزعه وغمه . فقال :

ألا أيهـا الليـــل الطويل ألا انجلى

بصبح وما الاصـــباح منك بأمثـــل

فأحسن فى هـــذا المعنى الذى ذهب اليه ، وان كانت العادة غيره ، والصورة لا توجبه ٠

ثم يتناول الصولى قول الطرماح فى هذا الموضوع ـ ويقول: « انه اتبع امرأ القيس ثم أراه اســـتحالة معناه فى المعقول ، وأن الصورة تدفعه ، والقياس لا يوجبه ، والعادة غير جارية به ، حتى لو كان الراد عليه من حذاق المتكلمين ٠٠ فانه ابتدأ قصيدة فقال :

ألا أيهـــا الليـــل الطويل ألا أصبح
ببم وما الاصـــــباح فيـك بأروح

فأتى بلفظ امرىء القيس ومعناه ، ثم عطف محتجا مستدركا فقال :

بلى ان للعينين فى الصـــبح راحـــة
لطرحهـــما طرفيهما كل مطرح

فأحسن فى قـــوله وأجمل ، وأتى بحق لا يدفـــع ؛ وبين الفرق بين ليله ونهاره ، وانما أجمع الشعراء على ذلك من تضاعف بلائهم بالليل ، وشدة كلفهم لقلة المساعد ، وفقد المجيب ، وتقييد اللحـــظ عن أقصى مرامى النظر الذى لا بد أن يؤدى الى القلب ، بتأمله سببا يخفف عنه ، أو يغلب عليه فينسى ماسواه ٠٠

ويواصل الصولى كلامه فيقول ٠٠ « وأبيات امرىء القيس فى وصف الليل أبيات ، اشتمل الاحسان عليها ، ولاح الحذق فيها ، وبان الطبع بها ، فما فيها معاب الا من جهة واحدة ـ عند أمراء الكلام والحذاق بنقد الشعر وتمييزه ـ ولولا خوفى من ظن بعضهم أنى أغفلت ذلك ما ذكرته ، والعيب قوله :

فقلـت له لمـــا تمطى بصلبه
وأردف اعجـــازا وناء بكلكل

ألا أيها الليل الطويل .....

فلم يشرح قوله (فقلت له) .. ما أراد ، الا فى البيت الثانى، فصار مضافا اليه ، متعلقا به ، وهذا عيب عندهم(١) ، لأن خير الشعر ما لم يحتج بيت منه الى بيت آخر ، وخير الابيات ما استغنى بعض أجزائه ببعض الى وصوله الى القافية » .

(ب) ويقارن الصولى كذلك – بين ما قالته مجموعة من الشعراء من عصور مختلفة تناولوا موضوعا واحدا ..

فيقارن بين قول زهير بن أبى سلمى من الجاهليين ، وقول أبى تمام والبحترى من المحدثين حول موضوع استبشار المسئول وانفراج أساريره ، وبشاشة وجهه حينما يسأل حاجة أو معروفا . فنرى **الصولى يثبت السبق فى المعنى** لزهير .. وأن ابا تمام بل كل الشعراء تبعوه .. فيقول (٢) :

« وأول من أتى بفرح المسئول وطلاقة وجهه – ثم أخذه الناس فولدوه فقالوا : السؤال أحلى عنده من الغناء ، وراجيه أحب اليه من معطيه – زهير » .. قال :

تراه اذا ما جئته متهللا
كأنك تعطيه الذى أنت سائله

ثم أخذه أبو تمام فقال :

ومجربون سقاهم من بأسه
فاذا لقوا فكأنهم أغمار

---

(١) هذا العيب يسمونه التضمين (أنظر الشعر والشعراء لابن قتيبة – مقدمته عن عيوب الشعر) .

(٢) أخبار ابى تمام ص ٨١ .

فتبعهما البحترى فقال :

ملك له فى كل يـوم كريهة
اقـدام غر واعتـــزام مجرب

ثم يقرر الصولى ـ حقيقة هامة تتصل بمعانى المحدثين التى أخذوها من القدماء ـ فيقول : «ان المحدثين حقيقة أخذوا من معانى الشعراء القدماء ، وتناولوا أغراضهم ، ولكنهم طوروها بما يتناسب مع عصرهم وحضارتهم ، فزادوا عليها ، وزخرفوها ببديعهم ، فتم لهم المعنى ؛ فصاروا أحق بهذه المعانى (١) » .

(ج) وكثيرا ما يقارن الصولى بين ما أخرجته قريحة شاعرين محدثين حول معنى واحد ..

فنراه يقارن بين ما أخرجته قريحة أبى تمام وقول أبى نواس حول معنى تدوول كثيرا بين الشعراء وهو «الافراط فى الاعطاء» ، فيقارن بين قول أبى تمام (٢) :

ما زال يهـذى بالمواهب دائبا
حتى ظننا أنه محمـوم

وقول أبى نواس :

جـــدت بالأمـــوال حتى
قيل ما هـــذا صـحيح

ويقول : « ان شعر أبى تمام أحسن وأجود فى معناه ، لأن المحموم أحسن حالا من المجنون ، لأن هذا يبرأ فيعود صحيحا كما كان ، والمجنـــون قلما يتخلص من مرضه ، فأبو تمام فى تشبيهه الافراط فى الاعطاء والبذل باكثار المحموم ، أعذر من أبى نواس اذ شبهه بفعل المجنون ، فلهذا كان معنى أبى تمام أجود » .

---

(١) أخبار أبى تمام ص ٥٤ .

(٢) أخبار أبى تمام ٢٢ .

(د) **وفى مجال البلاغة ، وحول موضوع « التشبيه »** • نرى الصولى يدلى بدلوه ، فيقارن بين تشبيهات القدماء وتشبيهات المحدثين • يقارن دون تعصب لفريق منهم ضد فريق آخر ، ولكنه قصد الى اظهار أن الاوائل اذا كانوا قد شبهوا فسبقوا وأحسنوا ، فان المحدثين أيضا لا يقلون عنهم مقدرة وفنا ، ان لم يتميزوا عنهم من حيث رقة التعبير وعذوبة الالفاظ ، والبعد بها عن جفاف الصحراء ووحشية اللغة • فنجده يتناول تشبيهات امرىء القيس ــ التى استحسنها الناس ــ حيث شبه شيئين بشيئين فى بيت واحد ، فقال فى وصف عقاب (١) :

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا
لدى وكرها العناب والحشف البالى(٢)

ويقول : « اذا كان الناس قد قالوا : لا يقدر أحد بعده على أن يأتى بمثله ، فان بشار وهو أعمى أكمه لم ير بعينه قط ، شبه حدسا شيئين بشيئين ، فأحسن فى ذلك وأجمل فقال :

كأن مثار النقع فوق رءوسنا
وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

ثم نحا هذا ونبغ فيه أيضا شاعر محدث آخر ، وهو منصور النمرى ، شاعر الرشيد فقال :

ليل من النقع لا نجم ولا قمر
الا جبينك والمذروبة الشرع (٣)

وقال العتابى أيضا مشبها شيئين بشيئين :

تبنى سنابكها من فوق رءوسهم
سقفا كواكبه البيض المباتير

---

(١) رسالة الصولى الى مزاحم ١٧ .

(٢) العناب : ثمر أحمر ، والحشف : التمر الجاف .

(٣) المذروبة الشرع : الرماح المشرعة .

ويختم الصولى مقارنته هذه بأنه لايجب أن يكون هناك تعصب بين قديم ومحدث ، ولكن التقدير يكون حسب جودة الفن ، ومقدرة الشاعر على الايحاء بصور يحس بها الآخرون ٠

ويرفض الصولى مبدأ سرد الاحكام العامة ٠٠ الذى يقول : ان هذا الشاعر «أشعر الناس» ، أو أن ذلك أشعر من هذا ٠٠ فيرى أن كل شاعر ـ حسب عصره وطبقته ـ له امكاناته الفنية ، وفى شعره مواطن الجودة ومواطن الضعف ، وأن لكل شاعر فى شعره أمثلة عديدة على جودته فى معان معينة ، وضعفه فى معان أخرى ، ويضرب لذلك مثلا ـ أن جماعة من أهل الادب تعصبوا لأبى نواس ضد بشار ، فقالوا : «ان أبا نواس أشعر من بشار» ، فرد الصولى عليهم ذلك ، وعرفهم ماجهلوه من فضل بشار وتقدمه فى الشعر ، وأنه رأس جميع المحدثين وأولهم ، وقامت المقارنات بين شعر الرجلين وبين معانيهما ، فكان كلما ذكر أحدهم شيئا لأبى نواس ، جاء الصولى بأصله فأفحمهم (١) ٠

(هـ) وفى سلسلة مقارنات الصولى النقدية ، نراه يتعرض لمذهب الطبع والصنعة فى الشعر ، ويقارن بين شعراء المذهبين ، وأخص خصائصهم ، وطريقتهم فى التعبير ، ويحدد السمات البارزة لطريقة كل منهم فى النظم ٠ فيقارن بين أبى تمام بوصفه امام مدرسة الصنعة ، وابن أبى عيينة المطبوع فيقول (٢) :

« ولا أعلم شاعرين أشد تباينا ولا أبعد شبها من أبى تمام وابن أبى عيينة المطبوع ، فان أبا تمام يصنع الكلام ويخترعه ، ويتعب فى طلبه حتى يبدع ، ويستعير ويغرب فى كل بيت ان

---

(١) أخبار ابى تمام ص ١٤٢ ٠

(٢) أخبار البحترى ١٦٥ ٠

استطاع ٠٠ ولا يسقط معناه البتة ، وانما يختل فى الوقت لفظه ، فاذا استوى له اللفظ ، فهو الجيد من شعره ، النادر الذى لا يتعلق به . وابن أبى عيينة لايصنع من هذا شيئا ، ويرسل نفسه فى شعره على سجيته ، ويخرج كلامه مخرج نفسه بغير كلفة ٠٠ وربما اختل معناه ، ولان لفظه للطبع ٠٠ »

٢ ــ الدفاع عن أبى تمام ومذهبه الجديد :

وعصر الصولى يعتبر العصر الذى بلغ الهجوم فيه على أبى تمام وشعره مداه . فقد خلف أبو تمام وراءه حملة واسعة من النقد ، شنها عليه نقاد وشعراء ، تناولوا شعره بالتحليل والنقد بمايتناسب مع هواهم وأفكارهم ، وأخضعوا شعره لمقاييسهم ، فخرجوا أغلبه عن الاصول والقواعد الموضوعة والمتوارثة ، رافضين تجديده ومذهبه الشعرى .

انبرى الصولى للدفاع عن أبى تمام ، وعن مذهبه الجديد فى الشعر ، فوجه سهام نقده الى مهاجميه الجامدين ، الواقفين عند حدود القديم ، الذين يرفضون الجديد لا لشىء الا لجدته ، ولايرضون عن القديم بديلا ، لا لشىء الا لقدمه ، وسفه أفكارهم وأظهر تزمتهم وجهلهم ، ووصفهم بضيق الأفق ، وقلة الدراسة والاطلاع ، معللا ذلك بأنهم لم يسمعوا أشعارا مثلها فى معانيها وصورها وأخيلتها ، لذلك اعتبروها خروجا على الشعر العربى الموروث .

ولقد حدد الصولى ــ فى دفاعه عن أبى تمام ــ أن المهاجمين له ولفنه صنفان :

١ ــ صنف جاهل(١) ليس له غرض الا أن يقرأ بعض القصائد ويحفظ بعض غريبها ويتعلم من النحو بعض المسائل ، ثم يحضر

(١) رسالة الصولى الى مزاحم ص ١١ .

مجالس الادباء والنقاد ، وهو لا يعرف سوى ما قرأه ، حتى اذا وهم أحد من بالمجلس فى شيء أو نسيه رده وطار به ، وظن أنه بهذا فوق هذا الناقد ، وأعلم منه . ولعل هذا الاديب أو الناقد يحفظ ألفا من ذلك بل أكثر ؛ وان هذا الجاهل لو صدر بنفسه فى مسألة من المسائل ماأحسن فيها .

٢ ـ أما الصنف الثانى ، فهم من أتباع المذهب القائل «خالف تذكر» (١) الذين يظنون أنهم بالطعن فى أبى تمام سيكتسبون شهرة وسيجتلبون معرفة .. فهذا الصنف ـ وهو خامل ساقط ـ يؤلف فى الطعن عليه كتبا ، ويستغوى عليه قوما ، ليعرف أنه بخلاف الناس ، وليتحدثوا عنه أنه ينتقص أبا تمام .

ويقول الصولى فى دفاعه عن أبى تمام : « ان الشعراء قبله كانوا يبدعون فى بيت أو بيتين من القصيدة فيعتد بذلك لهم ، من أجل الاحسان ، حتى جاء أبو تمام ، فأخذ نفسه ، وسام طبعه أن يبدع فى أكثر شعره» ، ولقد فعل ذلك ونبغ وظهر احسانه فى معظم شعره (٢) ..

ثم يعلن رأيه فى أبى تمام ـ صراحة ـ فيقول : ان أبا تمام نابغة الزمان ، وزعيم المجددين ، وأن من يتبحر شعره ، سيجد أن كل محسن بعده لائذ به ، منتسب اليه فى كل احسانه » . ويتناول ما قاله أبو تمام فى المعانى التى قال فيها غيره من الشعراء ، ويوضح مدى اجادته وتفوقه ، ويقول ان شعر أبى تمام لا يفهمه الا من أعمل فكره وخاطره وقلبه فيما يقرأه ، وينعى على المهاجمين عدم فهمهم له وتكلمهم فيه بالجهل ، ويفرد لذلك أبحاثا أدبية فى شناعة أخطاء من يجهلون شعره ومعانيه ، ويأخذ الكثير من معانيه ويحللها تحليلا

---

(١) المصدر نفسه ٢٨ .

(٢) أخبار أبى تمام ص ٣٨ .

جميلا ، موضحا ما خفي على قلوبهم وعقولهم ، مظهرا صدق تعبيره ، ورجاحة عقله ، وحسن تصرفه فى المعانى ، واتمامه لما قد يكون قد تنوول من قبل من المعانى القديمة . يقــول الصولى فى أحد هذه الابحاث(١) :

«ومن أعجب العجب ، وأفظع المنكر ، أن قوما عابوا قوله :

كأن بنى نبهــان يــوم وفاته
نجوم سماء خر من بينها البدر

فقالوا : أراد أن يمدحه فهجاه ، كأن أهــــله كانوا خاملين بحياته ، فلما مات أضاءوا بموته .. وقالوا : كان يجب أن يقول كما قال الخريمى :

اذا قمــر منهم تغور أو خبــا
بدا قمر فى جانب الأفق يلمع

ولا أعرف لمن صح عقله ، ونفذ فى علم من العلوم خاطره عذرا فى مثل هذا القول ، ولا أعذر من يسمعه فلا يرده عليه ، اللهم الا أن يكون يريد عيبه والطعن عليه .

ولم يعرض من يذهب هذا عليه ، لعلم الشعر والكلام فى معانيه ، وتمييز ألفاظه ؟ . ولعله ظن أن هذا العلم مما يقع لأفطن الناس وأذكاهم من غير تعليم وتعب شديد ، ولزوم لأهله طويل ، فكيف لأبلدهم وأغباهم ؟ . وليس من أجابه طبعه الى فن من العلوم أو فنين أجابه الى غير ذلك ، قد كان الخليل بن أحمد أذكى العرب والعجم فى وقته باجماع أكثر الناس ، فنفذ طبعــه فى كل شىء تعاطاه ، ثم شرع فى الكلام فتخلفت قريحته ، ووقع منه بعيدا ، فأصحابه يحتجون عن شىء لفظ به الى الآن .

وليت شعرى ، متى جالس هؤلاء القوم من يحسن هــــذا أو

---

(١) أخبار أبى تمام ١٢٥ ومابعدها .

أخذوا عنه ، وسمعوا قوله ؟ أتراهم يظنون أن من فسر غريب قصيدة أو أقام اعرابها ، أحسن أن يختار جيدها ، ويعرف الوسط والدون منها ، ويميز ألفاظها ؟ وأى أئمتهم كان يحسنه : آلذى يقول وهو يهجو الأصمعى بزعمه :

انى لأرفع نفسى اليوم عن رجل
ما شكله لى شكل بل هو النابى

أو الذى يقول فى مجلس بعض أجلاء الكتاب ، وقد حلفه صاحب المجلس أن ينشده من شعره فاستعفاه ، فلم يزل به الى أن أنشده لنفسه :

من يشترى شيخا بدرهمين
قد شاخ ثم در مرتين
ليس له سوى ثنيتين

فهذه أشعار أئمتهم ، وما ظننت أن أحدا يتعلق بقليل الأدب يجهل هذا الذى عابوه على ابى تمام ، ولا أن الله عز وجل يحوجنى الى تفسير مثله أبدا ..

ثم يستشهد الصولى بمجموعة أشعار فى نفس المعنى ، ويستشهد أيضا بأقوال النقاد والعلماء ، ثم يوضح معنى أبى تمام فيقول : « فأراد أبو تمام تفضيله عليهم وان كانوا أفاضل ؛ وليس ضياء البدر يذهب بالكواكب جملة ، ولا ينقل طبعها ، ولكن المستضىء به أبصر من المستضىء بالكواكب ، فاذا فقد البدر استضاء بهذه وهى دونه ، فكأن أبا تمام قال : ان ذهب البدر منهم ، فقد بقيت منهم كواكب » .

واذا كان الصولى قد دافع عن ابى تمام دفاعا قد يصل الى حد التعصب ، الا أنه لم يكن تعصبا أعمى ، على غير سند يؤيده ، أو دليل يدعم به آراءه ، بل انه كان يدافع بعقلية الرجل الواعى ، المطلع ، المثقف ، الفاهم لما يقول ، المقدر لكل قدره .

ولقد أوضح الصولى أن من أكبر العوامل التى اشعلت نار

الحقد والخصومة ضد أبى تمام : تعرض شعره للتحريف نتيجة لجهل الناس فى الرواية ، وابدالهم ألفاظا محل ألفاظ ، فكان ذلك مدعاة لزيادة حد النقد عليه . يقول - بعد أن صحح بعض الروايات وتحرى صدقها : « وان أنصف من يقرأ هذا وأشباهه من تفسيرنا - علم أن أحدا لم يستقل بمثله ، ولاعلم حقيقة الكلام كما علمناه الا أن يتعلمه من هذه الجهة متعلم ذكى فهم فيبلغ فيه ، وهذا دليل على حذق أبى تمام ، وجهل الناس فى الرواية (١) » .

٣ - تحليل ألفاظ الشعراء ومعانيهم :

وللصولى نظرات نقدية تتصل بألفاظ الشعراء ومعانيهم ، كتب الصولى فيها أبحاثا قيمة ، وهذه النظرات والآراء نجدها مبثوثة فى معظم كتبه ، كما نجدها فى كتب غيره من النقاد والادباء يستشهدون بها ويوثقون كلامهم . ونظرات الصولى هذه لم يقصرها على شعراء عصر دون عصر ، بل شمل بها شعر جميع الشعراء الذين كان لهم شأن فى عصورهم . فنراه يتعرض لذلك النقد الذى وجهه النابغة الذبيانى الى حسان بن ثابت حين عرض عليه قصيدته التى يقول فيها : (لنا الجفنات الغر ..) طالبا منه تقييمها والحكم عليها .. فقال له النابغة .. « أنت شاعر ، ولكنك أقللت أجفانك وأسيافك ، وفخرت بمن ولدت ، ولم تفخر بمن ولدك » .. يعلق الصولى على نقد الذبيانى فيقول (٢) : « ..فانظر الى هذا النقد الجليل ، الذى يدل على نقاء كلام النابغة ، وديباجة شعره ، قال : أقللت أسيافك ، لأنه قال : «وأسيافنا» وأسياف جمع لأدنى العدد ، والكثير سيوف ، والجفنات لأدنى العدد ، والكثير جفان .. وقال : فخرت بمن ولدت ، لأنه قال : ولدنا

(١) أخبار ابى تمام ص ٢١٨ .

(٢) الموشح ص ٨٣ .

بنى العنقاء ، وابنى محرق ، فترك الفخر بآبائه ، وفخر بمن ولد نساؤه» .

وحول تحليل ألفاظ الشعراء ومعانيهم ، تناول الصولى قول الشعراء وما ارتآه النقاد العلماء وغيرهم ، وفند أقوالهم ، ثم ذكر آراءه الشخصية . من ذلك تحليله لألفاظ ومعانى أبى تمام والبحترى حول كرم الممدوح وبشره ، قال أبو تمام (١) :

يستنزل الأمل البعيد ببشره
بشرى المخيلة بالربيع المغدق
وكذا السحائب قلما تدعو الى
معروفها الرواء مالم تبرق

وقال البحترى فى المعنى نفسه :

كانت بشاشتك الأولى التى ابتدأت
بالبشر ثم اقتبلنا بعدها النعما
كالمزنة استوبقت أولى مخيلتها
ثم استهلت بغرر تابع الديما

يقول الصولى محللا ألفاظ الشاعرين ومعناهما : لقد تبع البحترى أبا تمام ، فاحتذى معانيه .. فجذبته المعانى ، واضطرته الى أن حكى لفظه فى هذا ، فصار يشبه لفظ أبى تمام . ولفظ البحترى فى أكثر هذه « أسهل » .. ولا أعرف أحدا بعد أبى تمام أشعر من البحترى ، ولا أغض كلاما ، ولا أحسن ديباجة ، ولا أتم طبعا .. فالبحترى مستوى الشعر ، حلو الألفاظ ، مقبول الكلام» .

أما عن المعانى المستحدثة ـ التى اخترعها شعراء العصر ـ فطالما حللها الصولى مبينا مواطن الجمال أو القبح . فاذا كانت قد

(١) أخبار البحترى ٦٠ .

استعملت من قبل ، تناول ذلك ، وذكر الشاعر المتبوع مبينا مدى جودة التابع أو رداءته .

ولم يقتصر تحليل الصولى لألفاظ الشعراء ومعانيهم على الشعراء المحترفين .. بل تعدى ذلك ليشمل نقد وتحليل ألفاظ شعر الخليفة الراضى . ففى غمرة الفرح بالانتصار على أعدائه ، نظم الراضى أبياتا تعرض بها للذين ناوءوا الخلافة فقال (١) :

أبعد ماقد حلبت الدهر أشطره
محاربا لخطوب حكمها جارى

وفلقت حيلى هام الرجال أرى
والغيب يخمد ما أذكيت من نار

صممت عن صبوات يستجيب لها
ناس بأوتار لهو ثأر أوتار

ومل لذات لهوى جيش عارفتى
وقلم العزم منى نقر أوتارى

حتى رحضت بتحريضى العدو على
قتل العدو ثياب الذل والعار

كذاك من تنهض السادات همته
لايغمض العين مغلوبا على ثار

ترى الصولى يحلل هذه الأبيات وينقدها ، ويقول للراضى : « ان فيها شيئا يجب تغييره ، قال الراضى : ماهو ؟ .. قال . قولك :

---

(١) أخبار الراضى ص ٥١ .

حتى رحضت بتحريضي العدو على
قتـــل العـــدو ....

اجعله : * بتحريضى الولى على
قتـــل العـــدو ....

فقال الراضى : صدقت والله .. خرج الكلام على مافى نفسى ، فغيره .

٤ ـ هجوم الصولى على النقاد المتعصبين :

أدى تجديد الشعراء المحدثين لالفاظهم ، ومعانيهم واستحداثهم للصور والأخيلة التى تناسب معيشتهم وحضارتهم ، الى انقسام النقاد من معاصريه امام هذا التجديد الى فريقين ،كلاهما يتساءل . هل ما استحدثه الشعراء تجديد حقا أم هو تبـديد وخـروج عن المألوف والموروث ؟ وهل من حق الشاعر أن يجدد فى أسـلوبه وصياغته أم أنه لا بد أن يلتزم بعمود الشعر القديم ؟ وازاء ذلك نرى النقاد ينقسمون الى قسمين :

* قسم ينصر هذا التجديد فى الفن الشعرى ، وفى التصوير والتنميق .

* وقسـم ينكـره ويخذله ، وينعى عليه اسرافه فى البديع والزخرفة ، ويعتبر هذا الأسـلوب المستحدث دخيـلا على المجتمع الأدبى .

فأما من تعصب للشعر القديم وطريقة القدماء ، فقد كرهوا التجديد ، وشعر المحدثين ، ووصفوه بأنه خروج على طريقة السلف ، وعلى عمود الشعر العربى المعروف .

وأما من تذوق الشعر الجديد ، ومرن ذوقه وعقله ، واستساغ

هذا الفن ، وأحس بقيمة التجديد ، وفهم أخيلته وصياغته وتعبيراته الفلسفية .. فقد أعجب بشعر المجددين وشاعريتهم وبخاصة من عمق فكره ، وبعد خياله واتسعت ثقافته ، وأنير عقله من أمثال الصولى .. فنراه يتصدى لهؤلاء النقاد المتزمتين ، المهاجمين للتجديد رافضا مبدأ التعصب سواء للقديم أو للحديث ، قائلا ان الجودة الفنية هى الفيصل فى الحكم على الشعر والشعراء ، وليس القدم أو الحداثة .. فقد نبغ شعراء أوائل وسقط غيرهم من عصرهم ..

ويعلل الصولى تعصب النقاد للقديم بأنهم (١) « لم يجدوا فى شعر المحدثين منذ عهد بشار أئمة كأئمتهم ؛ ولا رواة كرواتهم ، الذين تجتمع فيهم شرائطهم، ولم يعرفوا ما كان يضبطه ويقوم به » وقصروا فيه ، فجهلوه فعادوه ، كما قال الله عز وجل « بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه(٢)» وكما قيل، الانسان عدو ماجهل، ومن جهل شيئا عاداه؛وفر العالم منهم من قوله اذا سئل أن يقرأ عليه شعر بشار وأبى نواس ومسلم وأبى تمام وغيرهم ، من لا أحسن الى الطعن ، وبخاصة على أبى تمام لأنه أقربهم عهدا وأصعبهم شعرا . وكيف لايفر الى هذا من يقول : اقرءوا على شعر الأوائل ، حتى اذا سئل عن شىء من أشعار هؤلاء جهله ، والى أى شىء يلجأ الا الى الطعن على مالم يعرفه ، ولو أنصف لتعلم هذا من أهله كما تعلم غيره ، فكان متقدما فى علمه ، اذ كان التعلم غير محظور على أحد ولا مخصوص به أحد » .

ثم ينعى الصولى عليهم جمودهم وتعصبهم وميلهم للطعن دون ما تمحيص أو فهم أو دراسة معتقدين أن الطعن على الناس وسيلة لرفعتهم وتقدمهم . ويصف أكثرهم بأنهم سطحيون لا يتعمقون فى

---

(١) أخبار ابى تمام ص ١١ .

(٢) أخبار أبى تمام ص ١٤ .

العلم أو فى الأدب، لم يجد عندهم الا القشور، ليس غرض الواحد منهم الا أن يقرأ قصائد ، ويحفظ بعض غريبها ، ويتعلم من النحو مسائل ، وينظر من اللغة فى كتاب، ثم يحضر المجالس غير مستزيد ولا مستفيد ، فان وهم صاحب المجلس فى شيء أو نسيه ، اختلسه وطار به وظن أنه – اذ حفظ بيتا من الشعر ، أو معنى من المعانى لم يحفظه صاحب المجلس – فوقه واعلم منه ، ولعل صاحب المجلس يحفظ ألفا مثل ذلك ، ولو صدر هذا الجاهل بنفسه ، ثم سئل عن ألف مسألة فيها المتصدر كلها ما أحسن أن يجيب فى مسـألة واحدة منها (١) ٠

ويدعو الصولى العلماء الى البحث والتحليل ، والتعمق فى الدراسة والاطلاع على علوم الأولين والمحدثين ، والأخذ عن الاساتذة المشهورين ، حتى يثقفوا أنفسهم ، ويكمل كل منهم النقص فى الجانب الذى جهله ، وبذلك يستطيع المرء منهم الحكم على الشعراء ، وتمييز ألفاظهم ، والحكم بالجيد أو الردىء لهم ، دون تعصب ٠

٥ – السرقات :

شغل موضوع السرقات معظم النقاد فى عصر الصولى وما بعده ، حتى لقد كان شغلهم الشاغل أن يذكروا من أين أخذ هذا الشاعر معناه ، ومن سبقه اليه ، ومن منهما أجاد ، الشاعر التابع أو المتبوع ٠ ولعل السبب فى ذلك أن الشعر العربى بعد أن وصل الذروة الفنية فى العصر العباسى على يد كبار الشعراء ، جمد واتخذ صورة ثابتة لاتتحول ، محورها الموضوعات القديمة ، والمعانى القديمة حتى اذا وصلنا الى أخريات عصر الصولى – فى

---

(١) رسالة الصولى الى مزاحم ١١ ٠

القرن الرابع الهجرى ـ نجد أن الشعر العربى قد ارتبط بصورة ثابتة وبمعان تكاد تكون متكررة .

ويرى أستاذنا الدكتور شوقى ضيف أن السبب فى هذه الظاهرة يرجع الى أن العرب لم ينحوا فى شعرهم نحوا فلسفيا أو علميا ، لأنهم لم يطلعوا على شيء من الأدب اليونانى ، فاستمروا يعيشون فى شعرهم معيشة داخلية فيها نوع من القصور الذاتى .. وخيل اليهم أنهم ليسوا فى حاجة الى مدد من الخارج ، فحسبهم ما فى شعرهم من جمال ، على أن هذا الجمال سرعان ما أصابه الجمود فى القرن الرابع وما بعده ؛ فلم ينوع الشعراء أفكارهم ؛ بل لجئوا الى ألوان غريبة كالمبالغة ، واستعاروا بعض الألفاظ من الثقافات دون أن ينوعوا موضوعاتهم فى معانيهم (٢) .

جمع عصر الصولى بين العديد من فحول الشعراء ، كان أهمهم فى نظر النقاد أبو تمام والبحترى ، فساعد وجودهما وما دار حولهما من مناقشات ومقارنات وسرقات ، على تنشيط حركة النقد التى شغلت نقاد القرن الثالث جميعا وما بعده ، وخلفت لنا ذخيرة نادرة فى النقد الأدبى ، وثروة لم نظفر بمثلها فى أى عصر من عصور الأدب السابقة .

تناول الصولى موضوع السرقات بين الشاعرين الكبيرين ، فأظهر أن البحترى تابع لأبى تمام ، لائذ به متمثل بمعانيه ، سائر على هديه ، آخذ منه ، وضرب لذلك المثل تلو المثل ، مستشهدا بكثير من الأشعار التى تثبت قوله ، من ذلك قول أبى تمام (١) :

اذا القصائد كانت من مدائحهم
يوما فأنت لعمرى من مدائحها

---

(١) أخبار أبى تمام ٧٦ وما بعدها .

(٢) الفن ومذاهبه فى الشعر ص ٢٩٢ .

أخذ البحترى فقال :

ومن يكن فاخرا بالشعر يذكر فى
أصنافه ، فبــك الأشعار تفتخر

وقال أبو تمام :

واذا أراد الله نشر فضــيلة
طويت أتاح لهـا لسان حسود

فأخذه البحترى فقال :

ولن تستبين الدهر موضــع نعمة
اذا أنت لم تدلل عليها بحاسـد

ويبين الصـولى بما لا يدع مجالا الى الشك ، وبطريقـة عملية أن البحترى لم يتبع أبا تمام فى معانيه فحسب ، بل انه يستعير أيضا كثيرا من ألفاظه ، حتى صار طبعه – فى بعض الأحيـان – تكلفا ، وسهله صعبا (١) .

وسرقات الشعراء وأخذهم معانى بعضهم البعض – على مختلف العصور – اعترف به القدماء والمحدثون جميعا ، وهذا ما جعـل الصولى يتناول هذا الموضوع ، فيدافع عن الشعراء المحدثين ..

والحقيقة .. أن الصولى كان أكثر النقاد انصافا للمحدثين ، فهو لم ينف عنهم تهمة السرقة والتبعية للأوائل .. بل اعترف أن المحدثين يسيرون بريح القـدماء آخذين معانيهم مضــمنين لها فى أشعارهم يصبون على قوالبهم ، وان لهم الســبق بحق الاختراع والابتداء والطبع (٢) . ولكنه يقرز أيضا أن المحدثين اذا كانوا قد

---

(١) أخبار ابى تمام ٧٥ .

(٢) المصدر نفسه .

استعملوا معانى القدماء ، وأحيانا أفكارهم وصورهم ، الا أنه وجد فى شعر المحدثين معانى لم يتكلم القدماء بها ، ومعانى أومأوا اليها ، فأتى بها هؤلاء المحدثون فأحسنوا فيها ؛ فضلا على أن شعرهم بمعانيه القديمة والحديثة ـ طوعوه لكى يتناسب مع الزمان والحضارة من حيث المعانى البديعة ، والألفاظ السهلة القريبة ، والكلام العذب الرقيق ، لذلك كان الناس له أكثر استعمالا فى مجالسهم وكتبهم وتمثلهم ومطالبهم (١) . فهو وان كان لا ينفى تهمة السرقة عن المحدثين ، الا أنه دائما يربطها بالتجديد ، ويذكر أهم ما تواضع عليه النقاد والعالمون بالشعر فى عصره وهو : أن الشاعر متى أخذ معنى قديما فطوره ونقحه وزاد عليه ووشحه بالبديع ، فظهر تام المعنى .. كان أحق به (٢) . ويضرب لذلك مثلا بقول أوس ابن حجر (٣) :

أقول بما صبت على غمامتى
وجهدى فى حبل العشيرة أحطب

وكيف ان أبا تمام أخذ هذا المعنى وطبعه بطابعه ، وأخرجه مخرجا حسنا ، فكان به أحق من أوس بن حجر فقال :

فلو كان يفنى الشعر أفنته ما قرت
حياضك منه فى العصور الذواهب
ولكن صوب العقول اذا انثنت
سحائب منها أعقبت بسحائب

ويتلو الصولى حكم النقاد فى قضية السرقات فيقول (٤) :

---

(١) أخبار أبى تمام ١٧ .
(٢) المصدر نفسه ص ٤٦ .
(٣) المصدر نفسه ٥٤ .
(٤) المصدر نفسه ١٠٠ .

« حكم النقاد للشعر ، العلماء به ، قد مضى بأن الشاعرين اذا تعاورا معنى ولفظا أو جمعاهما ، أن يجعل السبق لأقدمهما سنا ، وأولهما موتا ، وينسب الأخذ الى المتأخر ، لأن الأكثر كذا يقع ... وان كانا فى عصر ، ألحق بأشبههما به كلاما .. فان أشكل ذلك .. تركوه لهما » .

ولقد أفرد الصولى لمبحث السرقات أكثر من بحث ، وتحدث عنها فى أكثر من مجال ، حتى ليمكن القول أنه لم يترك شاعرا من الشعراء الذين تناول شعرهم الا وجد فى شعره أكثر من معنى مأخوذ من شاعر آخر قديم أو معاصر .

بعد هذه النظرة السريعة على آراء الصولى النقدية ، نستطيع أن نصل الى أهم ما يمتاز به فى تحليله للشعر ونقده .. انه يدعم الفكرة عنده بأدلة مأخوذة من الواقع الملموس ، الواضح بين يديه ، كما فى حديثه عن ألفاظ القدماء والمحدثين ، وأن له حاسة خارقة ، قادرة على تذوق الشعر وفهمه ، وتمييز الجيد من الردىء ، وتمييز الشعر المطبوع من المصنوع .

ومن آرائه النقدية نستطيع أن نلمس أن للصولى يدا باسطة فى نقد الشعر ، ونظرا ثاقبا فى تقدير مراتب الشعراء الجاهليين والاسلاميين والمحدثين .. ولقد أهلته مكانته الأدبية وآراؤه النقدية ، أن يكون له رأى فى تقييم الأشعار والمدائح التى كانت تنشد فى مجالس الخلفاء والوزراء ، يعقب عليها تعقيب الخبير ، فيوثقها ويعللها ، وتعقيباته تشهد بعلو كعبه فى الأدب والنقد ، كما تشهد باطلاعه الواسع ، وذوقه الرائع . وهو لا يسرد أحكامه جزافا ، بل يوضح ويشرح ويعلل ، مما ساعد على ارساء قواعد سليمة وواضحة فى النقد الأدبى .

وقد اعترف بمكانة الصولى الأدبية والنقدية علماء عصره جميعا ، فذكروا أنه كان عالما بالشعر ونقده ، عارفا بطبقات الشعراء . كما أكثر النقاد التالين من تلاميذه ، من الأخذ عنه ، والنقل منه ، والاستشهاد بآرائه ونظراته وتعليقاته ، وها هو المرزبانى ، قد جمع مئات الآراء والنظرات عنه فى الشعر ونقده ، وفى الشعراء ومذاهبهم ، فرصع موشحه بآراء الصولى النقدية حتى لقد قال بعض النقاد المحدثين « كأن الموشح من عمل الصولى نفسه (١) » .

(١) عبارة المستشرق ج . هيورث . دن مقدمة أخبار الشعراء للصولى : الصفحة (ك) .

● الفصل الرابع

الصولى المعلم

رأينا فى الفصول السابقة ـ التى تتصل بأدب الرجل ـ الصولى الشاعر ، والناثر ، والناقد ، وسنرى فى هذا الفصل : « الصولى المعلم » ، من خلال كتابه التعليمى القيم « أدب الكتاب » الذى ألفه خصيصا لتعليم الكتاب أصول حرفتهم ، وهى الكتابة عامة ، والكتابة الديوانية خاصة .

« وأدب الكتاب » ـ كتيب صغير ، ولكنه يحوى الكثير من المواد اللغوية والأدبية والثقافية . التى تعين الكتاب وتصقل مواهبهم ، وتمدهم بالمعلومات .. هذا بالاضافة الى العديد من المواد الفقهية المتصلة بالخراج والجزية وحساب الأموال ، وغير ذلك من الأمور التى تهم عمال الدولة وكتابها الرسميين .

ألف الصولى هذا الكتاب ـ حين رأى أن الكتب الموضوعة فى هذا المجال كتب عامة تتسم بفوضى التأليف (١) .. مسألة من

(١) ضحى الاسلام .. الأستاذ أحمد أمين ١/١٧٠ .

هنا ، ومسأله من هناك ، واستطراد لا ضابط له ، ومسائل من نوع واحد مفرقة ، ومسائل مجتمعة لا تنضوى تحت موضوع واحد ، وذلك ملحوظ فى كتب عديدة مثل البيان والتبيين للجاحظ ، والحيوان وغيرهما . كما أن هذه الكتب العامة لاتستطيع أن تخدم الطبقة التى ألفت من أجلها هذه الكتب . فهى غير قادرة على الوفاء بالغرض الذى ألفت من أجله ، ومن ثم وضع الصولى كتابه « أدب الكتاب » .

ولقد سلك فى تأليفه أسلوبا تعليميا جديدا ، يمتاز بالسهولة والوضوح ، والتعبير الدقيق عن الأفكار وترابطها ، حتى يستفيد منه أكبر قدر ممكن من الكتاب على اختلاف مستوياتهم . يقول فى مقدمة كتابه « هذا الكتاب ألفناه فيما يحتاج اليه أعلى الكتاب درجة ، وأقلهم فيه منزلة ، وجعلته جامعا لكل ما يحتاج اليه حتى لا يعول فى جميعه الا علية » (١) .

ولقد أيقن الرجل أن من سبقوه لم يتناولوا كل جزئيات هذا الفن ، ولم يوفوا هذا المجال حقه ، فجاء عملهم غير متكامل ، فنراه يلمزهم ، ويظهر عجزهم ، مبينا أنهم لم يقوموا بعملهم على الوجه الأكمل ، فلم يفيدوا غيرهم » .. وبمعنى أوضح نراه يتعرض لابن قتيبة (٢) بالذات . ويتهمه بالتقصير فيقول (٣) : « وهذا الكتاب هو المستحق أن يسمى أدب الكتاب على الايجاب لا على الاستعارة ، وعلى التحصيل لا على التمثيل .. فانى رأيت من صنف مثل هذا الكتاب ، ونسبه هذه النسبة ، ولم يحصل له منه الا تسميته دون تجسيمه ، وتعميته دون ايضاحه وتقريبه من

---

(١) مقدمة أدب الكتاب ص ٢٠ .

(٢) ألف ابن قتيبة كتاب « أدب الكاتب » .

(٣) أدب الكتاب للصولى ص ٢٠ .

المعنى الذى ألبسه اياه ونسبه اليه » · **لذلك جعل الصولى كتابه** « أدب الكتاب » شاملا جامعا لكل ما يحتاج اليه الكتاب من أمور تعينهم على القيام بمهام عملهم ، مدركا فيه ما كان ينقص كتب غيره ، فخرج لنا كتابه أوفى وأقدر وأمتع لطلاب المعرفة والعلم من الكتاب وراغبى الثقافة · وان يكن لم يعط بعد نصيبه وحقه من التقدير والمكانة ·

جعل الصولى كتابه هذا فى **ثلاثة أجزاء** ، ذكر فى كل منها أبوابا يكمل بعضها بعضا حتى يسهل على متداوله · وقد جعل **الجزء الأول** أدبيا بحتا ؛ وكونه ألفه للكتاب ؛ فقد تناول فيه بالشرح والتحليل (فضل الكتابة) ، وكيفية افتتاح الكلام فى المراسلات ، وطريقة تصدير الكتب ، كما تناول أداة الكتابة ووسيلتها ، فتكلم عن القلم وما جاء فى وصفه شعرا ونثرا ، وطرق بريه واعداده ، وتكلم **أيضا عن الخط وأنواعه وصفاته** ومميزاته وعيوبه · ولم تكن هذه الموضوعات هى كل ما تناوله الصولى فى قسمه الأول ، بل انه كان ينتقل من موضوع علمى الى موضوع ثقافى مفيد ، يهم القارىء والكاتب والأديب على السواء · كل ذلك فى أسلوب تعليمى يخدم المبتدئين والمتمرسين على السواء ·

وتناول الصولى فى **الجزء الثانى** من الكتاب ، الكتب وتحليل معناها فى اللغة ، ومادة الكتابة ولغتها ، وتحدث عن الانشاء والسطور ، والمقابلة بالكتاب وكل ما يتصل بالرسائل منذ كتابتها حتى ارسالها الى الجهات المقصودة · كما ذكر فى هذا الجزء أيضا : طرق الدعاء وكيفيته · وشرح كيف يتكاتب الناس فى عصره ، ثم تناول فى آخر هذا الجزء الدعاء ··· والتاريخ ، ثم اختتم هذا **الجزء** بالتأريخ لتحويل الديوان من النظام الفارسى الى النظام العربى ·

أما **الجزء الثالث** من الكتاب ، فقد قسمه الصولى قسمين :

جعل **القسم الأول** منه يتعلق بالفقه الاسلامى ، فتناول فيه : وجوه الأموال وأصنافها ولمن تجب ، ثم فرق بين الفىء والجزية والزكاة والصدقة ، كما تناول الأحكام الفقهية التى تتصل بالأرض، ففرق بين الأرض العشر ، والأرض التى افتتحت صلحا ، والأرض التى افتتحت عنوة . ثم تحدث الصولى عن القطائع ونظام القطائع، مؤرخا لهذا النظام منذ نشأته ، ثم انتقل الى جزية رءوس أهل الذمة مؤرخا لها منذ عصر الرسول ، وتناول تقديرها وطريقة سدادها ، وتحدث عن الخراج ومعناه ، وختم هذا القسم بآراء الفقهاء وأحاديثهم .

أما القسم الثانى ، فقد جعله لغويا صرفيا ، تناول فيه عدة موضوعات تتصل باللغة ، تكلم فيه عن حذف الألف ومتى يجوز ذلك ، ومتى لا يجوز ، وذكر رأى كبار النحويين واللغويين ، ثم تكلم عن الهمز والهاء والواو والياء ، وذكر ما يكتب بالياء وبالألف من الأفعال ، والمقصور والممدود . ثم ختم الصولى هذا القسم — وكتابه — بالكلام عن نون التوكيد الخفيفة والادغام ثم القطع والوصل .

هذا هو كتاب « أدب الكتاب » كما قسمه مؤلفه الصولى .

ويهمنا أن نعرف أن الصولى عمد الى تسهيل كتابه ، ليسهل تداوله ، ولتكثر الاستفادة منه ، فاختصره ما أمكن ذلك ، دون أن يخل بمادته أو العناصر التى اشتمل عليها ، ولقد خالف الصولى — فيه — منهجه فى التأليف ، فألقى الأسانيد بقصد التخفيف على القارئين ، اذ كان يعنى أولا وقبل كل شىء بالمادة الفنية ، فلم يذكر الا « ما لابد من ذكر نسبته واسناده (١) » . وهو اذا كان قد

(١) أدب الكتاب للصولى ٢٨ ، وانظر ص ٢١ .

اختصر كتابه ـ وقال ذلك وكرره أكثر من مرة ـ فانما كان يقصد بل يتعمد عدم الاطالة فى مناقشـــــة الموضوعات أو الاكثـار من الشواهد عليها ، حتى لا تتسع فتطول عما رسمه هو لمنهجه من حيث الاختصار دون الاخلال .

فحين تنـاول موضـوع « اللحن فى الكتاب » ، وبعـد أن وضحه وذكر رأيه وأورد بعض الشواهد ، لم يشأ أن يكثر حتى لا يتضخم الموضوع ويتسع فيصنعب فهمه ، فنسمعه يقول (١) : « هـذا شىء يتسع فيكثر ، فجئت منه بطرف ، لأنه وحده يكون كتابا » .

أما عن زمن تأليفه ـ فقد تأكد لنا بما لا يدع مجالا للشك ـ أنه ألفه فى عهدالخليفة الراضى بالله ، كما يفهم مما كتبه هو نفسه فى ثنايا الكتاب ، عندما تناول باب « ما يتكاتب به الناس اليوم » فقد سرد فى شرحه لكيفية الكتابة فقال (٢) : « يكتب الامام الى ولى عهد المسلمين : من عبد الله أبى فلان الامام الراضى بالله أمير المؤمنين الى فلان بن فلان ... » .

ويؤكد هذا الرأى ويدعمه ما قاله الصولى فى باب « الحض على التكاتب » اذ يقول (٣) : « ومن مليح ما قيـل فى اسـتبطاء الجواب ، أبيات كتبت بها فى صدر قصيدة الى سيدنا أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ، وهو اذ ذاك أمير ... » وكذلك ما ذكره الصولى فى كتابه « أخبار الراضى بالله والمتقى لله (٥) » عن أحداث سنة ٣٢٦ هـ من أن الوزير استدعاه ، وطلب منه أن يحمل اليه هذا الكتاب الذى ألفه ، « فاطلع عليه وأعجب به ، وكان يثنى عليه فى

---

(١) أدب الكتاب (اللحن فى الكتاب ص ٢٣٠) .
(٢) أدب الكتاب ص ١٦٣ .
(٣) أخبار الراضى ص ٩٠ .

مجالسه ، ويعرضـــه على كل من يأنس به ، ويعلم أنه يفهم فى الأدب » .

منهج الصولى فى التعليم كما وضح فى كتابه :

نهج الصولى فى كتابه « أدب الكتاب » منهجا يغاير ما انتهجه سابقوه ، فقد جعل الصولى كتابه مجموعة من الموضوعات المتصلة المتكاملة ، وسلسل عنـاصرها بطريقة فنيـــة جميلة حتى يحقق الهدف من كتابه وهو التعليم .. لذلك جعل الصولى موضوعاته بحيث يكمل بعضـها البعض الآخر ، فكل موضـــوع يؤدى الى الموضوع الذى يليه ، ويرتبط به ارتباطا وثيقا .

فمثلا حين تناول موضوع الخط(١) : نراه يفتحه بآراء الحكماء والعلماء مبينا فضـــل حسن الخط مستشهدا على ذلك . « الخط صورة روحها البيان ويدها السرعة ، وقدمها التسوية ، وجوارحها معرفة الفصول (يحيى بن خالد البرمكى) . « الخط أصـــل فى الروح ، وان ظهر بآلة الجسد » (النظام) . ثم ينتقل الى فضـــل حسن الخط فيقول : « انه يدعو الناظر اليه ، الى أن يقرأه ، وان اشتمل على لفظ مرذول ، ومعنى مجهول » ... « وربما اشتمل الخط القبيح على بلاغة وبيان ، وفوائد مستظرفة فيرغب الناظر عن الفائدة التى هو محتاج اليها لوحشة الخط وقبحه » . ويستشهد بقول أرسطو « الخط دليل على ما فى النفوس » . ثم يقارن بين اللفظ والخط ، وانهما ضروريان ، وان كان للخط فائدتان وليس للفظ الا واحدة ، فالخط يبلغ الحاضر والغائب ، أما اللفظ فلا يبلغ الا الحاضر . ويقول : ان الخطوط مهما اختلفت فالأصول واحدة ،

---

(١) أدب الكتاب ص ٤١ .

فهى كالأشـــخاص ... فهم مهما اختلفوا فانهم يجتمعـون فى الصنعة ، وأن خط الانسان يصير مثل حليته ونعته فى الدلالة عليه . ثم يروى قصصا طريفة توضح الموضوع وتكسبه الطرافة والمتعـــة .. وينتقل الى وصف الخط الجميل ، وما قاله الكتاب والعلماء والحكماء فيه ، يعقبه بعقد فصل فيما قيل فى حسن الخط من الكلام المنظوم ، ويورد أشعارا فى وصف الخط الجميل لنفسه . ثم يورد ما قيل فى حسن الخط من الكلام المنثور ، وما قيل فى صفات الخط وتركيباته وأسمائه المختلفة ، ويذكر السمات التى يجب أن تتوفر فى الخط حتى يســتحق أن يوصـــف بالجودة مستشهدا بآراء كبار الكتاب ويظل يتنقل بنا الصولى من عنصر الى عنصر .. وجميع هذه العناصر موضوعها الخط .. ولاينسى الصولى آلة الخط وهو « القلم » فيذكر فيه أبوابا ـ عما قيل فيه شـعرا ونثرا وطريقة بريه ... ـ وهكذا فى كل موضــــوع يتناوله ، يحلله ويبسطه ، ويذكر جميع عناصره ، وكل ما يتصـل به ، كما يذكر بعض الطرائف والنوادر مما يضـيف الى كلامه سـمة التشويق والتنويع ، ولكى يجذب انتباه القارىء اليه . كمـا أنه لا يترك فى موضوعه أى دقيقة من دقائقه الا بسطها وشرحهـــا ؛ وجلى ما قد يكون غامضا فيها .

وسمة بارزة فى منهج الصولى التعليمى . وهى التأريخ لأصل الموضـــوع الذى يتحدث عنه وتطوراته عبر القرون الماضية حتى عصره ، مما يضفى على موضوعاته لمسة ثقافية جميلة وواسعة ، تجعل القارىء ملما بكل ما يحيط بالموضوع . فحين تناول الصولى موضوع الخاتم ـ فى ثنايا كلامه عن ختم المراسلات ـ ذكر كل ما يتصل بأوليات استخدام الخاتم منذ عهد النبى عليه السلام حتى عهد بنى العباس ، قال (١) : « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) أدب الكتاب ١٣٩ .

اتخذ خاتما من ذهب ، فلبسه ثلاثة أيام ، ففشت خواتم الذهب فى أصحابه ، فرمى به ، واتخذ خاتما من ورق نقش عليه (محمد رسول الله) ، فكان فى يده صلى الله عليه وسلم حتى مات ، وفى يد أبى بكر حتى مات ، وفى يد عمـر حتى مات ، وفى يد عثمـان ست سنين ، فلما كثرت عليه الكتب دفعه الى رجل من الأنصار ليختم به ، فأتى قليبا (بئرا) لعثمان رحمه الله ، فسقط الخاتم فى القليب ، فالتمسوه فلم يجدوه ، فاتخذ خاتما من ورق ونقش عليه (محمد رسول الله) . ولم يتخذ صلى الله عليه وسلم الخاتم حتى احتـاج الى مكاتبة الملوك سـنة ست ، فقيل له : ان الملوك لا تقبل الكتاب الا أن يكون مختوما ، فاتخذ خاتما من فضة ونقش عليه (محمد رسول الله) ... ثم يؤرخ الصولى لاستعمال الخاتم من عهد الخلفاء الراشدين ، حتى دولة بنى عباس ذاكرا من الذى تولى الخاتم ، ومن الذى قام عليه فى دواوين الخلفاء ، فى عهـد بنى أمية ، ثم فى عهد بنى العباس ، وكيف كان يحفظ فى الخزائن الى أن تسلمه الوزراء ...

ولكون الصولى يتوخى تعليم الكتاب وتثقيفهم ، ويبغى تصحيح لغتهم من ناحية التراكيب ، نراه يأخذ من كل بستان زهرة ، حتى يكون كتـابه باقة من العـلوم المتنـوعة ، فيضـمنه بعض الموضـوعات النحوية ، وهى موضـوعات تقتضيها ظروف السرد وطبيعة الكلام ، غير أنه لا يعقد لها فصولا خاصة ، بل تناولها فى سياق الحديث ، ببساطة وسهولة ، فى أسلوب تعليمى توضيحى ، يخـدم المبتدئين ويذكر المتمرسين ، دون الدخـول فى متاهات وتعقيـدات وتعليلات النحـويين واللغويين على اختـلاف مذاهبهم ومدارسهم . ففى سياق تحليله وحديثه عن (بسم الله الرحمن الرحيم) يتناول حرف البـاء فيقول (١) : « والبـاء صلة فعـل

(١) أدب الكتاب ٣٢ .

محذوف ، حذف لعلم القارىء به ، وهو : أبدأ باسم الله ، واقرأ باسم الله ، لأن جبريل كان اذا نزل بالوحى ، قال : اقرأ يامحمد ، قال : وما أقرأ ؟ قال : (اقرأ باسم الله) ، ثم يشرح الصولى معناها فى غير القرآن ، فيقول : « والمعنى فى الابتداء بها فى غير القرآن : (بدأت بسم الله) ثم كثر ذلك وعلم حتى أسقطوا (بدأت) ، ويستشهد بآراء كبار النحويين فى معنى الباء ، فيأتى برأى سيبويه : « ان معنى الباء الالصاق ، تقول : كتبت بالقلم ، فالمعنى أن الكتابة ملصقة بالقلم ... »

والصولى اذا كان قد تناول الكثير من الموضوعات النحوية ، فانه قلما يناقش ما اختلف فيه النحويون واللغويون على تباين مذاهبهم ومدارسهم ، بل انه يتعمد الاقلال فى سرد الآراء حتى لا تضيع فكرة موضوعه التى يريد ابرازها . وقد كان لمعرفة الصولى بعلم النحو وموضوعاته ، وادلائه بالكثير من الآراء فيه - الى جانب معرفته بمذاهب النحويين وآرائهم - ما جعل بعض الباحثين الأقدمين يضعونه فى مصاف كبار النحويين ومراتبهم - لا لتحليله وتناوله بعض موضوعات النحو فى كتابه هذا فحسب ، بل أيضا « لأنه تعرض لجمع دواوين الشعراء وشرحها ، وذكر الغريب والاعراب فى بعض أماكنها (١) » .

أما علم الصرف فقد تناول الصولى العديد من موضوعاته فى كتابه هذا . ونستطيع أن نرى طريقة معالجته وتناوله لعناصر علم الصرف فى تحليله لحرف الهاء فيقول (٢) :

« كل ما كان من ذوات الياء ، وكانت فاء الفعل فيه واوا مثل

(١) القفطى : انباه الرواه على انباه النحاه ٣/٢٣٤ .
(٢) أدب الكتاب ٢٥٠ .

(وفيت ، وعيت ، أويت) فانه يكون فى الأمر حرفا واحدا ، لأن الأصل (أوفى) بالياء ، تذهب الياء ، للجزم ، وتسقط الواو لأنها صارت بين كسرتين فبقى (أف) فتسقط ألف الأمر لأنه قد استغنى عنها ، لتحرك أول الحرف ، فتبقى (الفاء) وحدها . فاذا اتصل الكلام بعضه ببعض لم تثبت الهاء فى اللفظ ، فاذا وقفت ، وقفت بالهاء كقولك (فه ، قه ، من وفيت ووقيت) ؛ و (شه من وشيت الثوب) ؛ لأنه لا ينطق بحرف واحد استبقاء له ، فاذا كتبت ، كتبت بالهاء ، لأن الكتاب على الوقف . فاذا جعلت قبل الحرف الذى وصلته بلهاء حرفا لا ينفصل منه ، جاز أن تكتبه بغيرها كقولك : (اذهب وف لزيد ، وق لزيد) وانما جاز ذلك لأن الواو والفاء لا ينفصلان ، وكأن الكلمة قد صارت على حرفين .. واثبات الهاء أجود » .

والصولى فى كل هذه الموضوعات وغيرها يتحدث بأسلوب المخاطب ، أسلوب الأستاذ للتلميذ ، ويوضح له عناصر موضوعه فى سهولة ووضوح ، وبطريقة تؤدى الى الاقناع والافهام — فيقول أحيانا : «ان شئت قلت كذا» ، أو «تقول كذا» .. ولا تقل كذا ، فاذا أمرت قلت ..

هذا من حيث الموضوعات المستقلة التى تناولها .

وللصولى — فى ثنايا كتابه وفصوله — مجهود صرفى كبير ، يتمثل فى تحليله لكثير من الألفاظ والمفردات وارجاعها الى أصولها ، واسنادها الى الضمائر المختلفة ، وذكر معانيها ولغاتها ، واشتقاق ألفاظ جديدة منها ووزنها وشرحها والاستشهاد عليها بآيات من القرآن الكريم ، والأحاديث النبوية ، وأحيانا شعر الشعراء .. وهو فى ذلك كله يتوخى باستمرار السهولة والبساطة والفصاحة فى الوقت نفسه ، حتى يكون أسلوبه محببا الى نفس

تلاميذه . ونستطيع أن نجـد العديد من الأمثلة على ذلك ، فحين تحدث عن الانشاء (١) قال : « أنشأ الكاتب الكتاب ، ابتدأ عمله على غير مثال يحتذيه ، قال تعالى : « قل يحييها الذى أنشأها أول مرة » وتقول العرب : أنشـأ بفعل كذا ، وأنشـأ يقول كذا اذا ابتدأ ؛ وانشأ الله الخلق ينشئهم انشاء ، اذا ابتدأ خلقهـم .. وأنشأت أنا الشىء انشئه انشاء » .

والصولى فى تحليل موضوعاته يميل كثيرا الى الاستطراد ، والتنقل من موضوع الى موضوع ، لكى يتجنب الرتابة والملل . فكان ينتقل من دائرة موضوعه الأصلى الذى يتناوله الى موضوعات فرعية ، ويحللها ويوضحها ، ثم يعود الى أصل الموضوع مرة ثانية فى مهارة ودقة .

فعندما تناول موضوع « فضل الكتابة » وأرخ لها ، شرع يشرح كيف تكون الكتابة ، وكيف تكون المكاتبات ، وكيف تبدأ ، فتنـاول افتتاحها ، وأنها لابد أن تبـدأ كأى شىء ب « بسم الله الرحمن الرحيم » ثم انبرى يوضح ـ كعادته ـ الأصل فى هذه العبارة ويحللها ، مبينا كيف نشأت وتجمعت حتى وصلت الى هذه الصـورة ، فألف فصـلا فى « أصـل بسم الله الرحمن الرحيم » يقول فيه (٢) :

« كانت قريش تكتب فى جاهليتها « باسمك اللهم » وكان النبى صلى الله عليه وسلم كذلك .. ثم نزلت سورة هود وفيها (بسم الله مجراها ومرساها) فأمر النبى صلى الله عليه وسلم بأن يكتب فى صـدر كتبه (بسم الله) .. ثم نزلت فى سورة بنى

---

(١) أدب الكتاب ١١٨ .

(٢) أدب الكتاب ٣١ .

اسرائيل (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى) ، فكتب (بسم الله الرحمن) .. ثم نزلت فى سورة النمل (انه من سليمان وأنه بسم الله الرحمن الرحيم) ؛ فجعل ذلك فى صدر الكتب الى الساعة ، وكتب (بسم الله الرحمن الرحيم) فى أول كل سورة من القرآن الا فى أول سورة التوبة ... » .
ثم ينتقل الى موضوع آخر يتصل بفقه اللغة ، فيحلل لفظ (اسم) وهل هو من السمو أو السمة .... الخ . وهكذا ينتقل الصولى من موضوع الى موضوع .. على أننا ينبغى أن نعرف : أن تنقله هذا لا يخل ، ولا يمل ، وانه داخل الدائرة الكبرى لموضوعه . فهو يتنقل من مجال الى مجال حول نواة موضوعه الأصلى ليوضح ما اشتمل عليه من عناصر ومعلومات أدبية وصرفية أو تاريخية .

أسـلوبه :

أسلوب الصولى التعليمى يتسم بسمات مميزة :

أولى هذه السمات وأهمها ـ أنه تظهر فيه شخصية المعلم الأديب الكاتب الفقيه اللغوى النحوى .. كما يظهر فيه نزعته الدينية وتعمقه فى علوم القرآن والحديث والفقه والتشريع ، ومقدرته الفنية على تناول الموضوعات وتحليلها تحليلا فنيا جميلا يبرز عناصرها الأساسية .

كما يظهر فى هذا الأسلوب .. قوة حفظه ، وسعة اطلاعه ، وغزارة مادته اللغوية . ومحصوله الوافر من روائع النظم والنثر وأقوال الحكماء وآراء العلماء والأدباء فى المناسبات المختلفة .

أما عن خصائصه ، فهو أسلوب سهل واضح ، قريب المقصد ، يصل مباشرة الى ذهن القارىء دون أدنى جهد ، لأنه توخى فيه البساطة والشمول ، وتوضيح المضمون وابراز الفكرة

بأسهل الطرق وأقربها الى العقل . وقلما يستعرض الصولى فى كتابه هذا أسلوبه الأدبى الذى يعتمد على التصوير والتخييل واستخدام المحسنات البديعية ـ اللفظية والمعنوية ، بل انه يجنح دائما الى الأسلوب التعليمى ـ أسلوب المخاطب ـ الذى يستند الى البساطة والوضوح .

ومنهج الصولى فى كتابه « أدب الكتاب » يختلف عما انتهجه ابن قتيبة فى كتابه « أدب الكاتب » فالكتابان وان اتفقا فى الغرض الأساسى الذى ألفا من أجله ـ وهو تعليم الكتاب وتثقيفهم وتدريبهم ـ الا أن كتاب الصولى يختلف فى معظمه عن كتاب ابن قتيبة ، يختلف من حيث المادة الأدبية ، ومن حيث المنهج ، والتبويب والترتيب ، وطريقة التعليم ..

فالصولى لم يشأ أن يورد الصيغ والعبارات والألفاظ جزافا للحفظ ، ولم يقصد الى الدخول فى متاهات علوم البلاغة ـ كما فعل ابن قتيبة ، بل جعل كتابه هذا كتابا تعليميا ، يعتمد على الفهم ويقوم على الممارسة والتمرين ، ليفى بالاحتياجات اللازمة للكتابة ، دون ما استعراض لأسلوب أو ثقافة . وابن قتيبة اذا كان قد استند عند تأليفه لكتابه الى السابقين ، واستعان بكتب الفرس وآرائهم ، واعتمد على علوم البلاغة ـ فان الصولى لم يستند الا الى نفسه ، والى علمه ، والى ثقافته وخبرته ، فكثيرا ما تراه يتوسع فى مسائل ، ويتعرض لموضوعات لم يتناولها ابن قتيبة فى كتابه . من هذه الموضوعات : حسن الخط وشروطه وفوائده ، الدواة ، والحبر ، القلم وطريقة بريه ، ترتيب الكتاب والقراطيس ، الدعاء فى المكاتبات .. وغير ذلك من الموضوعات التى اعتبرها الصولى مفيدة للكاتب . كما أغفل ابن قتيبة أهم موضوع يتصل بأدب الكتاب وهو (كيف تكون المكاتبات) وكيف تبدأ ، وما هى

عناصرها الأساسية .. بينما لم يغفل ذلك الصولى فنراه يتناول المكاتبة تناولا أدبيا وتاريخيا .. وضح كيف تبدأ ، وكيف كانت أيام الرسول ، وتحدث عن مكاتبة المسلم ، ومكاتبة غير المسلم ، وكيف تفتتح وكيف تختتم وغير ذلك مما يتصل بها .

يقول : « نصت السنة فى المكاتبة أن يبتدىء المكاتب نفسه على المكتوب اليه ، فقد روى أن العلاء الحضرى كتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبدأ بنفسه .. وروى الربيع بن أنس ... أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يكتبون اليه : « من فلان بن فلان الى محمد رسول الله .. » .

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اذا كتب أحدكم فليبدأ بنفسه الا الى ولد ووالدة أو امام » . ويتكلم الصولى عن الكتاب الى المسلم فيقول : « والكتاب الى المسلم : سلام عليك ، فانى أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو ... » . والى غير المسلم : « والسلام على من اتبع الهدى ــ كذا كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى هرقل عظيم الروم ، والى كسرى ، والى مسيلمة الكذاب » .. ويقول الصولى : وقد روى أنه رخص فى رد السلام على الكافر .. وأن رجلا منهم كتب فى آخر كتابه الى النبى صلى الله عليه وسلم : « سلام عليك » فأمر النبى الكاتب أن يرد عليه السلام ....

وهكذا اختلف كتاب الصولى « أدب الكتاب » عن كتاب ابن قتيبة ، اختلف من حيث المادة الأدبية ، ومن حيث التقسيم والتبويب ، ومن حيث تناول الموضوعات وطريقة عرضها ، وان اتفقا من ناحية الغرض والمقصد .

ولا شك أن كتاب أدب الكتاب للصولى يدل دلالة واضحة على قوة روحه الأدبية ، المتجلية فى منهجه الرائع ، وفى طريقة تحليله للمواد الأدبية تحليلا فنيا يصقل الحس ، ويصفى الذوق ، ويربى ملكة الكتابة والأدب ، ومن هذا الكتاب نستطيع أن نعرف عقلية الرجل المعلم ، بوصفه أحد كبار أئمة الأدب المشهود لهم بحسن التأليف وروعة التصنيف فى عصره .

الباب الرابع

مؤلفات الرجل

أبو بكر الصولى

مؤلفات الصولى

الصولى نموذج فذ من النماذج التى تمثل ثقافة عصره ـ بكل ما فيه ـ أصدق تمثيل ، ذلك أنه ألم بألوان الثقافة العربية على اختلاف مناحيها واتجاهاتها ، ووقف وقوفا طويلا على بعض الثقافات الأجنبية الوافدة والداخلة فى محيط الفكر العربى الاسلامى آنذاك . وانعكست هذه الثقافات على حياته التى امتازت بنشاط علمى ضخم ، وضح فى كثرة مؤلفاته ومصنفاته التى يصعب حصرها . فقد ذكرت المصادر القديمة التى ترجمت له وأرخت لحياته ، أن « له كتبا كثيرة هائلة » (١) . وتحدث عنه مؤرخوه طويلا فقالوا : انه « كان أحد العلماء البارزين بفنون الأدب ، وحسن المعرفة بأخبار الملوك ، وأيام الخلفاء ، ومآثر الأشراف ، وكان واسع الرواية ، جيد الحفظ ، حاذقا بتصنيف الكتب (٢) ، ووصفوه بأنه « الكاتب ، الأديب ، الاخبارى ، العلامة » ..

---

(١) الكامل فى التاريخ ٣٢٤/١ ، البداية والنهاية ٢١٩/١١ .
(٢) المراجع السابقة نفسها .

ولا شك أن هناك عوامل فعالة أثرت فى كثرة وتنوع انتاجه :

أولى هذه العوامل : شغف بالمعرفة منذالطفولة الى الكهولة، فى حياة مديدة تزيد على الثمانين عاما .

وثانيها : ثقافة متنوعة واسعة ، واطلاع دائم وشغف كبير للنهل من مناحى المعرفة .

وثالثها : ذكاء خارق ؛ وذاكرة واعية ، عقل ناضج وصبر دائب على الدرس والاستيعاب والتحصيل .

ورابعها : تخفف من أعباء الحياة الزوجية والذرية ، وانقطاع للعلم وخدمة الخلفاء .

وخامسها : ظروف العصر الذى نشأ وعاش فيه — حيث كان عصر اضطراب ومحن سياسية .

وقد دفعه الاعتصام من ويلاته الى العكوف على الاطلاع والتأليف ؛ ليكون بمنجاة عن الوشايات والدسائس .

وعامل أخير مهم : ان مركزه الأدبى والعلمى ، فى قصور الخلفاء ورحابهم ، وفى مجالس العلماء والأدباء — جعله يتزود باستمرار بالعلم والمعارف ، ويوسع نشاطه ومداركه ، ويحصل من العلوم أوفر قسط لئلا يفحم أو يغلق عليه القول ، فيقل قدره ، وتضعف هيبته .

كل هذه العوامل — أثرت تأثيرا قويا فى انتاجه الغزير ، حتى صار علما يشرف عصره ؛ فشرفه عصره وكرمه .

واذا كان الصولى قد اشتهر بكثرة ما ألف وصنف ، وذكر المؤرخون والمترجمون أن له تآليف وتصانيف كثيرة هائلة ، قدروها بأنها تزيد على الأربعين مؤلفا ومصنفا ، فانه لم يبق لنا من هذه

المؤلفات والمصنفات الا القليل ، فقد امتدت الى معظمها يد البلى الآثمة فمحتها ، وأتت عليها ، فلم نظفر الا ببضعة كتب ، طبع منها البعض وما زال الباقى مخطوطا ينتظر من ينشط لتحقيقه وطبعه .

وحتى يسهل تتبع مؤلفات الصولى ومصنفاته ، يمكن تصنيفها من حيث المادة والموضوعات فى مجموعات تتصل ببعضها البعض :

المجموعة الأولى : وتضم مؤلفاته الاخبارية .

المجموعة الثانية : وتضم الكتابات الأدبية واللغوية .

المجموعة الثالثة : وتضم المؤلفات الدينية .

المجموعة الرابعة : وتشمل مؤلفاته المتنوعة ، التى نجهلها ، ولا نعرف عنها سوى الاسم دون الموضوع .

وفى نطاق كل مجموعة من هذه المجموعات سنذكر أولا المؤلفات الموجودة سواء أكانت مطبوعة أم مخطوطة ؛ ثم نذكر المؤلفات المفقودة .

أما دواوين الشعراء ، فسوف نصنف ما وجد منها سواء كان مطبوعا أو مخطوطا معا . وسنذكرها متعاقبة ، أما الدواوين المفقودة فسنذكرها بعد ذلك .

● الفصل الأول

مؤلفات الصولى الأخبارية

مؤلفات الصولى الاخبارية ذات شقين :

(أ) شق يتصل بالتأريخ السياسى

(ب) وآخر يتصل بالتأريخ الأدبى وتراجم الشعراء

وفيما يتصل بالتأريخ السياسى • ألف الصولى مجموعة من الكتب وهى :

١ ـ كتاب الأوراق (الجزء الذى يتصل بتاريخ الخلفاء والدولة العباسية) •

٢ ـ كتاب الوزراء

٣ ـ كتاب القرامطة

٤ ـ خبر وقعة الجمل

٥ ـ مناقب على بن الفرات

٦ ـ رسالته فى أبى بكر محمد بن طغج

أما كتب الصولى التى تتصل بالتأريخ الأدبى فهى :

١ — كتاب الأوراق (الجزء الذى يتصل بأخبار الشعراء) ويشمل كما قال ابن النديم (١) :

— أخبار الشعراء

— أخبار أولاد الخلفاء وأشعارهم

— أخبار أحمد بن يوسف ومختار شعره .

وكل هذه الأخبار موجودة وقد طبعت فى كتاب « أخبار الشعراء » بعناية ج هيورث . دن .

أما الأخبار المفقودة فهى :

— أخبار ابن هرمة ومختار شعره

— أخبار السيد الحميرى ومختار شعره

— أخبار الحلاج

— أخبار سويف ومختار شعره .

— أخبار الجبائى .

وسنحاول أن نلقى نظرة على كل كتاب من هذه الكتب .

أولا : التأريخ السياسى

الف الصولى فى التأريخ السياسى للدولة العباسية وخلفائها جزءا كبيرا ، ضمنه كتابه **الأوراق** (٢) ، **ضاع معظمه ولم نجد الا تأريخا لبعض الفترات المتفرقة :**

(١) الفهرست ١٥٠ .

(٢) الفهرست ١٥٠ ، كشف الظنون ٢٠١ ، ٢٨٣ ، معجم الأدباء ١٠٩/١٩ .

فنجد تأريخا للفترة من سنة ٢٢٦ الى سنة ٢٥٦ هـ . — وهذا الجزء مخطوط فى مكتبة لينينجراد فى روسيا ، كما ذكر ج. هيورث دن فى مقدمة كتاب الأوراق ، قسم أخبار الشعراء .

كما نجد تأريخا للفترة من سنة ٢٩٥ الى سنة ٢٩٩ هـ ، وتأريخا للفترة من سنة ٣١٠ الى سنة ٣١٨ هـ . وهذا الجزء ما زال مخطوطا فى مكتبة الأزهر الشريف تحت رقم ٦٧٣٧ أباظة ويقع فى ١٨٤ ورقة . وهاتان الفترتان تؤرخان لحكم المقتدر بالله (٢٩٥ — ٣٢٠ هـ) وان يكن قد ضاع التأريخ للفترة التى تربط بينهما . كما نجد له تأريخا للفترة الأخيرة من حياته من سنة ٣٢٢ الى سنة ٣٣٣هـ، وهى الفترة الخاصة بحكم الخليفتين الراضى بالله ، والمتقى لله ؛ وقد حقق هذا الجزء ونشره المستشرق ج.هيورث.دن سنة ١٩٣٥ م ؛ تحت اسم « أخبار الراضى بالله والمتقى لله » أو تاريخ الدولة العباسية من سنة ٣٢٢ هـ — ٣٣٣ هـ » .

ونستطيع أن نجد فى هذا الجزء الأخير مثلا على طريقة الصولى فى التأريخ السياسى ، خاصة وانه الجزء الوحيد الذى وصل الينا واضحا مطبوعا ، ومنه نعرف « الصولى المؤرخ » ومنهجه فى التأريخ، وطريقته فى التفكير وتحليل الأحداث وتعليلها.

يؤرخ الصولى فى هذا الجزء — لعهدين، هما عهد الراضى بالله وعهد المتقى لله . فيتحدث أولا عن تولية الأمير أبى العباس محمد ابن المقتدر الخلافة ، بعد أن بويع بالاجماع يوم الأربعاء لخمس خلون من جمادى الاولى سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة ، ويقول ان الأمير ارسل اليه يطلب بعض الأسماء التى ينعت بها الخلفاء ، وتكون لهم أوصافا « فوجه اليه برقعة فيها ثلاثون اسما ؛ ليختار منها ما يريد .. وأشار الصولى عليه أن يختار منها « المرتضى

بالله » (١) . « لكنه أبى على نفسه أن يتسمى باسم وقع لغيره من قبل ولم يتم له أمره (٢) ، فاختار « الراضى بالله » .

ويذكر الصولى عمال الدولة فى عهده من وزراء وقواد وقضاة وغيرهم . ويؤرخ للفتن والاضطرابات التى قامت ضد الدولة فى عصره .. منها فتنة مرداويج السلمى بأصبهان (٣) ، الذى أراد تشعيث الدولة ، ولكن قضى عليه بجكم التركى وأخمد فتنته ؛ وعن هذه الثورة يقول الصولى (٤) : ان المؤرخين اختلفوا فى كيفية القضاء على فتنة مرداويج ، وفى تحديد شخصيته الذى قام باخمادها ، خصوصا بعد أن زعم أناس كثيرون أنهم قتلوه حرصا على الخلافة وطمعا فى رضاء الخليفة . فنرى الصولى يسرد بالتفصيل سبب الثورة ، وكيف أخمدت ، ويحدد أن السبب فى مقتل مرداويج يرجع الى « أنه جعل عسكره صنفين :

ـ صنف منهم جيل وديلم وهم خواصه وأهل بلده الذين فتح بهم الرى ونواحيها .

ـ وصنف آخر من الاتراك وأهل خراسان . ثم استخص نفرا من الاتراك وقربهم ، فغضب الديلم من ذلك وعاتبوه ، فقال : انما اتخذت الأتراك لأقيكم بهم وأقدمهم يحاربون بين أيديكم ، وأنتم خاصتى وأنا بكم ولكم .. فبلغ ذلك الأتراك فأجمع رأيهم على قتله ، ففتكوا به فى حمام ، ثم ولوا بجكم رئيسا عليهم (٥) .

---

(١) أخبار الراضى ص ٣ .

(٢) يقصد عبد الله بن المعتز الذى كان خليفة ليوم واحد ص ٤ .

(٣) أخبار الراضى ص ٢١ .

(٤) أخبار الراضى ص ٢١ ومابعدها .

(٥) أخبار الراضى ص ٦٢ .

ويؤرخ الصولى لوصول « بجكم » الى بغداد ـ بعد اخماد الفتنة ، لمقابلة الخليفة الراضى ـ الذى شكره واعترف بجميله ، وخلع عليه ، وجعله أميرا ، وولاه على المشرق (١) .

ويؤرخ كذلك للثورات التى قامت فى عهد الراضى ، فيذكر أن الهاشميين كانوا يثورون بين آن وآخر ضد الخلافة ، وكانت مسارحهم هى المساجد ، وأن ضجيجهم قد كثر ، فخرجوا على الدولة فى مظاهرات ، وقد سودوا وجوههم ، ومنعوا الامام يوم الجمعة من الخطبة والصلاة (٢) . ويذكر أيضا ثورات القرامطة . وخروجهم على الدولة من حين الى حين ، وكيف كانت ترد حركتهم بالقمع والمطاردة بواسطة قواد الدولة وجنودها (٣) . كما يذكر صرخات العامة الذين عانوا من غلاء الأسعار ، فثاروا على الدولة وهاجموا الأحياء والمحلات (٤) ..

وفى نهاية تأريخه لحكم الراضى ـ يذكر سنة وفاته ، ويحددها ويعلل أسبابها تحديد مؤرخ مطلع فيقول (٥) : « وتوفى الراضى ليلة السبت لأربع عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول سنة تسع وعشرين وثلاثمائة .. ودفن فى ليلة الأحد لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول ، وكان جلوسه فى الخلافة من يوم الأربعاء لخمس خلون من جمادى الأول سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة الى يوم وفاته ست سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام .. وكان مولده فى شهر رمضان سنة سبع وتسعين ومائتين .. فكان عمره احدى

---

(١) أخبار الراضى ١٨٣ ومابعدها .

(٢) المصدر نفسه ١٠٦ .

(٣) المصدر نفسه ٦٦ .

(٤) المصدر نفسه ٨٨ .

(٥) المصدر نفسه ٧١ .

وثلاثين سنة وستة أشهر .. ثم يذكر علله وما كان يعانيه من أمراض ، وآراء الناس فيه ثم مكان دفنه .

وفى هذا الجزء أيضا ـ يؤرخ لحكم المتقى لله ، فيذكر كيف تولى الخلافة وكيف بويع ، وتعاقب الأحداث وظروف الدولة ، وتعاقب الوزراء وسياستهم ، كما يؤرخ للثورات والفتن والمصادرات ، ويذكر سيطرة الحمدانيين والبريديين على الدولة ، واضطرار المتقى للهروب مع ابنه ، وتقلب الأحوال السياسية بصورة سيئة على الدولة حتى صار المتقى ألعوبة فى يد أمير الأمراء « توزون » ، ثم يؤرخ لنهاية المتقى ويذكر كيف ألقى القبض عليه وسملت عيناه ثم قتل ..

وتأريخ الصولى للدولة العباسية يختلف عن تأريخ غيره من المؤرخين .. ذلك أنه لم يكن ليعنى بالتأريخ السياسى دون أن يعنى بما هو حول التأريخ من عوامل نفسية تتصل بحياة الخلفاء والوزراء والأمراء .. فنراه فى ثنايا تسجيله للاحداث التاريخية ، يجلى بعض اللمحات الدقيقة التى تدل على مدى فهمه واطلاعه على أغوار نفوس من هم حوله ، فى ذكاء خارق وسعة أفق ، فيذكر مدى ثقة الراضى به وباخلاصه ووفائه ، لذلك كان يفصح له عن تباريح نفسه وما يعانيه ، ويحدثه عن دقائق نفسه ، وأخص أموره ، وما لقيه وقاساه من سجن وتعذيب واعنات من القاهر الذى كان امرءا ـ كما يقول الراضى ـ لا يوثق بدينه ولا بعقله . ويذكر الصولى أن الراضى بعد أن أزاح عن كاهله الهم والحزن قال : « أليس بابن المعتضد وأخ المقتدر وعم لنا ؟ .. هذا والله عار لا يرحض وعيب لا يزال » .. فخفف الصولى عنه ما بنفسه ، وقص عليه كثيرا من الأخبار القديمة وأحداث التاريخ ، وذكره بأن له فى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أسوة حسنة . . « فهذا عمه أبو لهب ، أنزل الله عز وجل فيه ، وفى امرأته سورة

من القرآن يعرفها كل انسان ، ويلفظ بها كل لسان ، فما لحقه عار ، وقد ولده جد رسول الله عبد المطلب . وهذا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ابن عم رسول الله ؛ كان يهجوه قبل اسلامه ، ثم أسلم وشهد حنينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحسن أثره ومازال محمودا مرضيا الى أن توفى (١) .

وكم صادف الراضى من مشكلات ، فكان يجد فى الحديث الى أستاذه تنفيسا عما بنفسه لما كان يجده فى كلامه من راحة نفسية وتطيب للخاطر ، بما يرويه له من أحاديث نبوية (٢) .

ومن اللمحات الدقيقة التى أظهرها الصولى فى ثنايا تأريخه للدولة العباسية ــ والتى لا نجدها فى كتب غيره من المؤرخين ، أن الراضى بالله كان لا يحب الأتراك ، ولا يريدهم حوله ، ولا يثق بأمرائهم وأنه كان يحس تآمرهم ومكائدهم .. ولكنه كان لا يستطيع أن يجاهر بكرهه لهم ، وكان يلوم أجداده على اصطناعهم لهؤلاء الأتراك ، واستعانتهم بهم . ويذكر قول الراضى فى احدى خلواتهما :

« كأنى بالناس يقولون أرضى هذا الخليفة بأن يدبر أمره عبد تركى ، حتى يتحكم فى المال وينفرد بالتدبير .. ولا يدرون أن هذا الأمر أفسد قبلى ، وأدخلنى فيه قوم بغير شهوتى ، فسلمت الى ساجية وحجرية يتسحبون على ويجلسون فى اليوم مرات ، ويقصدوننى ليلا ، ويريد كل واحد منهم أن أخصه دون صاحبه ، وأن يكون له بيت مال .. » (٣) .

ويروى الصولى ما يدل على أن الراضى بالله كان داهية فى عقله

---

(١) أخبار الراضى ١٧ ، ١٨ .

(٢) أخبار الراضى ١٧ .

(٣) أخبار الراضى ٤١ .

وذكائه وحسن تصرفه وتدبيره لأمور دولته ، وأنه كان يعرف كيف يسوس أموره ، مرة بالحيلة والدهاء ، ومرة بالبذل والعطاء .
فيقول : ان بجكم فى احدى زياراته للراضى « قبل فخذه ويده ، فضمه الراضى اليه ، وأخرج من اصبعه خاتمين ، فوضعهما فى أصبعه ؛ أحدهما يشبه الجبل (١) فى حمرته وكبره ، فنظر ابن حمدون الى ونظرت اليه ، واغتممنا أن يكون فى يد غيره ، ففطن لنا ، فلما انصرف بجكم قال لنا : قد رأيت نظركما وقت الخاتم ، وأحسبكما ظننتماه الجبل ؛ ليس به ، ولكنه أقرب فص فى الدنيا شبها به (٢) » .

ويسجل الصولى أيضا وبذكاء أحاسيس من حوله ، وعلاقاتهم ، فيذكر أن بجكم كان يتعامل مع الراضى بحرص ودهاء . وأن كلا الطرافين كان يمكر على الآخر ويخشاه (٣) .

ويصور مدى غرور الفرد وعجرفته ، ونكرانه لمعروف من حوله ، واستبداده بهم وبغيرهم فيذكر أن بجكم لما استتم له الأمر وتولى زمام الموقف ، وأصبح المهيمن على السلطة فى الدولة « تكبر وتجبر ووضع التاج على رأسه مكللا بأحسن الحب والياقوت ، وجلس على سرير فضة حواليه ذهب ، وكان مرصعا بجوهر فقال : « أنا أرد دولة العجم وأبطل دولة العرب .. » (٤) .

كل هذه لمحات نفسية أضافها الصولى الى تاريخه السياسى لتطعيمه وزيادة قيمته ، وابراز بعض دواخل النفوس فى مجتمع

---

(١) الجبل : اسم خاتم للراضى .
(٢) أخبار الراضى ص ٤٣ .
(٣) المصدر نفسه ص ٤٣ .
(٤) اخبار الراضى ٦٢ .

الخلافة ، وذلك ما لم يتوفر لكثير من المؤرخين الذين وقفوا عند الأحداث ووصفها فقط .

فاذا ما تركنا هذه العوامل النفسية والانطباعات والنظرات التى سجلها الصولى حول التاريخ — بين ثنايا تحليله وسرده للاحداث التاريخية ، نجد أن الصولى ضم الى هذه العوامل النفسية — وعناصر تاريخه السياسى — عناصر أخرى يمكن أن نطلق عليها ((**الأخبار العامة**)) . على أن هذه الأخبار العامة تدور أساسا فى مجالين : مجال يتصل بالخلفاء والدولة ، ومجال يتصل به شخصيا .

ففى المجال الأول : يذكر الصولى العديد من الأخبار التى يريد بها أعلام القارئين ، فيبين العلاقة الوثيقة التى كانت تربطه بالراضى منذ كان أميرا وتلميذا له (١) ؛ كما يتحدث عن العراقيل التى كانت توضع لمنع الراضى من التعليم ، حتى لا تتسع مداركه فيعرف أمور دينه ودنياه (٢) .

ويذكر كذلك — فى ثنايا حديثه عن الدولة — الكثير من أشعار الراضى وأشعار غيره من الأدباء والعلماء ؛ كما يضمن تأريخه لحكم الراضى — ديوان الراضى ، بعد أن نقحه ورتبه الصولى على حروف الهجاء ، وألحقه — كعادته — بأخباره .

وهذه كلها أمور لم تحدث من مؤرخ من المؤرخين القدامى ؛ ولا كان له مثل ما كان للصولى من اطلاع على الأحوال والأحداث ؛ ومعرفة لأدق أسرار وأخص خصائص الخلفاء والأمراء .. حيث كان هم المؤرخ أن يقصر حديثه على الأحداث السياسية ؟

---

(١) أخبار الراضى ٢٥ .

(٢) أخبار الراضى ١١٥ .

والحروب والفتن ، دون أن يغور فى أعماق نفس من يؤرخ له .. ودون أن يكون لأحد منهم سعة اطلاع الصولى ومعرفته .

ولا يمكن أن يتجاهل الصولى الأخبار التى تتصل بالأمور الدينية ، فنراه يذكر محاكمة « ابن شنبوذ » الذى خرج عن اجماع القراء ، وقرأ قراءة تخالف ما فى مصحف عثمان ، فيذكر أنه حضر هذه المحاكمة ، ودون حيثياتها، وكيف أن «ابن شنبوذ» تاب ورجع عن رأيه وتعهد بعدم الرجوع الى ذلك (١) .

والصولى آل على نفسه ألا يتدخل فى السياسة ، ولكن ذلك لم يمنعه من أن يقول رأيه فى كتبه حول الأحداث التى يكون الخليفة أو الوزير طرفا فيها ، فنراه يذكر العديد من الآراء ، ووجهات النظر فى أحداث رآها فى عصره .. يقول فى الخليفة المتقى لله حين هرب من دار الخلافة ملتمسا النجاة ، وكانت هذه الواقعة سببا فى خلعه وقتله فيما بعد « .. والله ما سمعت بأعجب من أفعال المتقى لله كلها ، أول خطئه وتركه الرأى وركوبه العوز : تركه دار مملكته وخروجه عنها برأى الترجمان واشباهه لغير سبب أوجب ذلك ، ولا اضطرار دعا اليه ، والأمير توزون الى وقته ذاك مطيع له ، تابع لما يشتهيه .. (٢) » .

ومن الأخبار العامة عنده ـ التى ضمنها تأريخه السياسى ـ تاريخه لوفاة العديد من العلماء والوزراء والقواد والفقهاء والقضاة والمحدثين ، فكان يقول فى نهاية أحداث كل سنة من السنين « .. وقد أتيت على جميع ما كان من الحوادث فى سنة كذا .. فلم يبق الا ذكر من توفى فيها من أهل العلم الذين كان الناس

---

(١) أخبار الراضى ٦٣ .

(٢) أخبار المتقى ٢٨٠ .

ينتفعون بحياتهم، فأما الجهال، فلا نبالى بأغنيائهم ولا فقرائهم(١)» فكان بذلك يخلد أسماءهم ، ويبين للنـاس مقـدار ما أداه هؤلاء العلماء والفقهاء فى خدمة العلم والدين والمعرفة .. ويعرف الناس بهم ويذكر نبذة صغيرة عن حياة كل منهم .

أما المجال الثانى : الذى دار فيه الصولى بأخباره العامة ـ فهو الذى يتصل بالحديث عن نفسه ، وعن أحواله وأخبـاره .. فقد أضاف الصولى الى تأريخه السياسى للدولة .. تأريخا لنفسه أيضا ، وكأنه أراد أن يخلد نفسه ، كمـا خلد الخلفـاء ووزراءهم وأمراءهم .

فيذكر كيف كان له دل على الخليفة ، وكيف كانت مكانته ، ويذكر مدى حب الراضى له ، وتقديره لعلمه ، وأنه كان لا يقرأ الا ماكتبه الصولى بخطه ، وكثيرا ما وهبه الهبـات ، واسترشـد بآرائه ، واستمع الى نصائحه ، ويذكر الصولى أيضا ـ ان الراضى كان يستشيره فى اختيـار مجالسـيه . ويصور لنا أول جلسة عقدت فى قصر الخـلافة ، وقد توسـطها الخليفة الراضى (٢) . ويتحدث الصـولى عن مدى المخاطر والدسـائس التى كانت تحاك بالقصر ، وأنه كان دائما يشـفق على تلميذه ، ويسـدى اليـه النصح (٣) ، ابان المشاكل الطارئة والفتن والدسائس التى أشعلها الأتراك . كما يسجل الصولى أحواله الشخصية ومرضه وعافيته ، وغناه وفقره ، وسعته وحاجته ، ويتحدث عن مؤلفاته وكتبه ، وكيف كان يتـداولها النـاس . ويذكر ما تعرض له من مؤامرات

---

(١) أخبار الراضى ٦١ ، ٢١٢ .
(٢) المصدر نفسه ٩ .
(٣) المصدر نفسه ١١٠ .

واضطهاد خاصة من وزير المتقى، الذى أراد أن يمنعه من الجلوس فى الجامع للناس (١) .

ويضمن الصولى أحداثه التاريخية ـ بالاضافة الى أخباره العامة ـ الكثير من قصائده ، خاصة مدائحه فى الراضى والمتقى . ويذكر مناسباتها ، وكيف استحسنت من الخليفة أو من الأدباء والجالسين ، وان كان قد اعتذر عن ذلك بقوله (٢) : « .. وانما آتى من الأشعار التى قلتها فى الراضى بطرف للحاجة الى المعنى الذى قيلت فيه ، والا فالشعر كثير فيه . » .

وبمراجعة تأريخ الصولى للدولة العباسية وأحداثها ، وأحوال خلفائها ، على كتب التاريخ الأخرى التى ألفت فى القديم ـ نستطيع أن نقول وباطمئنان : ان الصولى كان صادقا ومحايدا وأمينا ؛ فلم يشأ أن يذكر خبرا لم يقع ؛ أو يضيف شيئا لم يحدث .. ويقسم هو على ذلك فيقول (٣) : « والله يعلم أنى ما تحريت بقولى هذا الا الحق » . كما أن ما رواه أو كتبه لم يقصد به الاساءة الى عدو أو مدح صديق .. ولكنه كان يقول الحق للحق وللتاريخ « لأن من لزم الحق سلم فى عاجله وآجله ، وكان الله ولى توفيقه (٤) » .

وهكذا كان الصولى مؤرخا ـ بالاضافة الى كونه كما رأينا سابقا ـ شاعرا وناثرا وناقدا ومعلما . أجمع العلماء والمؤرخون على أنه مؤرخ ثقة فى كل ما كتب عن الدولة وخلفائها .. ذلك أنه فى معظم ما ذكره عن تاريخ الدولة العباسية ، عاشه بنفسه ، ورآه

---

(١) أخبار المتقى ٢١٥ .

(٢) أخبار الراضى ص ٣١ .

(٣) أخبار المتقى ٢٦٦ .

(٤) أخبار المتقى ٢٦٦ .

بعينه ، وعاصر أحداثه ، فكانت كتاباته هذه كتابة مؤرخ معاصر ـ شاهد عيان ـ يسجل كل ما وقعت عليه عيناه ، وما سمعته أذناه ، وما أحسه بكيانه ، فكان بحق مصدرا كبيرا استقى منه كل من كتب عن تاريخ الدولة العباسية فى هذه الفترة من القدماء والمحدثين . وقد شهدوا بمكانته جميعا .

فقال المسعودى مثنيا عليه ان الصولى « ذكر غرائب لم تقع لغيره ، وأشياء تفرد بها لأنه شاهدها بنفسه (١) .. ووصفه حاجى خليفة بأنه « العمدة فى تاريخ الدولة العباسية » (٢) وقال آخرون انه « أحد العلماء البارزين ، حسن المعرفة بأخبار الملوك وأيام الخلفاء (٣) » .

أما المؤرخون المحدثون ، فقد زخرت كتبهم ، التى تناولوا فيها تاريخ هذه الفترة ـ يذكر الصولى كمؤرخ ثقة ، وعالم نابغة ، فقد أثنى روزنتال (٤) على مجهوده الضخم ، ووصفه بأنه من أكبر المؤرخين العرب ، واستشهد بآرائه وأقواله حول التاريخ والمؤرخين . كما ذكر الدكتور حسن ابراهيم (٥) الصولى كمصدر هام وأساسى ؛ واستشهد بما رواه فى تاريخه من أحداث .

٢ ـ كتاب الوزراء :

ومن كتب التأريخ السياسى عند الصولى ـ بالاضافة الى كتاب الأوراق ـ كتاب الوزراء (٦) .

---

(١) مروج الذهب ١/١٥ .

(٢) كشف الظنون ٢٨٣ ، ٢٠١ .

(٣) الكامل فى التاريخ ٦/٣٢٤ .

(٤) علم التاريخ عند المسلمين لروزنتال ٧٨ .

(٥) تاريخ الاسلام السياسى والثقافى والدينى جـ ٢ .

(٦) الفهرست ١٥٠ ، كشف الظنون ١٤٦٩ .

وهو كتاب مفقود لم نعثر على أى نسخة منه ، مخطوطة كانت أو مطبوعة ، ومن عنوان هذا الكتاب نعرف أن الصولى جمع أخبار عدد من الوزراء ، وقد ذكره الصولى فى ثنايا كتاب الأوراق - أثناء حديثه عن أحمد بن يوسف بن صبيح كاتب دولة بنى العباسى فقال (١) : « وقد استقصيت أخباره فى كتاب الوزراء الذى ألفته ، وأنا آتى ههنا منها بشىء من مختارها ومختار شعره »

وعنه يقول الهلالى الصابىء (٢) : « وضع أبو بكر محمد بن يحيى الصولى كتابا فى تاريخ الوزراء ، رأيت منه ما كان الى آخر أيام القاسم بن عبيد بن سليمان وزير المعتضد ثم المكتفى المتوفى سنة ٢٩١ هـ » .

لم يبق لنا من كتاب الوزراء هذا الا بعض الأخبار المتفرقة فى الكتب . وقد نقل عنه كثير من المؤرخين . كالتنوخى فى كتابه الفرج بعد الشدة (٣) ؛ وابن طباطبا فى كتابه « الفخرى فى الآداب السلطانية » (٤) . وهناك أيضا عدة نقول - عن كتاب الوزراء - فى كتب العلماء والمؤرخين (٥) .

---

(١) ص ٢٠٦ .

(٢) أقسام ضائعة من كتاب تحفة الأمراء ٢١ .

(٣) أنظر ج ١ ص ٤٠ ، ٨٤ ، ٨٩ . ج ٢ ص ٤٠ .

(٤) ص ٣٢١ ، ٢٦٠ .

(٥) راجع كتاب بدائع البدائه لعلى بن ظافر الازدى المطبوع بهامش معاهد التنصيص (٤٨ ، ٥٠ ، ١٨٤) وكتاب أحسن ماسمعت للثعالبى (٢٦ ، ٢٧) ، وكتاب التنبيه والاشراف للمسعودى ص ٣٤٥ .

٣ ــ أخبار القرامطة (١) :

ضاع هذا الكتاب ولا نعرف عنه شيئا ، ولم نجد له أى أثر يدل عليه فى فهارس المخطوطات والمطبوعات بدار الكتب المصرية أو بمكتبة الأزهر ، غير أن الصولى ضمن كتابه الأوراق ، بعض أخبارهم وثوراتهم، وتحدث عن زعمائهم. وقد ذكر ابن النديم(٢) : ان الصولى جمع أخبار الجبائى زعيمهم المقتول، فى كتابه الأوراق.

٤ ــ خبر الجمل (٣) :

لم نعثر على هذا الكتاب أيضا . ولم يرد ذكره فى المصادر القديمة التى ترجمت للصولى ، غير أن الدكتور يوسف العش ذكره فى كتابه (٤) . وذكره أيضا خير الدين الزركلى فى كتابه الاعلام ، وسماه « وقعة الجمل » ويقول انها رسالة صغيرة مخطوطة ، دون أن يحدد مكانها .

٥ ــ رسالة الصولى فى فضل أبى بكر محمد بن طغج (٥) :

قال الصولى : وما رأيت الراضى يقرظ أحدا تقريظه الأمير أبى بكر محمد بن طغج .. وكان يقول عنه اذا ذكره : « رجل كبير العقل ، حسن الطاعة ، يشبه أجلاء الموالى الماضين ، وما أدرى بما أكافئه .. فألف الصولى رسالة فيه .. ارضاء للراضى وطمعا

---

(١) وفيات الاعيان ٤٧٧/٢ .

(٢) الفهرست ١٥٠ .

(٣) الاعلام للزركلى ٤/٨ .

(٤) كتاب الخطيب البغدادى ص ١٠٦ .

(٥) أخبار الراضى ٤٤ .

فى بره خاصة بعد أن سماه « الاخشاذ » وأمر أن يسميه به جميع الناس ، وقد ضاعت هذه الرسالة .

٦ - كتاب مناقب على بن الفرات (١) :

لا نعرف شيئا عن هذا الكتاب ، ولم نعثر على أى ذكر له فى كتب الصولى . بيد أنه كما هو واضح من عنوانه - يتناول فيه أخبار الرجل ومناقبه .

ثانيا : التأريخ الأدبى

ألف الصولى فى التأريخ الأدبى ، تراجم مجموعة كبيرة من الشعراء المحدثين ، وجمع أخبارهم وأشعارهم وسنذكر أولا الأخبار الموجودة ، ثم نعقبها بالأخبار المفقودة .

أولا : الأخبار الموجودة :

١ - أخبار الشعراء (٢) :

هذا القسم - أحد الاقسام الأدبية من كتاب الأوراق ، وقد حققه ونشره فى كتاب مستقل المستشرق ج . هيورث دن . سنة ١٩٣٤ م . وقد تضمن هذا القسم أخبار ثلاث عائلات كان لها أثر فى الحياة الأدبية والرسمية :

الأولى : عائلة اللاحقى : وقد جمع الصولى أخبار عدد من شعرائها، ومختارات من أشعارهم . من هؤلاء : أبان بن عبدالحميد

---

(١) الفهرست ١٥٠ .

(٢) الفهرست ١٥٠ .

اللاحقى ؛ وحمدان بن أبان ، وأبان بن حمدان ؛ وعبد الله بن عبد الحميد بن لاحق ؛ واسماعيل بن بشر بن المفضل بن لاحق .

والثانية : عائلة السلمى : حيث جمع أخبار أشجع بن عمرو السلمى ، ومختارات من شعره ، وكذلك أخبار وشعر أخيه أحمد .

والثالثة : عائلة ابن صبيح : وقد جمع الصولى أخبار عدد كبير منها ، ومختارات من شعرهم ونثرهم ، على رأسهم أحمد بن يوسف بن صبيح ، ويوسف بن القاسم ، وعبد الله بن أحمد بن يوسف ، ومحمد بن عبد الله بن أحمد بن يوسف ، ثم أحمد بن ابى سلمة الكاتب صهرهم .

وفى ترجمة الصولى لهؤلاء الشعراء ، دون كل ما يتصل بحياتهم الخاصة والعامة ، سجل سيرهم ونوادرهم ، ونقل أخبارهم عن أهلهم وذويهم ، وعما وجده بخط أيديهم ، وقد أورد لبعضهم مقطعات كثيرة وقصائد تبين احسانهم وتظهر شاعريتهم ، وتعرف بمن لم يكن معروفا منهم .

وممن ترجم لهم الصولى — فى هذا القسم — أدباء عرفوا بأنهم كتاب فقط ، وقليل من القوم من كان يعرف أنهم يقرضون الشعر ، فكان الصولى يأتى بأبياتهم ومقطعاتهم الى جانب كتاباتهم النثرية ، من هؤلاء : يوسف بن القاسم ، الذى يقول عنه الصولى : « ان له أشعارا ومكاتبات وأخبارا ، اذ كانت مما لا يعرفه كثير من الناس (١) » .

أما عن ترتيب هذه التراجم ، فكان الصولى يتبع احدى طريقتين :

---

(١) الأوراق — أخبار الشعراء ١٤٧ .

الأولى : أن يرتب شعراء العائلة الواحدة حسب الحروف الأبجدية مبتدئا بحرف الألف ..

الثانية : ان يرتبهم حسب السن ، فيأتى أولا بأكبرهم سنا، ثم الذى يليه وهكذا .

٢ ــ أخبار أولاد الخلفاء وأشعارهم (١) :

هذا هو القسم الثانى من الأقسام الأدبية التى اشتمل عليها كتاب الأوراق ، وقد حققه أيضا ، ونشره المستشرق ج هيورث دن سنة ١٩٣٧ .

تناول الصولى فى هذا القسم ــ كما يقول هو ــ أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم . ومن أهم التراجم الموجودة فيه : ترجمة عبد الله بن المعتز ، فقد أولاه الصولى اهتماما كبيرا ، وترجم له ترجمة وافية . وأورد له كثيرا من شعره الذى لم يرد فى ديوانه(٢) كما أورد له كثيرا من الرسائل النادرة . واهتم كذلك بشعر علية بنت المهدى وأخيها ابراهيم ؛ وذكر معظم انتاجهما الفنى .

وقد أورد الصولى فى هذا القسم بالاضافة الى هؤلاء : أشعار وأخبار محمد بن أبى العباس السفاح ، وسليمان ابن المنصور ، وهبة الله بن ابراهيم بن المهدى ، وعبد الله بن موسى الهادى ، وأبى عيسى بن الرشيد ، ومحمد بن الرشيد ، وعبد الله ابن محمد الأمين ، وهارون بن المعتصم ، ومحمد بن المتوكل ، وعبد الله بن على بن عبد الله بن العباس ؛ وعيسى بن موسى بن محمد ، ثم ختم هذا القسم بأخبار أبى العبر وشعره .

---

(١) الفهرست ١٥٠ .

(٢) ج . هيورث دن ــ مقدمة الكتاب .

واذا كان الصولى قد ذكر فى مقدمة هذا القسم ، أنه ترجم لأولاد الخلفاء من بنى العباس، ثم اتبعهم أشعار سائر بنى العباس، ثم اتبع ذلك أشعار ولد أبى طالب ثم أشعار من بقى من بنى هاشم فان ما عثر عليه منها انما هو تراجم أولاد الخلفاء من بنى العباس السابق ذكرهم فقط .

وأغلب الظن أن الصولى قد وفى بوعده هذا ، وبر به ، فكتب فى كل هذه التراجم ، ويدعم هذا الظن ما ذكره ناشر هذا القسم — اذ يقول عن أصل هذه النسخة التى نقل عنها : « ويغلب على الظن أن ما بقى قد ضاع ، فان آخر النسخة التى بين أيدينا مفقود ، والترجمة التى جاءت فى آخرها لم تكمل ، وقد بدت عليها آثار القدم فمحيت مواضع منها (١) .

٣ ـ أخبار أحمد بن يوسف (٢) :

هذه الأخبار وردت ضمن قسم أخبار الشعراء ؛ الذى نشره ج . هيورث دن . راجع القسم المذكور ص ٢٠٦ — ٢٣٦ .

ثانيا : الأخبار المفقودة :

٤ ـ أخبار ابن هرمة :

هذه الأخبار يعدها ابن النديم (٣) قسما من كتاب الأوراق ، ولم نعثر على أى أثر لهذه الأخبار يدل على وجودها مخطوطة

---

(١) مقدمة كتاب أشعار أولاد الخلفاء ص ٣ .

(٢) الفهرست ١٥٠ .

(٣) الفهرست ١٥٠ .

٥ ـ أخبار السيد الحميرى :

يعدها ابن النديم (١) أيضا قسما من الأوراق ، ولم نعثر لها على أثر .

٦ ـ أخبار الحلاج :

يعدها ابن النديم (٢) جزءا من كتاب الأوراق ، وقد طبعها وحللها ماسينون تحليلا وافيا فى كتاب (أخبار الحلاج أو مناجيات الحلاج) ، غير أنه لم يشر اطلاقا الى الصولى على أنه مؤلفها ، وأغلب الظن أنه جمعها من مصادر متعددة ، وبأسلوب يختلف عن أسلوب الصولى ، وبطريقة مغايرة لطريقته ، حيث جعلها مقطوعات صغيرة كل منها لا يزيد على عشرة أسطر (٣) .

٧ ـ أخبار سديف :

ذكرها ابن النديم (٤) على أنها جزء من كتاب الأوراق .

٨ ـ أخبار الجبائى :

يقول ابن النديم (٥) انها جزء من كتاب الأوراق . والجبائى هو أبو سعيد القرمطى ، رئيس القرامطة المقتول سنة ٣٠١ هـ .

وفى مجال تاريخ الأدب ، وتراجم الشعراء ـ ألف الصولى

---

(١) الفهرست ١٥٠ .

(٢) الفهرست ١٥٠ .

(٣) راجع أخبار الحلاج لماسينون ، طبع باريس ١٩٣٦ .

(٤) الفهرست ١٥٠ .

(٥) الفهرست ١٥٠ .

مجموعة أخبار مستقلة لعدد من الشعراء ؛ ذكرتها المصادر الأدبية القديمة ، وتحدث الصولى عنها بين ثنايا مؤلفاته وهى :

أولا : الأخبار الموجودة :

١ ـ أخبار أبى تمام
٢ ـ أخبار البحترى
٣ ـ أخبار ابراهيم بن المهدى
٤ ـ أخبار الشعراء
٥ ـ أخبار أبى نواس

ثانيا : الأخبار المفقودة :

٦ ـ أخبار اسحق بن ابراهيم الموصلى
٧ ـ أخبار العباس بن الأحنف
٨ ـ أخبار الفرزدق
٩ ـ أخبار شعراء مضر .
١٠ ـ اخبار شعراء ربيعة .
١١ ـ اخبار شعراء اليمن .

كما ألف أخبار بعض القضاه واللغويين والنحويين من هؤلاء

١٢ ـ اخبار القاضى عمر بن محمد
١٣ ـ أخبار أبى عمرو بن العلاء

وسنحاول أن نلقى نظرة على كل منها .

أولا : الكتب الموجودة :

١ ـ أخبار أبى تمام (١)

هذه الأخبار حققها ونشرها فى كتاب الأساتذة خليل محمود عساكر ، ومحمد عبده عزام ، ونظير الاسلام الهندى سنة ١٩٣٧ . جمع الصولى أخبار أبى تمام بتكليف من « مزاحم بن فاتك » كما يتضح من رسالة الصولى اليه . وهذه الأخبار كانت مقدمة لديوان أبى تمام الشامل لكل شعره حسب موضوعاته ــ كما يقول الصولى نفسه ــ غير أنه بمرور الزمن ، وتوالى السنين انفصلت هذه الأخبار عن الديوان ، وعرفها المؤرخون والوراقون والنساخ منفصلة عن الديوان .

يقول المسعودى (٢) : « وقد صنف أبو بكر الصولى كتابا جمع فيه أخبار أبى تمام وشعره » .

أما عن عنوان هذا الكتاب وتسميته « أخبار أبى تمام » فقد قال عنه محققو هذا الكتاب ان هذا العنوان من وضعهم ؛ لأنه لم يرد فى النسخة المخطوطة التى اعتمدوا عليها فى نشرهم لهذا الكتاب الا فى تضاعيف الكتاب كأنه عنوان فرعى (٣) . وكان ذلك من الأسباب التى جعلت المستشرق الألمانى كارل بروكلمان يذكره فى ملحق كتابه « تاريخ الأدب العربى » تحت عنوان « رسالة الصولى الى مزاحم بن فاتك » .

ولكتاب أخبار أبى تمام قيمة فنية ضخمة ، ففيه أخبار كثيرة ونظرات صائبة ، انفرد الصولى بها ، فقدم لنا من خلالها

---

(١) الفهرست ١٥٠ .

(٢) مروج الذهب ٣٦٢/٢ .

(٣) مقدمة كتاب أخبار أبى تمام الصفحة ى .

معلومات وآراء وأخبارا ذات قيمة عظيمة تجلى جوانب هامة من حياة أبى تمام وشعره . وثقافته ، ومقدرته الفنية ، وعلاقاته مع غيره من الشعراء والممدوحين والنقاد . وهذا الكتاب يعتبر من أمهـــات الكتب التى أرخت لأولية الصراع النـــاشىء بين مذهبى الصنعة والطبع ، كما ان فيه أخبارا كثيرة انفرد الصولى بذكرها ، وأبياتا من الشـــعر لم ترد فى دواوين أصحابهـــا . ويرى بعض الباحثين (١) أن كتاب أخبار أبى تمام الذى دافع فيه الصولى عن أبى تمـــام ، يعتبر ردا على كتـــاب الموازنة بين أبى تمام والبحترى الذى تعصب فيه الآمدى للبحترى . وقد ترجم هـــذا الكتاب الى الألمانية نظير الاسلام الهندى .

٢ ـ أخبار البحترى :

لم تذكر المصـــادر الأدبية القديمة التى ترجمت للصولى « أخبار البحترى » ، ولم تشر اليها على أنها أحد مؤلفاته . وذلك لأنها عرفت ونشرت فى كتاب مستقل حديثا . ولقد كان الفضل فى اخراج هذه الأخبـــار فى كتاب وتقديمها للقارئين على هذه الصورة المكتملة للأستاذ الدكتور صالح الأشتر ، الذى قام بهذا العمل الأدبى الجليل على أحسن وجه ، فقد جمع أخبـــار البحترى وحققها وعلق عليها ، ثم ذكر المراجع التى استند اليها وأرخ وترجم للأعلام الذين وردوا فيها ، كما جمع من المصادر الأدبية المختلفة كل ما رواه الصولى ويتصل بالبحترى من أخبار . أما عن تسمية هذا الكتاب « أخبار البحترى » فهى مأخوذة من تسمية الصولى نفســـه ، من آخر عبارة وردت فى هذه الأخبـــار حيث قال

---

(١) الاستاذ أحمد أمين ـ مقدمة الكتاب .

الصولى : « .. آخر أخبار البحترى (١) » .

وقد قام الدكتور صـــالح الأشتر بتبويب الأخبار مقتديا بالجهد السابق الذى قام به محققو كتاب « أخبار أبى تمام » فتناول : أخبار الصولى نفسه مع البحترى ، ثم ما جاء فى تفضيل أبى تمام ، ثم ما جاء فى تفضيل البحترى ، وتبع ذلك بأخبار البحترى مع المتوكل والفتح بن خاقان ، وأخبـاره مع الوزراء والكتاب .. ثم أخبار متفرقة عن البحترى ، ثم جاء بما عيب على البحترى ..

وأخبار البحترى لها قيمة أدبية ونقدية وتاريخية عظيمة ، ذلك أنها أخبـار عن شاعر من فحول شـــعراءعصره ــ وعصر الصولى ــ رواها ونقلها الصولى رواية عليم مطلع ، عاصر الشاعر ورآه وسمعه ولقيه ، وأخذ عنه وقرأ عليه ، ومن هنا كانت قيمة هذه الأخبار . فهى أخبار شاهد معظمها بنفسه ، وســـمعها أو نقلها عن أناس ثقة عرفوا البحترى ، وعاشوا معه ، وكانوا شديدى الصلة به ، كابنه يحيى أبى الغوث ، وعبد الله بن الحسين القطربلى صديق البحترى ، وعلى بن العباس النوبختى الذى كان يتتبع ويسجل أخبار البحترى ، وعبد الله بن المعتز ممـدوح البحترى وابن ممدوحه ، وكالمبرد صديق البحترى وأســـتاذ الصولى وغيرهم .

ولقد قدم لنا الصولى فى أخبار البحترى ومن خلالها أشياء انفرد بها عن غيره من الأخباريين والرواة ، وأضاف الى معلوماتنا العـديد من المعلومات التى لهـا قيمتها فى تأريخ حيـاة البحترى وذكائه وشاعريته وقيمته الفنية فى عصره . وأخبار البحترى

---

(١) أخبار البحترى للصولى ص ١٣٩ .

هذه ــ تلقى كثيرا من الضوء على الحياة الأدبية والنقدية المعاصرة . فنرى الصولى يؤرخ لمعارك النقد الكبرى التى قامت بين أنصار أبى تمام وأنصار البحترى ، والتى أصبح النقد معها ــ كما يقول الدكتور مندور (١) ــ منهجيا عند العرب .

والصولى يعد المرجع الأساسى لكل المؤرخين والمترجمين للبحترى . فجميع من أرخ لحياة الشاعر بعد الصولى اعتمدوا على أخبار الصولى وتناقلوها . منهم : أبو الفرج الأصفهانى فى كتابه الأغانى (١٦٧/١٨) والآمدى فى كتاب الموازنة بين أبى تمام والبحترى (أماكن متعددة) والعسكرى فى ديوان المعانى (أماكن متعددة) والمرزبانى فى كتاب الموشح (٣٣٠ ــ ٣٤٣) وغيرهم .

٣ ــ أخبار ابراهيم بن المهدى

طبعت هذه الأخبار ضمن القسم الأدبى من كتاب الأوراق « قسم أخبار أولاد الخلفاء (٢) » تحقيق ونشر ج . هيورث . دن . ويوجد منه نسخة مخطوطة فى مكتبة ماكدونالد (٣) .

٤ ــ كتاب أخبار الشعراء (٤)

لعله قسم من أقسام كتاب الأوراق ، الذى جمع فيه الصولى أخبار عائلة اللاحقى وعائلة السلمى وعائلة ابن صبيح .

---

(١) النقد المنهجى عند العرب ١٣٠ .

(٢) أخبار أولاد الخلفاء ص ١٧ .

(٣) تاريخ الأدب العربى لكارل بروكلمان ٥٤/٣ .

(٤) كشف الظنون ٢٧ .

٥ ـ أخبار أبى نواس (١)

هذه الأخبار ألفها الصولى لتكون مقدمة لديوان أبى نواس ، وقد ذكر الدكتور صالح الأشتر فى كتاب « أخبار البحترى » أنها مخطوطة . (مخطوطة الظاهرية ٤٦٤٠) .

ثانيا : الأخبار المفقودة

٦ ـ أخبار أسحق بن ابراهيم الموصلى

ذكره ابن خلكان فى وفياته (٢) . ولكن ورد فى آخر كتاب الأوراق ـ قسم أخبار الشعراء ـ « هذه آخر ما عمله أبو بكر الصولى من كتاب الأوراق ، ولم يقض له أن يؤلف أخبار اسحق ابن ابراهيم الموصلى لوفاته » (٣) هكذا قال ناسخ الكتاب . غير أنه من المؤكد أن الصولى قام بتأليف هذه الأخبار وجمعها فى كتاب ، والدليل على ذلك ما نقله ابن النديم عنه ، اذ يقول (٤) : قال الصولى فى أخبار أسحق بن ابراهيم الموصلى : « لأسحق ابن ابراهيم من الولد حميد وحماد وأحمد وحامد وابراهيم وفضل ، ولم يكن فى جماعة ولد ابراهيم الموصلى من يغنى الا اسحق وطياب » .

---

(١) كشف الظنون ٧٧٤ .

(٢) فيات الأعيان ٤٧٧/٣ .

(٣) آخر كتاب الأوراق .

(٤) الفهرست ٢٠١ .

٧ ـ أخبار العباس بن الأحنف (١)

لم نعثر لهـذا الـكتاب على أثر فى مخطوطات دار الـكتب المصرية ، أو فهارس مكتبة الأزهر .

٨ ـ أخبار الفرزدق

يقول الصولى لمزاحم بن فاتك (٢) : انه انتهى من تأليفهـا فدخلت فى ثلاثمائة ورقة ، وأنه شرط على نفسـه ألا يأتى بحرف ذكر فى النقائض الا مالا بد منه ، من ذكر نسبه وأزواجه وغير ذلك . ويذكر الصولى : أنه ألف هذه الأخبار للفرزدق لشرفه ، وقوة أسر كلامه ، وكثرة معانيه ، وجميل مذهبه .

٩ ـ أخبار شعراء مضر

ذكرها الصولى فى كتابه أخبار الراضى بالله والمتقى لله (٣) .

١٠ ـ أخبار شعراء ربيعة

ذكرها أيضا فى كتابه أخبار الراضى بالله والمتقى لله (٤) .

١١ ـ أخبار شعراء اليمن

ذكرها الصولى فى كتـابه الأوراق خلال ترجمته للراضى بالله (٥) .

---

(١) الفهرست ١٥٠ .

(٢) رسالة الصولى الى مزاحم ص ١٢ .

(٣) ص ٤٠ .

(٤) ص ٤٠ .

(٥) أخبار الراضى ص ٤٠ .

١٢ ـ أخبار القاضى عمر بن محمد

يقول الصولى (١) : قد أفردت كتابا له فيه أشعاره ، وفيه رسالة عملتها فى وصفه ووصف أبيه .

١٣ ـ أخبار أبى عمرو بن العلاء

ذكره ابن النديم فى مجموعة كتب الصولى (٢) بعد ترجمته

---

(١) أخبار الراضى ١٤١ .
(٢) الفهرست ص ١٥٠ .

● **الفصل الثانى**

الكتب الأدبية واللغوية

ألف الصولى مجموعة من الكتب والرسائل الأدبية واللغوية، حفظ لنا الدهر بعضها ، وأفنى بعضها الآخر . **فأما الكتب والرسائل الموجودة فهى :**

١ ـ أدب الكتاب

٢ ـ رسالة الصولى الى مزاحم بن فاتك فى فضل أبى تمام وشعره

٣ ـ شرح ديوان أبى تمام .

٤ ـ رسالته فى شعر أبى نواس .

وأما الكتب المفقودة فهى :

٥ ـ شرح ديوان الحماسة لأبى تمام .

٦ ـ شرح ديوان أبى نواس .

٧ ـ رسالته فى المطاولة لابن أبى الساج .

٨ ــ رسائله الى القاضى عمر بن محمد •

٩ ــ كتاب فى ما اتفق لفظه واختلف معناه •

١٠ــ كتاب الغرر •

أولا : الكتب الموجودة :

١ ــ أدب الكتاب

قام بتحقيق هذا الكتاب ونشره السيد محمد بهجة الأثرى سنة ١٣٤١ هـ • وهو أحد الكتب الأدبية التعليمية ــ التى وضعت خصيصا لتعليم الكتاب أصول حرفتهم • وقد تحدثنا عنه فى الفصل الخاص « بالصولى المعلم » وهو يجلى بوضوح محصلة الصولى وثقافته فى فنون الآداب ، خاصة الأدب الرسمى الديوانى •

٢ ــ رسالة الصولى الى مزاحم بن فاتك

حقق هذه الرسالة ونشرها محققو كتاب أخبار أبى تمام ، وجعلوها مقدمة لأخباره .

وهى رسالة أدبية نقدية بليغة ، ألفها الصولى فى فضل أبى تمام وشعره ، وقدم بها لعمله المتكامل الذى يتصل بأبى تمام وهو جمع أخباره ثم ديوانه مرتبا على الحروف الهجائية ، ثم شرح هذا الديوان « حتى لا يشذ منه حرف ؛ ولا يغمض منه معنى ، ولا ينبو عنه فهم ، ولا يمجه سمع (١) » .

---

(١) رسالة الصولى الى مزاحم ص ٥ .

ويذكر الصولى فى رسالته هذه : انه جمع شعر أبى تمام فى مدحه وهجائه ، وفخره وغزله ، وأوصافه ومراثيه ، وبدأ كل فن من هذه الفنون بشعره على قافية الألف ثم الباء ثم توالى الحروف الى آخرها .

وفى هذه الرسالة يتحدث الصولى عن نفسه وعن علمه ، وعن أساتذته ، وعن مؤلفاته ، ويفخر بأن الناس تتهافت على كتبه ، كما يقول ان بعض العلماء كانوا يسرقون أماليه ويضعونها فى كتبهم ..

٣ - شرح ديوان أبى تمام

وللصولى شرح على ديوان أبى تمام كما ورد فى الفهرست وفى كشف الظنون (١) بلفظ « ديوان أبى تمام » وفى الخزانة التيمورية نسخة من هذا الشرح بها خرم فى أولها . وفى دار الكتب المصرية قطعة من هذا الشرح (٢) ، (مخطوط رقم ٥٧٣) .

وقد نقل التبريزى فى شرحه لشعر أبى تمام عدة نقول عن شرح الصولى فى مواطن مختلفة .

٤ - رسالته فى شعر أبى نواس (٣)

وهى رسالة ألفها الصولى على نمط رسالته فى شعر أبى تمام لتكون مقدمة لأخبار أبى نواس ثم ديوانه . يقول الصولى فيها - عن البحترى - لمن ألفها له :

« فهذا ما عرفتك - أعزك الله - ان شاعرا حاذقا مميزا

---

(١) الفهرست ١٥٠ ، وكشف الظنون ٧٧٠ .

(٢) فهرس دار الكتب ٣/١٩٩ .

(٣) مخطوطة الظاهرية ٤٦٤٠ .

ناقدا ؛ مهذب الألفاظ مثـــل البحترى لم يكمل لنقـــد جميـــع الشعر ... »

وقد ذكرها الدكتور صالح الأشتر فى مقدمة كتاب « أخبـــار البحترى » وقال انها مخطوطة .

ثانيا : الكتب المفقودة :

٥ ـ شرح ديوان الحماسة لأبى تمام (١)

٦ ـ شرح ديوان أبى نواس (٢)

٧ ـ رسالة الصولى الى ابن أبى الساج (٣)

وهى رسالة أدبية طويلة ألفها الصولى لابن أبى الساج يوصيه فيها بالمطاولة .

٨ ـ رسائل الصولى الى القاضى عمر بن محمد (٤)

يقول الصولى : ان للقاضى عمر بن محمد أشـــعارا ملاحا ، وجوابات منى ، قد أفردت لذلك كتابا فيه هـــذه الأشعار ، وفيه رسالة عملتها فى وصفه ووصف أبيه » .

٩ ـ كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه (٥) .

---

(١) كشف الظنون ٦٩٢ (لفظ الحماسة) .

(٢) الخزانة للبغدادى ٢٤٩/٢ .

(٣) أخبار الراضى ١٧ .

(٤) أخبار الراضى ١٤١ .

(٥) هدية العارفين ٣٨/٢ .

١٠ ـ كتاب الغرر (١) .

وهو عبارة عن أمال له ، لعله أملاها على تلاميذه فى حلقات الدرس ، ثم جمعها فى كتاب . يقول السمعانى (٢) « وكتبت جزءين من أماليه الحسنة عن شيخنا أبى منصور الجواليقى ببغداد » .

---

(١) الفهرست ١٥٠ .

(٢) الانساب ٣٥٨ .

● الفصل الثالث

الكتب الدينية

هذه الكتب فقدت جميعا ، ولم يبق منها سوى الاسم أو الاشارة وهى :

١ ـ كتاب الشامل فى علم القرآن :

ذكر ابن النديم (١) أن الصولى لم يتمه . وقد ذكره الصولى فى رسالته الى مزاحم بن فاتك (٢) وقال انه أحد الكتب التى سرقها أبو موسى الحامض منه ، ووجدت بين ثنايا الكتب التى خلفها .

٢ ـ جزء الصولى فى الحديث (٣) :

جمعه الصولى من مرويات الحفاظ ، يقول الذهبى (٤) :

(١) الفهرست ١٥٠ .

(٢) رسالة الصولى الى مزاحم ص ١١ .

(٣) كشف الظنون ٥٨٨ .

(٤) سير أعلام النبلاء ١٠/٧٣ .

« وله جزء ســـمعناه » . وقد ذكر الصــولى أن له كتبا فى الحديث (١) . وللصولى بعض الأحاديث ، أوردها المســعودى فى مروج الذهب (٢) ، كما روى الصولى العديد من الأحاديث النبوية للراضى بالله ابان فترة تعليمه وخلافته فى مناسبات مختلفة (٣) .

٣ ـ كتاب العبادة (٤) :

ذكرته المصادر الأدبية القديمة بهذا الاســم ، وقد انفرد ياقوت بتسميته « كتاب العبادلة (٥)

٤ ـ كتاب رمضان (٦) .

٥ ـ كتاب سؤال وجواب رمضان (٧) .

---

(١) أخبار أبى تمام ٦٢ .

(٢) ٣١١/٨

(٣) أخبار الراضى ص ٢١٦ .

(٤) الفهرست ١٥٠ .

(٥) ارشاد الأديب ١٣٦/٧ .

(٦) هدية العارفين ٣٨/٢ .

(٧) الفهرست ١٥٠ .

● الفصل الرابع

الكتب المتنوعة

تشمل هذه المجموعة الكتب التالية :

١ ـ كتاب الشطرنج :

ذكر ابن النديم أن للصولى نسختين من هذا الكتاب (١) . وقد ذكرت المصادر (٢) أن فى كتاب الشطرنج لابن أبى حجلة عدة نقول عنه ، وقد اختار أبو زكريا يحيى بن ابراهيم الحكيم منتخبات من كتابى الشطرنج للصولى والعدلى . (ومنه مصور بالقاهرة ثانى ٢٠/٦) . وتوجد أيضا منتخبات من كتاب الشطرنج للصولى فى مكتبه لاله اسماعيل (٥٦١) .

---

(١) الفهرست ١٥٠ .

(٢) تاريخ الادب العربى لبروكلمان ٥٣/٢ .

٢ ـ كتاب تفضيل السنان (١) .

ألفه الصولى لأبى الحسن على بن الفرات ، ولا نعرف عن موضوعه شيئا .

٣ ـ كتاب الأنواع (٢) .

لم تذكر المصادر القديمة شيئا عن موضوع هذا الكتاب أو الغرض من تأليفه .

ويقول ابن النديم (٣) أن الصولى لم يتمه . وقد ذكره البغدادى فى خزانة الأدب فقال (٤) :

« قال الصولى فى كتاب الأنواع : حدثنا أبو العباس محمد الجبائى ، قال أنشدنا بكر المازنى لربيعة بن ثابت الرقى يمدح يزيد بن حاتم المهلبى ويهجو يزيد بن أسيد السلمى :

❋ لشتان ما بين اليزيدين فى الندا ❋ (البيت وبعده أبيات ثلاثة) .

قال : بلغ هذا الشعر أبا الشمقمق واسمه مروان فقال : يفضل يزيد بن مزيد الشيبانى على يزيد المهلبى :

لشتان ما بين اليزيدين فى الندا
اذ عد فى الناس المكارم والحمد

يزيد بنى شيبان أكرم منهما
وان غضبت قيس بن عيلان والأزد

---

(١) الفهرست ١٥٠ .

(٢) هدية العارفين ٣٨/٢ .

(٣) الفهرست ١٥٠ .

(٤) خزانة الأدب ٥٣/٣ .

٤ ـ كتاب اللقاء والتسليم (١)

ذكره الصولى فى كتابه أدب الكتاب ، وقال انه كتب به الى القاضى عمر بن محمد بن يوسف .

٥ ـ كتاب الشبان والنوادر :

ذكره الصولى فى أخبار أبى تمام (٢) ، كما ذكره أبو العلاء المعرى فى رسالة الغفران باسم « النوادر » (٣) .

ويقول الصولى (٤) : « انه أحد الكتب التى سرقهـــا منه أبو موسى الحامض ؛ وضمنها فى كتبه فلما مات ظهرت فى أماليه »

٦ ـ كتاب الطرر (٥)

٧ ـ كتاب السعاة (٦)

٨ ـ كتاب الأخبار المنثورة (٧) .

هذا الكتاب لم يذكر فى ثبت مؤلفات الصولى فى المصادر القديمة . ولكن ابن الآبار قال فى (أعتاب الكتاب) « وحكى الصولى فى كتاب الأخبار المنثورة من تأليفه ... »

---

(١) أديب الكتاب ١٧٥ .

(٢) أخبار أبى تمام ١١ .

(٣) رسالة الغفران ٣٨٣ .

(٤) رسالة الصولى الى مزاحم ١١ .

(٥) لعله كتاب الغرر الذى سبق ذكره فى مجموعة الكتب الأدبية .

(٦) لعله كتاب العبادة أو العبادله محرفا .

(٧) مخطوطة أعتاب الكتاب لابن الآبار (مخطوطة بدار الكتب الورقة ٤) .

الفصل الخامس

دواوين الشعراء

كان الصولى شاعرا – كما رأينا – بالاضافة الى كونه عالما بالشعر مهتما به أكبر الاهتمام . وقد وجه الصولى اهتمامه بالشعر – الى جمع دواوين عدد كبير من الشعراء المحدثين ، ورتبها حسب حروف الهجاء . وقد عثرنا على بعض هذه الدواوين وهى :

١ – ديوان ابن الرومى

٢ – ديوان أبى تمام

٣ – ديوان البحترى

٤ – ديوان أبى نواس

٥ – ديوان العباس بن العباس

٦ – ديوان ابراهيم بن العباس

٧ – ديوان ابن المعتز

٨ – ديوان مسلم بن الوليد

٩ – ديوان الراضي بالله

١٠– ديوان على بن الجهم

أما الدواوين المفقودة مما جمعه الصولى فهى :

١ – ديوان ابن طباطبا

٢ – ديوان ابن عيينة

٣ – ديوان ابن شراعة

٤ – ديوان الصنوبرى

٥ – ديوان ابن هرمة

٦ – ديوان أبى الشيص

٧ – ديوان دعبل الخزاعى

٨ – ديوان المعذل بن عيلان

٩ – ديوان القاضى عمر بن محمد

١٠ – شعر شعراء مضر

١١ – شعر شعراء ربيعة

١٢ – شعر شعراء اليمن

أولا : الدواوين الموجودة :

١ – ديوان ابن الرومى (١) (٢٩١ هـ)

يقول ابن النديم عن ابن الرومى : « كان شعره على غير الحروف ، ثم عمله الصولى على الحروف فى مائتى ورقة » (٢) .

(١) الفهرست ١٥٠ .

(٢) الفهرست ٢٣٦ . وانظر بروكلمان ٢/٤٧ .

وفى دار الكتب المصرية ـ كما جاء فى فهرس آداب اللغة العربية ـ نسخة مخطوطة لديوان ابن الرومى برواية الصولى وشرحه ، مرتبة على حروف الهجاء ، والموجود منها :

من أول الديوان وتنتهى أثناء قافية الهاء ، وهو مخطوط بقلم قديم .. الجزء الأول مخطوط رقم (١٣٩) . والجزء الثانى مخطوط رقم (٥٩٢) .

٢ ـ ديوان أبى تمام (١) (٢٣٢ هـ) .

جمع الصولى ديوان أبى تمام ورتبه على حروف المعجم، ويوجد فى دار الكتب الجزء الثالث منه مخطوطا ؛ وهو يشتمل على بعض باب المديح وباب المراثى ، وأوله قصيدة من أول حرف القاف يمدح بها أبا دلف العجلى ويهنئه بسلامته من الأفشين ومن علة لحقته . مخطوط رقم (٥٧٣)

ويوجد نسخ من الديوان فى مكتبات العالم المختلفة (٢) .

٣ ـ ديوان البحترى (٣) (ت ٢٨٤ هـ)

وقد نشر ديوان البحترى برواية الصولى فى استانبول سنة ١٣٠٠ هـ ، وفى بيروت سنة ١٣١٣ هـ وقد حققه ونشره فى القاهرة الأستاذ عبد الرحمن البرقوقى فى جزءين فى مجلد واحد . وقد طبع فى مطبعة أمين هندية سنة ١٣٢٩ هـ .

---

(١) الفهرست ١٥٠ .

(١) تاريخ الأدب العربى ـ كارل بروكلمان ٢/٧٥ .

(٣) الفهرست ١٥٠ .

٤ - ديوان أبى نواس (١) (١٩٩ هـ)

يقول ابن النديم عن ديوان أبى نواس : وعمله من أهل الأدب الصولى على الحروف ، وأسـقط المنحول منه (٢) . وقد طبـع ديوان أبى نواس عدة مرات :

- طبع برواية الصولى فى القاهرة سنة ١٣٢٢ هـ بمعرفة النبهانى (٣) وطبع بتحقيق وشرح الأستاذ محمود واصف سـنة ١٨٩٨ م الذى يقول انه اعتمد على نسختى حمزة الاصفهانى وأبى بكر الصولى (٤) . كما طبع بتحقيق وشرح الأستاذ أحمد عبد المجيد الغزالى بالقاهرة سنة ١٩٥٣ م .

٥ - ديوان العباس بن الأحنف (٥) (ت ٢٤٧ هـ)

طبع ديوان العباس بن الأحنف برواية الصولى ، ضـمن مجموعة القسطنطينية فى مطبعة الجوائب باستانبول سنة ١٢٩٨ هـ (٦) ، وتوجد من الديوان نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية مخطوط رقم ٣٥١ أدب .

٦ - ديوان ابراهيم بن العباس (٧) (ت ٢٤٣ هـ)

وقد نشر الديوان الأستاذ عبد العزيز الميمنى (١) فى كتاب الطرائف الأدبية ، وطبع فى القاهرة سنة ١٩٣٧ م.

---

(١) الفهرست ١٥٠ .
(٢) الفهرست ٢٨٨ .
(٣) تاريخ الادب العربى - بروكلمان ٢/٣٠ .
(٤) أنظر مقدمة الديوان ص ٢ .
(٥) الفهرست ١٥٠ .
(٦) تاريخ الأدب العربى - بروكلمان ٢/٢٣ .
(٧) الفهرست ١٥٠ .

٧ ـ ديوان عبد الله بن المعتز (٢) (ت ٢٩٦ هـ).

نشر شعر عبد الله بن المعتز برواية الصولى ، تصحيح المستشرق ب . لوين فى سلسلة « النشرات الاسلامية » وطبع بمطبعة المعارف باستانبول سنة ١٩٤٥ .

وتوجد أشعار كثيرة لابن المعتز فى كتاب الأوراق ـ فى القسم الذى خصصه الصولى لأشعار أولاد الخلفاء ، والذى نشره ج . هيورث . دن فى لندن سنة ١٩٣٦ .

وفى دار الكتب المصرية توجد نسخة مخطوطة كاملة من ديوان عبد الله بن المعتز برواية الصولى . مخطوط رقم (٥٢٤) وهو مرتب على عشرة فنون .

٨ ـ ديوان مسلم بن الوليد (٣) (ت ٢٠٩ هـ) .

نشر أخيرا ديوان مسلم بن الوليد (صريع الغوانى) بتحقيق وشرح الدكتور سامى الدهان وقد اعتمد المحقق ـ كما ذكر هو ـ على النسخة الوحيدة المحفوظة فىمكتبة ليدن بهولاندة. ويقول اذا كانت المصادر قد أشارت الى أن الصولى وحده هو الذى جمع ديوان مسلم ، الا أنه جاء بآخر الديوان « هنا قد تم جميع شعر صريع الغوانى رواية أبى العباس وليد بن عيسى الطبيخى الأندلسى » (٤) .

---

(١) تاريخ الادب العربى ـ كارل بروكلمان ٤٣/٢ .

(٢) الفهرست ١٥٠ .

(٣) دائرة المعارف الاسلامية ٢٨٩/١٤ .

(٤) مقدمة الدكتور الدهان ص ٦٧ .

وقد نشر دى خويه ديوان مسلم بن الوليد عن مخطوط ليدن (١٨٧٥) (١) .

٩ ـ ديوان الراضي بالله (٢) (ت ٣٢٩ هـ)

جمع الصولى شعر الراضى ونقحه ورتبه على حروف الهجاء، ثم ألحقه بأخباره . غير أن الديوان بوضعه هـذا ينقصه كثير من الأشعار والمقطعات والرسائل الشعرية المتبادلة ، بين الراضى بالله والصولى ، والموجودة بين ثنايا الأخبار التى ألفها له الصولى ضمن كتابه الأوراق .

١٠ ـ ديوان علي بن الجهم (٣) (ت ٢٤٩ هـ)

وقد نشر ديوان علي بن الجهم بتحقيق وشرح خليل مردم بك سنة ١٩٤٩ م ضمن مطبوعات المجمع العلمى العربى بدمشق .

ثانيا : الدواوين المفقودة :

١١ ـ ديوان ابن طباطبا (٤)

١٢ ـ ديوان ابن أبى عيينة (٥)

---

(١) تاريخ الادب العربى . كارل بروكلمان ٥٧/٢ .

(٢) أخبار الراضى بالله من ص ٥٤أ ـ ١٨٥ نشر ج . هيورث . دن سنة ١٩٣٦ .

(٣) الفهرست ١٥١ .

(٤) الفهرست ١٥٠ .

(٥) الفهرست ١٥٠ .

١٣ ــ ديوان ابن شراعة (١)

١٤ ــ ديوان الصنوبرى (٢)

١٥ ــ ديوان ابن هرمة (٣)

١٦ ــ ديوان أبى الشيعى (٤)

وقد طبع هذا الديوان حديثا فى العراق بتحقيــــق الأستاذ عبد الله الجبروى

١٧ ــ ديوان دعبل الخزاعى (٥)

١٨ ــ ديوان المعدل بن عيلان بن المحارب (٦)

١٩ ــ ديوان القاضى عمر بن محمد (٧) .

٢٠ ــ شعر شعراء مضر (٨)

٢١ ــ شعر شعراء اليمن (٩)

٢٢ ــ شعر شعراء ربيعة (١٠)

---

(١) الفهرست ١٥٠ .

(٢) دائرة المعارف الاسلامية ١٤/٨٦ .

(٣) الفهرست ١٥٠ ، ٢٢٧ .

(٤) الفهرست ٢٥٩ .

(٥) الفهرست ٢٢٩ .

(٦) الفهرست ٢٣٥ .

(٧) أخبار الراضى ١٤١ .

(٨) أخبار الراضى ٤٠ .

(٩) المصدر نفسه .

(١٠) المصدر نفسه .

● الفصل السادس

تجريح .. ودفاع ..

للنجاح دائما تبعات وضرائب ، يدفعها الانسان أن راضيا أو كارها ، والانسان الناجح لايسلم من قول المتقولين ، وحقد الحاقدين ، الذين ينكرون عليه منزلته ومكانته ، وما وصل اليه من علم أو جاه أو رتبه ، وما اكتنزه من سمعة طيبة فى شتى المجالات لدى الناس ، فلا يلبث أن تلهبه الألسنة وتنهشه الأفواه .. بيد أن ذلك – فى معظم الاحيان – لايؤثر عليه ، أو يقلل من شأنه ، ولا يضره لأنه أشبه – على حد تعبير الصولى نفسه – بنباح الكلاب للكواكب ، أو بالقاء الأحجار فى البحر .

فالصولى بالرغم من شهرته الواسعة ومنزلته المرموقة فى مجال العلم والأدب ، والتأليف والتصنيف ماخلا من أناس أنكروا فضله ، وقللوا شأنه ، فلم يشفع له ماضيه وعلمه من أن يعفوه من التجريح ، بل انهم تصيدوا له الهفوات ، وشنعوا الأخطاء ، ووضعوا عليه أشياء لم تحدث، ونسبوا اليه أفعالا هو برىء منها .. كل ذلك بدافع الغيرة والحسد والحقد حينا ، والسخرية حينا آخر .

١ ـ التصحيف :

أول ما صيد للصولى . من أخطاء : « التصحيف فى الحديث»
قال محمد بن العباس الخزاز (١) : حضرت الصولى وقد روى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صام رمضان وأتبعه ستا من شوال .. فقال «واتبعه شيئا من شوال» .. فقلت : أيها الشيخ ، اجعل النقطتين اللتين تحت الياء فوقها ، فلم يعلم ما قصدت له . فقلت : انما هو «ستا من شوال» فرواه على الصواب » .

هذا هو الحديث الوحيد الذى روى أن الصولى صحف فيه.. والتصحيف(٢) ـ كما نعلم ـ هو الخطأ فى قراءة اللفظ لاشتباه فى الحروف ، ولا يقع هذا عادة الا اذا اعتمد القارىء على الصحيفة دون المشافهة . ولقد كان المسلمون فى العهد السابق على الصولى ، يتدارسون علوما كثيرة ـ شرعية ولسانية وغيرها ـ وكان جل اعتمادهم فى مدارستهم على التلقى والمشافهة ، بين الشيخ وطلابه ، وكانت الحافظة عندهم هى المرجع الاول .. وعليها المعول ، وان كان بعض الطلاب يقيدون ذلك بالكتابة لتكون تذكرة لهم ، اذا ما طغى على عقولهم النسيان .

والصولى كان يعرف ذلك جيدا ، فاعتمد على اللقاء والمصاحبة والمشافهة ، فى تلقى علومه . لذلك لم يأخذ العلم عن أولئك الذين يقرءون من الصحف ـ ويطالعنا هو أنه رفض التردد على حلقات ابن أبى طاهر لأنه وجده صحفيا (٣) ، كما أبى أن يروى عنه . وفى بذل العلم وشرحه ، لم يكن يعتمد على الصحف ، بل كانت ذاكرته

(١) انباه الرواة ٣/٢٣٥ .

(٢) المعجم الوسيط ـ مجمع اللغة العربية ١/٥١٠ .

(٣) الاوراق ـ أخبار الشعراء للصولى ص ٢١٠ .

الواعية ، وحافظته القوية التى كانت تسعفه فى كل مجال ، على أن يقدم من علمه ومن حفظه ما يتناسب مع المجال الذى يوجد فيه .

اذن كان الصولى يعتمد أساسا على التلقى والمصاحبة والسماع ؛ ثم تدوين كل ما يسمعه من أساتذته ، حتى انه من دواعى فخره أنه جمع مكتبة ضخمة وكتبا جمة كلها — كما يقول هو — من سماعه (١) . كما كان يعتمد على المشافهة والذاكرة فى بذل العلم ورواية الحديث ، والأمثلة على ذلك كثيرة ؛ وكلها تدل على سعة علمه وتثبته فى الرواية ومقدرته على الحفظ .

واذا كان ذلك كذلك — فلماذا صحف الصولى فى هذا الحديث؟ ولماذا وقع فى هذا الخطأ ، وهل كان ذلك ناشئا عن ضعف منه أو عدم حفظ ؟ .

الصولى شأن أى كائن بشرى ، معرض للوقوع فى الخطأ ، قصدا أو دون قصد ، وأن تكون له هنات ، وفيه نقاط ضعف ، فليس هناك انسان معصوم من الخطأ ؛ فكل ابن آدم خطاء ، وفوق كل ذى علم عليم . بيد أن هناك عاملا مهما اذا عرفناه ، ربما وجدنا فيه شفيعا له فى هذا التصحيف غير المقصود .. هذا العامل هو عامل الشيخوخة .

فقد ثبت أن هذا الحديث روى فى سنة أربع وثلاثين وثلاثمائه (٢) (سنة ٣٣٤ هـ) وفى هذه السنة كان الصولى يقارب الثمانين من عمره ، حيث توفى بعد ذلك بسنة أو اثنتين حسب قول المؤرخين ، ولا شك أن كبر السن يتبعه ضعف الذاكرة ، وقلة التركيز ؛ وعدم السيطرة على الكلام بل ضعف البصر أيضا ..

---

(١) انباه الرواه ٣/٢٣٥ .

(٢) تاريخ بغداد ٣/٤٢٧ .

والدليل على ذلك : أن الخزاز نفسه حين رده بقوله : «أيها الشيخ·· اجعل النقطتين اللتين تحت الياء فوقها» ·· لم يعلم الصولى مايقصده أو لعله لم يسمعه أيضا · فلا شك أن كبر سنه وشيخوخته كانا سببا فى هذا الخطأ ، وهو خطأ وحيد ، وغير مقصود ·

ونقطة هامة ـ أن التصحيف كما ذكره الخزاز ـ جاء فى كلمة واحدة ، ولم يتغير المعنى نتيجة لذلك ، ولم يمس جوهر الحديث ، وذلك لأن «الستة» أقل من الربع ، والشىء أقل من الربع ، فلم يخرج المعنى كثيرا عن مضمونه · ومن المؤكد أن الذى ساعد على حدوث هذا التصحيف : « اعجام الحروف » حيث كانت معظم الكتابات فى العصور الاولى تكتب دون انقاط ، فساعد ذلك على وجود اللبس ، ويؤيد هذا القول ـ أن الخزاز نفسه تجاهل نقاط الشين والهمزة فى «شيئا» · فليس وضع النقطتين اللتين تحت الياء فوقها بمانع للتصحيف ، أو بمصحح للكلمة ·

نقطة أخرى هامة ، يجب أن توضع فى الاعتبار ·· لماذا لا يكون الصولى حين روى هذا الحديث قصد الى روايته بالمعنى ؟ عملا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا أصبت المعنى فلا بأس(١) » ولقد روى عن الصحابة أنهم رووا كثيرا من الاحاديث بالمعنى ، ونصوا صراحة على ذلك · يقول واثلة بن الاسقع(٢) : «اذا حدثناكم على المعنى فحسبكم» ويقول سفيان الثورى(٣) : « اذا قلت انى أحدثكم كما سمعت فلا تصدقونى ، فانما هو المعنى » ·

وينقل لنا الاستاذ محمود أبو رية فى كتابه ، قول العالم المحدث السيد رشيد رضا ـ رحمه الله : « لا شك فى أن أكثر

---

(١) قصة الحديث النبوى ، للاستاذ محمود أبو رية ٣٧ ·

(٢) المصدر نفسه ٣٨ ·

(٣) المصدر نفسه ٣٨ ·

الاحاديث قد روى بالمعنى كما هو معلوم ، واتفق عليه العلماء ، ويدل عليه اختلاف رواة الصحاح فى ألفاظ الحديث الواحد ، حتى المختصر منه» . فرواية الحديث بالمعنى غير منكور اذن عند الصحابة وشيوخ الدين . أما اذا كان قد حدث غلط فى الرواية أو تصحيف ـ فكما يقول ابن تيمية : آنه غلط لا يسلم منه الناس ، بل فى الصحابة من قد يغلط أحيانا ، وفيمن بعدهم .. فليس كل مايرويه الحافظ المتقن صوابا ، لاحتمال أن يكون قد زل فى بعض المواضع، وكذلك ليس كل ما يرويه غير الحافظ المتقن خطأ لاصابته فى كثير من المواضع (١) .

ولا شك أن الصولى سيشفع له ، أنه كان فى شبابه ورجولته ـ كما ذكرت المصادر القديمة ـ « جيد الحفظ واسع الرواية » كما كان راسخ القدم فى علوم الدين ، حافظا للحديث ، يعرف رجاله ومدى عدلهم وضبطهم ، وألف فيه كتبا ، عارفا بعلوم الفقه حتى لقد لقب بالامام المفتن (٢) .

ونستطيع أن نجد فى حياة الصولى نفسه ما يثبت قوة حفظه، ومقدرته على تحديد الوقائع والاشخاص التى تتصل بالاحاديث النبوية . فيحدثنا الصولى ـ من خلال تأريخه لعهد المتقى لله ـ أنه تعرض للمهانة والنكران ، ومحاولة تصيد الاخطاء خاصة من وزير المتقى « أبى عبد الله الكوفى وبطانته واتباعه ؛ ولكنه كان دائما يثبت جدارته وعلمه وتفوقه عليهم . فيذكر أن الوزير امتحنه قائلا :

« من الذى أكل تمرا وهو رمد من أحدى عينيه ، فنهاه النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال الرجل : «انما آكل من شق عينى

---

(١) قصة الحديث النبوى ٩٨ ـ ٩٩ .

(٢) النجوم الزاهرة ٣/٢٩٦ .

الصحيحة ؟» . فقلت : هذا صهيب . فقال : أخطأت والله ، هذا عامر بن فهيرة . فقال له بعض من كان عنده : هذا مشـــهور عن عامر . فقلت : أعز الله الوزير ؛ لا تلتفت الى قول من لا يدرى . ثم ذكر الصولى الحديث مدعما بسلسلة اســـناده حتى وصل الى صهيب الذى قال : «قدمت على النبى صلى الله عليه وسلم ، وبين يديه خبز وتمر ؛ وقد رمدت احدى عينى ؛ فقال : أدن فكل ، فجعلت آكل التمر ، فقال : ياصهيب : آتأكل التمر وبك رمد ؟ فقلت : انى أمضغ من الناحية الاخرى؛ فتبسم صلى الله عليه وسلم» . فقال الوزير للصولى : أرنى هذا فى كتاب ، فقلت : ما معى أصل . ثم قلت لمن يجيئنى من أصحاب الحديث ، انظروا من عنده مسند ، فليجئنى بمسند صهيب ، فجاءوا به ، فحملته اليه ، فقــال له صاحب الكلام : فلعله قد قال هذا لعامر أيضا . فقلت : هذا مسند عامر ، وهو كله ثلاثة أحاديث .. فنظر فلم يجد فيه شيئا ، فذهب المعترض يتكلم .. فقال له الوزير : حسبك .. الكلام فى هذا بعد ما وقفنا عليه قلة حياء وقحة » (١)

وهنا أمثلة كثيرة تدل على قوة حفظه وذكائه وصدق روايته ، ولقد روى له البغدادى (٢) العديد من الأحاديث النبوية الشريفــة الصحيحة فى تاريخه . كما روى الصولى نفسه عشرات الاحاديث الصحيحة للراضى ، وذكر له مناسباتها وتفسيراتها وبين مضمونها ومغزاها ، وما ترمى اليه من أهداف ، وما تحث عليه من فضائل وخصال .. فلم يصـــحف مرة ، ولم يخطىء مرة .. وليس هذا فحسب ، فان اهتمام الصولى بالحديث قديم ، يرجع الى عهد تلمذته على كبار رجال الحديث ورواته ، ويتضح اهتمامه بعلوم الحديث أيضا ـ أنه لما تولى تعليم أبناء المقتدر ـ محمد وهارون ـ كان أول

(١) أخبار المتقى لله للصولى ص ٢١٦ .

(٢) تاريخ بغداد ٣/٤٢٩ .

كتب أحضرها لهما هى كتب الحديث ؛ حيث روى لها الأحاديث وشرحها وقال لهما « ان الحديث أولى بكما وأنفع لكما (١) ، وما كان حرصه على ذلك الا لأنه كان يأمل أن يليا من أمور المسلمين شيئا فينفعهم الله بها (٢) » . كما أنه ليس من المعقول أن يأتمن الخلفاء أحدا على عقول أبنـــائهم ودينهم ، الا اذا كان هذا الشخص حجة علامة ؛ معروف عنه الصدق والعدالة ، وله قدم راســـخة ومقدرة عالية فى هذه العلوم .

٢ ـ الانتحال :

يجرح ابن النديم الصولى ، ويتهمه بالانتحـــال ، فيقول عن كتاب الاوراق ، الذى ألفه الصولى : « وهذا الكتاب عول عند تأليفه على كتاب المرثدى فى الشعر والشعراء ، بل نقله نقلا وانتحله (٣) » ويقول أيضا فى ترجمته للمرثدى : « وله من الكتب (كتاب أشعار قريش) وعليه عول الصولى فى الأوراق ، وله انتحل .. (٤) » . ولا يستطيع الباحث أن يتحقق من صدق زعم ابن النديم هذا ، لأننا لم نعثر على كتاب المرثدى ، أو على الجزء الذى ألفه الصولى فى أشعار الطالبيين وأخبارهم ، وهو الجزء الذى ربما يعنيه ابن النديم .

غير أننا نلمح فى كلام ابن النديم شـــيئا من التحامل على الصولى (٥) ، وتعمد للطعن عليه ، نستنتجه من وصف ابن النديم

---

(١) أخبار الراضى ٢٥ .

(٢) المصدر نفسه ٢٦ .

(٣) الفهرست ١٥٠ .

(٤) الفهرست ١٢٩ .

(٥) كنوز الاجداد ـ محمد كرد على ١٤٢ .

له بأنه «جماعة للكتب» ٠٠ وأنه حيث أخرج اخبار ابن هرمة لم يأت بشيء ، بالاضافة الى الاتهام السابق ٠

ولا شك أن ذلك مبعثه غيرة العلماء وتنافسهم فى اقتناء الكتب والاشعار ، وتحصيل العلم وبذله ، وبالنسبة للصولى - ما كان فيه من نعمة ومكانة مرموقة فى قصور الخلفاء ووزرائهم ، ثم ان هناك أمرا يلفت النظر حقا :

هل غاب على ابن النديم ان رواية الاخبار والاشعار وتدوينها لا تقتصر على راو واحد ، أو أديب أو اخبارى واحد ، وانما كانت مشاعا لكل الناس ٠٠ لكل العلماء ٠٠ لكل من يشغفون بجمع الاخبار وروايتها ، وأنها كانت متداولة لجميع الناس ، وفى شتى المناسبات ؟

وهل غاب عليه أن كثيرا من هذه الاخبار التى وردت فى كتب الاخبار القديمة ومنها كتب الصولى - قد رويت بسلاسل اسناد مختلفة بل بطرق مختلفة ؛ وبألفاظ مختلفة ؛ وان اتفق المضمون والمعنى ؟ ٠

وهل غاب عليه أن الشاعر الواحد قد يترجم له أكثر من أديب ، ويجمع أخباره أكثر من اخبارى ؟ ٠ وهل كون الصولى ترجم لهؤلاء الشعراء بعد المرثدى ، فهل معنى ذلك انه انتحل عمله ٠ وهل يعتقد ابن النديم أن الذى ألف كل هذه المؤلفات ، وصنف هذه المصنفات ، وجمع كل هذه الاخبار ، وحقق ورتب كل هذه الدواوين - التى ذكرها هو بنفسه فى كتابه - سيعجز عن التأليف فى هؤلاء الشعراء وجمع أشعارهم وأخبارهم ، لدرجة أنه يسطو على عمل أديب قد يكون أقل منه علما وخبرة ، وينتحله لنفسه ؟٠

أغلب الظن - أن الصولى حين ألف أخبار الطالبين وأشعارهم ، حاول جهده ألا يكرر ما أتى به أو ألف فيه غيره ؛ بل لعله لا يعلم أنه

سبقه الى ذلك أحد . ويؤيد هذا القول ويدعمه : أن الصولى نفسه كرر أكثر من مرة ـ أنه يكره أن يكون صدى لغيره ؛ أو يعيد الأعمال التى سبق اليهـا ، وكثيرا ما يقـول : « انه يكره اعادة ما ألف ويجتنب أن يجتذب من الأدب ما ملك قبله (١) » . وبلغ بـه اعتزازه بنفسه ، وأبى كبرياؤه أن يكمل أخبار جرير حين بلغه أن قوما تضمنوا عملها على نهجه ؛ فأمسك عن اتمامهـا « امتحـانا لصدقهم، فمات بعض وبقى آخرون ولم تعمل حتى الساعة(١)» . وهو حين عمل « أخبار الفرزدق » شرط على نفسه ألا يأتى بحرف ذكر فى النقائض من أخبار هذا الشاعر الا ما لا بد منه ؛ من ذكر نسبه وأزواجه (٣) » .

هذا هو الرجل ؛ وهذه هى فلسفته .. لكل ذلك : فاننا نرفض تهمة الانتحال ، وننفى عنه هذا الزعم ، فليس من المعقول أن يكون الصولى قد انتحل كتاب المـرثدى ؛ قد يكون المـرثدى والصولى اجتمعا ـ مجرد صدفة أو توارد أفكار ـ فالتقيا معا فى عمل واحـد حول موضوع واحـد ، وهو الترجمة لبعض شـعراء قريش .. ولكن قطعا سيكون هذا العمل مختلفـا من حيث المنهـج والتبويب ؛ وتضمين الآراء ؛ وتقديم خبر على خبر ؛ وتوثيق شعر معين ، فلكل أديب أسلوبه ومنهجه ، ولا شك أن مؤلف الصولى يتضح فيه أثر فكره وثقافته فى تحليله للأخبار .. وهذا يختلف تماما عن كتاب المرثدى .

---

(١) أخبار أبى تمام ٧٩ .

(٢) أخبار أبى تمام ١٣ .

(٣) أخبار أبى تمام ١١ .

٣ ــ الضعف والاستجداء :

ومما عيب على الصولى أيضا ظهوره بمظهر الضعف والذلة والاستجداء (١) . والحقيقة أنه أكثر من الشكوى ــ خاصة فى شعره ــ حتى انه لم يترك قصيدة من قصائده ــ فى الخليفة أو غيره الا ضمنها ــ ان تصريحا وان تلميحا ــ مر السؤال وذل الحاجة ؛ وكثرة الاستجداء للعطايا والهبات .. ففى قصيدته السينية للراضى يقول :

ان بينى وبين دهرى حربا
جاوزت حرب داحس والبسوس

فاعتبر ما شكاه عبدك منه
ثم داو الخناق بالتنفيس

هو فى مخلب الزمان فريس
فارحم الآن نفس هذا الفريس

ويقول فى قصيدة أخرى :

نام حظى فأيقظوه بجود
انه بعد بدئكم تتميم

قد تشكيت ما ألاقى اليكم
مثل ما يشتكى الوصى يتيم

كل من أخطأته رحمة عطف
من نداكم وأنسكم مرحوم

---

(١) كنوز الاجداد ــ محمد كرد على ١٤٢ .

وتصل شكواه الى حد الصراخ والعويل فيقول :

لقد فتك الزمان بسوء حالى
فانقذنى من الزمان الفتوك

وغير ذلك كثير من قصائده ..

والصولى نفسه ، يتحدث عن نفسه ؛ وكيف أنه وقف يوما بباب الوزير على بن عيسى يشكو فقره وحاجته ... ويستجدى الوزير ؛ وكتب اليه (١) :

خلفت على باب ابن عيسى كأننى
(قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل) (٢)

اذا جئت أشكو طول فقرى وخلتى
(يقولون لا تهلك أسى وتجمل)

ففاضت دموع العين من قبح ردهم
(على النحر حتى بل دمعى محملى)

لقد طال ترددى وقصدى اليهم
(فهل عند رسم دارس من معول)

فنمى الخبر اليه فاستدعانى وقال : يا صولى : فهل عند رسم دارس من معول ؛ فاستحييت وقلت : أيد الله الوزير ، ما بقى شىء ، وأنا كما ترى ؛ فأمر لى بخمسة آلاف ؛ فأخذتها وانصرفت » .

ولا شك أن هذه الأشعار والأخبار قد وشمت الصولى بالضعف والذلة ـ الذى وضح أكثر ما وضح فى استجداء الخلفاء

---

(١) المنتظم لابن الجوزى ٦/٢٦٠ .

(٢) نلاحظ أن الشطر الثانى من الابيات من معلقة امرىء القيس .

والوزراء .. وفى كونه لا يفتأ يقول فلان منحنى ، وفلان منعنى ٠

وهذا خلق وتصرف لا يليق بمثله ولا بمكانته الأدبية والعلمية والدينية ؛ ولا بأصله وعائلته ، وهو سليل ملوك وجليس ملوك٠٠ غير أننا اذا نظرنا فى حياته نستطيع أن نضع أيدينا على الأسباب التى أدت به ودعته الى ذلك ٠٠

فمن المعروف أن حياة الصولى ارتبطت منذ بدايتها بحياة الخلفاء والوزراء والأمراء ، ولما كان الانسان يتأثر بالبيئة وبالثقافة وبطبيعة الحكم والأوضاع السياسية والاجتماعية المعاصرة له ؛ فمن الطبيعى أن ينغمس الصولى فى الترف السائد فى بداية حياته؛ شأنه شأن كل رجالات العصر المقربين من البيت الحاكم ؛ ويصطبغ بصبغتهم ويشاكلهم فى أمور حياتهم ولباسهم ؛ حتى يظهر بالمظهر اللائق بمن ينتسب اليهم ويتصل بهم ٠ فلم يعمل الصولى للزمن حسابا ، ولم يدخر من غناه لفقره أو من شبابه لشيبته ، فأنفق كل ما وصل الى يديه واسبغ عليه ٠٠ ولم يدخر مالا ؛ ولم يتملك عقارا ، بل اختار أن يدخر علما وأدبا وفقها وكتبا ؛ عملا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠٠ « اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث : علم ينفع الناس ؛ أو صدقة جارية ؛ أو ولد صالح يدعو له » حتى اذا بلغ المشيب رأسه ووهن عظمه ؛ وانعدمت قدرته على الكسب ، وجف نبع العطاء ــ نتيجة لضعف الدولة ، وتفككها ؛ وأزمات الخلفاء ؛ صحا على ذل الحاجة ، وأخذ شبح الفقر يطارده ٠٠ فأخذ يستصرخ الخلفاء والأمراء والوزراء ويستدر برهم وعطاياهم ٠٠

فهذه الصرخات التى تتصل بالشكوى والاستجداء لم ترتفع بهذه الدرجة الا فى أخريات أيامه ، وبعد أن أصابته الشيخوخة ،

وشغله التفكير فى المصير ، وخوفه من أصطراع الحياة ؛ ونتيجة للضوائق المالية التى حلت به (١) .

٤ ـ غروره :

ومما عابه النقاد على الصولى أيضا : غروره (٢) . وحجتهم فى ذلك : أنه أكثر من الحديث عن نفسه فى مناسبة وفى غير مناسبة .

فى الحقيقة تحدث الصولى كثيرا عن نفسه ؛ وعن منزلته الأدبية ..فى مجالات مختلفة ؛ خاصة فيما يتصل بأبى تمام وشعره ومعانيه وأخيلته .. وأنه قام بهذا العمل لأنه لم يجد أحدا فى عصره يستطيع أن ينهض به (٣) . كما هاجم النقاد وفند مزاعمهم ؛ ونعى عليهم جهلهم وتزمتهم وتعصبهم للقديم، وعدم تعمقهم فى الفهم والدراسة ؛ وانهم تابعون ؛ ليس لهم شخصيتهم الذاتية ؛ التى تمكنهم من الحكم على الجيد والردىء من واقع حياتهم وفهمهم وتذوقهم الأدبى .

وتحدث أيضا عن منزلته بين شعراء العصر ، وأنه يفوقهم جميعا علما وفنا ؛ وتعبيرا وفهما ، وأن مدائحه لم يقل مثلها لروعتها وقوة معانيها وجزالة ألفاظها ؛ وصدق تعبيرها ؛ وأن الشعراء المنافسين ما هم الا صدى له .. يسطون ويقلدون . وتحدث كذلك ـ عن منزلته فى قلوب الخلفاء وعن حبهم له ، وتقديرهم لعلمه ، وافساحهم له فى مجالسهم ورغبتهم على الدوام فى الاستماع لعذب حديثه والتمتع برقيق شمائله .. وتحدث أيضا عن مؤلفاته

---

(١) تاريخ بغداد ٣/٤٣٢ .

(٢) الجرجانى فى الوساطة ٢٦٠ ، وابن الاثير فى المثل السائر ص ٢٨٩ .

(٣) أخبار أبى تمام ١٢٠ .

ومصنفاته ، وأن الناس يتهافتون عليها ويتجاهلون غيرها ؛ لما تحتويه من فوائد جمة ومواد أدبية وعلمية وثقافية مفيدة ، ويستشهد على ذلك باجتماع الناس على مؤلفه « أخبار أبى نواس (١) » بعد فراغه منه وتركوا غيره ، حتى أن النسخة من شعر أبى نواس — من غير ما عمله — أصبحت تباع بدارهم ، وكانت قبل ذلك تباع بعددها دنانير ، وذلك لفقدان قيمتها ، وضعف مستواها ، بل ان نسخ غيره قد سقطت ، وصارت غير مرغوب فيها ، وما ذلك كله الا لأنه أخرج هذه الأخبار والأشعار بالصورة المشرفة ، واللائقة فنيا وأدبيا ، وبعد أن أخرج الشعر المنحول .

وقال الصولى أيضا : ان بعض العلماء أخذوا علمه وأماليه وضمنوها كتبهم ، وأنه رأى أشياء كثيرة مما أملاه قديما من المعانى ، التى تجاذبها الشعراء وحملها الناس ؛ ولم يعرفوها ، مصنفة مبينة الا بعد ايراده لها — قد تخرمها قوم وأوردوها مفرقة فى أماليهم ؛ فبانت فى علومهم ، وأمازت عن تصنيفهم ، ونطق مكانها بالغربة منهم (٢) ؛ وان كتابيه « الشبان والنوادر » و « الشامل فى عالم القرآن » سطا عليهما أبو موسى سليمان الحامض (٣) ؛ وعرف جميع من فى العصر ذلك ..

حقيقة تحدث الصولى عن هذه الأمور وعن أمور كثيرة غيرها . وقد يكون هذا من وجهة نظر البعض غرورا .. غير أن هذا من وجهة نظر البعض الآخر — خصوصا اذا كان مدعما بالأدلة والأسانيد — ثقة بالنفس ؛ مردها الى تعمقه فى العلم وأمور الدين وعكوفه على ينابيع الثقافة المختلفة ، ثم تجليه فى بذل العلم تأليفا وتصنيفا .

---

(١) أخبار أبى تمام ٥٩ .

(٢) أخبار أبى تمام ١٠ .

(٣) أخبار أبى تمام ١٢ .

هذا العلم وهذه الثقافة جعلت علماء عصره يصفونه بأنه العلامة (١) ، المتبحر الفهامة (٢) ، الامام المفتن (٣) ؛ الأديب (٤) ؛ الفقيه (٥) ، الاخباري (٦) ، النديم (٧) ؛ الكاتب (٨) ؛ الشاعر (٩) ؛ الشطرنجي (١٠) ؛ المهندس (١١) .. الخ . فليس ما تحدث به الصولي عن نفسه غرورا ، انما هو افراط في الثقة بالنفس ؛ وهي ثقة لا حد لها ، اضطرت الصولي الى الحديث عنها في مجال دفاعه عن نفسه ؛ وعن منزلته وعلمه ضد أعدائه وحاسديه ومنكري فضله .

كان يمكن أن يسمي ذلك غرورا ؛ اذا كان قد فاخر بأهله ونسبه ، وجميع المؤرخين بل الحاسدين يعلمون أنه سليل ملوك .. ولكن الصولي حين فاخر ؛ فاخر بعلمه ودينه وشرفه ونظافة ثوبه ، وسمعته وبعده عن الدنايا ، ومنزلته الأدبية ، ولم يفاخر اطلاقا

---

(١) شذرات الذهب ٢/٣٣٩ .

(٢) أخبار المتقى لله ص ٢١٥ (قول أبي يوسف) .

(٣) النجوم الزاهرة ٣/٢٩٦ .

(٤) نزهة الالبا ٣٤٣ .

(٥) تاريخ بغداد ٣/٢٣١ .

(٦) النجوم الزاهرة ٣/٢٩٦ .

(٧) الكامل في التاريخ ٦/٣٢٤ .

(٨) المنتظم ٦/٣٦٠ .

(٩) معجم الشعراء ٤٦٥ .

(١٠) مرآت الخبان ٢/٣١٩ .

(١١) النجوم الزاهرة ٣/٢٩٦ (يقول ابن تغرى بردى : .. انتهى اليه علم الهندسة .

بأهله ونسبه أو بعائلته وحسبه ؛ كل ذلك يجعلنا ننفى عنه — الاتهام بالغرور بل نكبر فيه اعتزازه بنفسه .

.. وهنا قد يتساءل المرء : هل يعد الصولى من عظماء الرجال ، ونوابغ العلماء ، وافذاذ الأدباء ؟ لا شك فى هذا .. والدليل أمامنا ساطع جلى ؛ تنطق به كتب الأدب والنقد والتاريخ والتراجم ؛ فى عصره وبعد عصره ؛ فقد أجمع الجميع على أنه من أكثر المؤلفين انتاجا ، ومن أغزر العلماء تأليفا وتصنيفا ؛ ومن أعظم الأدباء أدبا ونقدا .. كما انه — ولا جدال فى ذلك — أتى بجديد فى مجال التأليف والتصنيف، ولأنه نوع مؤلفاته ومصنفاته ، فشملت معظم علوم وفنون وآداب عصره ؛ وبرزت واضحة تشهد بعلو كعبه ، وسعة أفقه فى جميع مجالات المعرفة ، ولأنه صورة غريبة من رجال تلك الأيام .

حقيقة قد يكون فى عصره من هو أعظم منه فى الحديث ؛ وأعلم منه فى علوم القرآن .. وقد يكون فى عصره من هو أكبر منه فى مجال الأدب .. ولكن العبرة بمن يجمع كل هذه الأدوات معا ، ويؤلف كل هذه المؤلفات فى ثقافة ذلك العصر ، ويحظى فى قصور الخلفاء بتلك المكانة ؛ ولا يضيع ما مر به من الفوائد فيقيدها ويخلفها تراثا ضخما للاجيال بعده ، لتنتفع بها، بالرغم من مشاغله ومجالسه ومنادماته فى القصور ، وبالرغم مما كان فى عصره — خاصة منذ أوائل القرن الرابع — من ظروف سياسية وثورات وفتن واضطرابات ..

حقيقة وجد فى العصر مؤلفون نقلوا عن غيرهم ، ولا سيما فى الحديث والفقه ؛ ولكنهم وقفوا أنفسهم وقصروا جهدهم على هذه العلوم ، فأى فضل لهم ، وأى مزية اذا هم لم ينفردوا بأشياء لم يسبقوا اليها . فما أكثر هؤلاء .. وما أقل ماجمعوا الى فنهم أدبا أو علما ، وما أقل ما انتفعوا به ونفعوا .. وكان لهم على مر الأيام صدى يتناقل ، وآراء تتداول ؛ وكتب تنفع الناس وعلم يخدمهم ..

فاذا كان هناك علماء بارزون ، وأدباء مشهورون ، فقليل منهم من جال فى مجالات الصولى ، وقليل منهم من تثقف ثقافته واكتسب خبرته ؛ وقليل منهم من وصل الى مكانته ؛ وقليل منهم من ألف وصنف مثل مؤلفاته ومصنفاته . فجاء الصولى مفخرة لعصره ؛ لمكانته الأدبية ومكانته العلمية ، ومكانته الدينية .

مراجع البحث

- **ابن الرومى حياته من شعره** ـ لعباس محمود العقاد ـ سلسلة كتب الهلال
- **احسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم** ـ للمقدسى ـ تحقيق دى جويه ـ ليدن ابريل ١٩٦٧
- **احسن ما سمعت من النظم والنثر** ـ للثعالبى ـ تصحيح محمد صادق عنبر ـ طبع القاهرة
- **اخبار ابى تمام** ـ للصولى ـ نشر خليل محمد عساكر وآخرين ـ طبع سنة ١٩٣٧ م
- **اخبار البحترى** ـ للصولى ـ نشر الدكتور صالح الأشتر ـ طبع دمشق سنة ١٩٥٨ م
- **اخبار الحلاج** ـ نشر ماسينون ـ طبع باريس سنة ١٩٣٦ م
- **ادب الكتاب** ـ للصولى ـ نشر محمد بهجة الأثرى ـ القاهرة سنة ١٣٤١ هـ
- **ادب الكاتب** ـ لابن قتيبة ـ نشر محب الدين الخطيب ـ طبع القاهرة سنة ١٣٤٦ هـ
- **ادب النديم** ـ لكشاجم ـ طبع بولاق سنة ١٢٩٨ هـ ٠
- **ارشاد الأديب** ـ لياقوت ـ طبع ليدن ١٩١٣
- **الأعلام** ـ للزركلى ـ طبع مصر سنة ١٩٢٧ م
- **الأغانى** ـ للأصفهانى ـ طبع المؤسسة المصرية للنشر والترجمة سنة ١٩٦٣ م
- **اقسام ضائعة من كتاب تحفة الأمراء** ـ للهلال الصابى ـ طبع بغداد ١٩٤٨

- **أسس النقد الأدبى عند العرب** ـ للدكتور أحمد بدوى ـ طبع نهضة مصر ١٩٦٤
- **أمالى المرتضى** ـ تحقيق محمد أبو الفضل ـ طبع مصر ١٩٥٤ م
- **أمراء البيان** ـ لمحمد كرد على ـ طبع مصر سنة ١٩٣٧ م
- **انباه الرواة** ـ للقفطى ـ تحقيق محمد أبو الفضل طبع دار الكتب ١٩٥٠
- **الانساب** ـ للسمعانى ـ نشر مارجوليوث . طبع ليدن ١٩١٢
- **الأوراق** ـ للصولى ـ نشر ج.هيورث .دن وهى ثلاثة أقسام :
  - قسم أخبار الشعراء ـ طبع سنة ١٩٣٤ م
  - قسم أخبار الراضى بالله والمتقى لله ـ سنة ١٩٣٥ م
  - قسم أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم ـ سنة ١٩٣٦ م
- **الايضاح فى علوم البلاغة** ـ للقزوينى ـ طبع القاهرة
- **بدائع البداته** لعلى بن ظافر ـ مطبوع بهامش معاهد التنصيص ـ طبعة قديمة
- **البداية والنهاية فى التاريخ** ـ لابن الأثير ـ طبع مطبعة السعادة ١٩٣٢
- **البديع** لعبد الله بن المعتز ـ نشر كراتشفوفسكى ـ طبع لندن ١٩٣٥
- **بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب** ـ للسيد محمود شكرى الألوس
- **البيان والتبيين للجاحظ** ـ نشر حسن السندوبى ١٩٤٧
- **تاج العروس** ـ لابن عطاء الله السكندرى
- **تاريخ الأدب العربى** ـ للأستاذ أحمد حسن الزيات ـ مكتبة نهضة مصر ١٩٦٣ .
- **تاريخ الأدب العربى** ـ لجورجى زيدان ـ طبع دار الهلال .
- **تاريخ الأدب العربى** ـ لكارل بروكلمان ـ ترجمة أستاذنا المرحوم الدكتور عبد الحليم النجار ـ دار المعارف ١٩٥٩ .

- **تاريخ الاسلام** ـ للذهبى ـ طبع مطبعة السعادة ١٣٦٨ ٠.
- **تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى** ـ للدكتور حسن ابراهيم حسن ـ مكتبة النهضة سنة ١٩٤٦ ٠
- **تاريخ الامم والملوك** ـ للطبرى ـ طبع دار المعارف ٠
- **تاريخ التمدن الاسلامى** ـ لجورجى زيدان ـ طبع دار الهلال ٠
- **تاريخ الخلفاء** ـ للسيوطى ـ القاهرة ١٣٥١ ٠
- **تاريخ النقد العربى الى القرن الرابع** ـ للدكتور محمد زغلول سلام ـ طبع دار المعارف ١٩٦٤ ٠
- **تاريخ بغداد** ـ للخطيب البغدادى ـ القاهرة ١٩٣١ ٠
- **تاويل مشكل القرآن ـ لابن قتيبة** ـ تحقيق الاستاذ أحمد صقر ـ طبع القاهرة ١٩٥٤ ٠
- **تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء** ـ للهلال الصابى ـ تحقيق عبد الستار أحمد فراج ـ طبع عيسى الحلبى ١٩٥٨ ٠
- **تجارب الأمم** ـ لمسكويه ـ طبع سنة ١٩١٤ ٠
- **تطور الأساليب النثرية فى الأدب العربى** ـ للدكتور أنيس المقدسى ـ طبع بيروت٠
- **التطور والتجديد فى الشعر الاموى** ـ للدكتور شوقى ضيف ـ طبع دار المعارف ١٩٥٩ ٠
- **تفسير روح المعانى** ـ لأبى الثناء الألوسى ٠
- **الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى** ـ لآدم متز ـ ترجمة الدكتور أبى ريدة ـ مصر ١٩٤٨ ٠
- **الحيوان ـ للجاحظ** ـ تحقيق عبد السلام هارون ـ طبع مصطفى الحلبى ١٩٤٣٠
- **خزانة الأدب** ـ للبغدادى ـ طبع المطبعة الاميرية ببولاق ٠

◆ **الخطيب البغدادى** ــ للدكتور يوسف العش ــ طبع دمشق ١٩٤٥ .
◆ **دائرة المعارف الاسلامية** .
◆ **دائرة معارف القرن العشرين** ــ لمحمد فريد وجدى .
◆ **دائرة معارف البستانى** ــ لبطرس البستانى ــ طبع بيروت ١٨٧٦ .
◆ **دراسات فى نقد الأدب العربى** ــ للدكتور بدوى طبانه ــ مكتبة الانجلو ١٩٦٥ .
◆ **ديوان البحترى** ــ رواية الصولى ــ تحقيق عبد الرحمن البرقوقى ــ طبع أمين هندية ١٣٢٩ .
◆ **رسالة الغفران** ــ لابن العلاء المعرى ــ تحقيق الدكتورة بنت الشاطىء ــ طبع دار المعارف .
◆ **زهر الآداب** ــ للحصرى القيروانى ــ طبع عيسى الحلبى ١٩٥٣ .
◆ **السرقات الأدبية فى النقد العربى** ــ للدكتور بدوى احمد طبانة ــ طبع مصر ١٩٥٧ .
◆ **سير أعلام النبلاء** ــ للذهبى ــ تحقيق صلاح الدين المنجد ــ اخراج معهد المخطوطات العربية .
◆ **شذرات الذهب** ــ لابن العماد .
◆ **الشعر والشعراء** ــ لابن قتيبة ــ تحقيق احمد محمد شاكر ــ طبع دار المعارف ١٩٦٧ .
◆ **الصناعتين** ــ للعسكرى ــ تحقيق البجاوى وابى الفضل ابراهيم ــ القاهرة١٩٥٢.
◆ **صبح الأعشى** ــ للقلقشندى ــ القاهرة ١٩١٣ .
◆ **ضحى الاسلام** ــ للاستاذ أحمد أمين ــ الطبعة الخامسة سنة ١٩٥٦ .
◆ **طبقات الشعراء** ــ لابن المعتز ــ تحقيق عبد الستار أحمد فراج ــ طبع دار المعارف ١٩٥٦ .
◆ **العقد الفريد** ــ لابن عبد ربه ــ تحقيق أحمد أمين وآخرين ــ طبع مصر ١٩٤٠ .

◆ **العمدة** ـ لابن رشيق ـ تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ـ القاهرة ١٩٦٣ •

◆ **عيون الاخبار** ـ لابن قتيبة ـ طبع دار الكتب المصرية ١٩٣٠ •

◆ **الغيث المسجم** ـ للصفدى ـ طبع القاهرة ١٣٠٥ •

◆ **فتوح البلدان** ـ للبلاذرى ـ طبع القاهرة ١٣١٨ هـ •

◆ **الفخرى فى الآداب السلطانية** ـ لابن طباطبا ـ المكتبة التجارية ـ مصر ١٩٢٧ •

◆ **الفرج بعد الشدة** ـ للتنوخى ـ مطبعة الهلال ١٩٠٣ •

◆ **فصول فى الأدب والنقد** ـ للدكتور طه حسين ـ دار المعارف ١٩٦٦ •

◆ **الفلاكة والمفلوكون** ـ أحمد الدلجى ـ طبع مطبعة الشعب ١٩٢٢ •

◆ **الفن ومذاهبه فى الشعر** ـ للدكتور شوقى ضيف ـ طبع دار المعارف ١٩٦٠ •

◆ **الفن ومذاهبه فى النثر** ـ للدكتور شوقى ضيف ـ طبع دار المعارف ١٩٦٥ •

◆ **الفهرست** ـ لابن النديم ـ طبع المطبعة الرحمانية ١٣٤٨ •

◆ **فى أدب مصر الفاطمية** ـ للدكتور محمد كامل حسين ـ طبع دار الفكر العربى ١٩٥٠ •

◆ **فى تاريخ النقد والمذاهب الأدبية** ـ للاستاذ طه الحاجرى ـ طبع مصر ١٩٥٣ •

◆ **القاموس الجغرافى للقطر المصرى** :

◆ **الكامل فى التاريخ** ـ لابن الأثير ـ المطبعة المنيرية ١٣٤٨ هـ •

◆ **الكامل فى اللغة والأدب** ـ للمبرد ـ المكتبة التجارية ١٩٦٣ م •

◆ **كشف الظنون** ـ لحاجى خليفة ـ طبع استانبول ١٩٤١ •

◆ **كنوز الأجداد** ـ لمحمد كرد على ـ طبع دمشق ١٩٥٠ •

◆ **اللباب فى تهذيب الانساب** ـ لابن الأثير طبع القدسى ١٣٥٦ •

◆ **لسان الميزان** ـ لابن حجر ـ طبع حيدر آباد الدكن ١٣٣١ هـ •

- **المثل السائر** ـ لابن الأثير ـ طبع بولاق ١٢٨٢ هـ.
- **محاضرات تاريخ الأمم الاسلامية** ـ للشيخ محمد الخضرى ـ طبع سنة ١٩٢١ م.
- **مختصر تاريخ العرب** ـ لسيد أمير على (مترجم) ـ طبع سنة ١٩٣٨ م.
- **المختصر فى تاريخ البشر** ـ لأبى الفداء ـ المطبعة الحسينية بمصر .
- **مرآة الجنان** ـ لليافعى ـ حيدر آباد الدكن ١٣٣٧ هـ
- **مروج الذهب** ـ للمسعودى ـ طبع مصر سنة ١٣٤٧ هـ
- **معاهد التنصيص** ـ للعباسى ـ تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد . القاهرة ١٩٤٧ هـ
- **معجم الأدباء** ـ لياقوت ـ طبع دار المأمون ١٩٣٦ م
- **معجم البلدان** ـ لياقوت ـ طبع بيروت ١٩٥٥ م
- **معجم الشعراء** ـ للمرزبانى ـ تحقيق عبد الستار أحمد فراج طبع القاهرة ١٩٦٠ م
- **مقدمة ابن خلدون** طبع بيروت سنة ١٩٥٥ م
- **من حديث الشعر والنثر** ـ للدكتور طه حسين ـ طبع دار المعارف ١٩٦٥
- **المنتظم فى تاريخ الملوك** ـ لابن الجوزى ـ طبع حيدر آباد ١٣٥٧ هـ
- **الموشح فى مآخذ العلماء على الشعراء للمرزبانى** طبع دار نهضة مصر ١٩٦٥ م
- **النجوم الزاهرة** ـ لابن تغرى بردى ـ طبع دار الكتب ١٩٥٠
- **نزهة الألبا** ـ للأنبارى ـ طبع حجر ١٢٩٤ هـ
- **نشوار المحاضرة** ـ للتنوخى ـ تصحيح مرجيلوث ـ طبع مصر ١٩٢١ م
- **النظم الاسلامية** ـ للدكتور حسن ابراهيم حسن ـ طبع القاهرة ١٩٣٩
- **النقد** ـ للدكتور شوقى ضيف ـ طبع دار المعارف ١٩٦٤

◆ **نقد الشعر** ـ لقدامة بن جعفر ـ طبع القسطنطينية ١٣٠٢ ·

◆ **نقد النثر** ـ لقدامة بن جعفر ـ طبع دار الكتب ١٩٣٣ ·

◆ **النقد المنهجى عند الغرب** ـ للدكتور محمد مندور ـ مكتبة النهضة المصرية ١٩٤٨ م ·

◆ **نهاية الأرب فى فنون الأدب** ـ للنويرى ـ طبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٥٥·

◆ **الوافى بالوفيات** ـ للصفدى ـ طبع استانبول ·

◆ **الوزراء** ـ للهلال بن المحسن ـ طبع عيسى الحلبى ١٩٥٨ م ·

◆ **الوزراء والكتاب** ـ للجهشيارى ـ طبع مطبعة مصطفى الحلبى ، القاهرة ١٩٣٨م·

◆ **وفيات الأعيان** ـ لابن خلكان ـ طبع مكتبة النهضة المصرية ١٩٤٨ ·

◆ **هدية العارفين** ـ للبغدادى ـ طبع استانبول ١٩٥٥ ·

فهرس

الموضوع رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة
الباب الثالث : أدب الرجل	(١٣٣ـ٢٥٦)
ـ الفصل الأول : الصولى الشاعر	١٣٥
ـ الفصل الثانى : الصولى الناثر	٢٠٤
ـ الفصل الثالث : الصولى الناقد	٢١٧
ـ الفصل الرابع : الصولى المعلم	٢٤٢
الباب الرابع : مؤلفات الرجل	(٢٥٧ـ٣٢٣)
ـ الفصل الأول : مؤلفات الصولى الاخبارية ..	٢٦٢
ـ الفصل الثانى : الكتب الأدبية واللغوية ..	٢٩٠
ـ الفصل الثالث : الكتب الدينية	٢٩٥
ـ الفصل الرابع : الكتب المتنوعة	٢٩٧
ـ الفصل الخامس : دواوين الشعراء	٣٠٠
ـ الفصل السادس : تجريح .. ودفاع	٣٠٧
مصادر البحث	٣٢٤

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٤٢٤٣/١٩٧٣

فهرس

الموضوع | رقم الصفحة